سؤال - مائة

سارة رأفت

رأفت، سارة.

سول مايت. تأليف/ سارة رأفت.

التصنيف : رواية

٢١ سم ، ٢١٥ ص

تدمك :

تدقيق لغوي وإخراج فني وتصميم الغلاف

يوريكا لخدمات النشر

01288627690

eureka4publishing@gmail.com

بالتعاون مع

دار المثقفون العرب للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

رقم الإيداع : ١٠٦٣٧

جميع الحقوق محفوظة و يحظر طبع أو تصوير أو تخزين أى جزء من الكتاب بأية وسيلة من وسائل تخزين المعلومات إلا بإذن كتابى صريح من الناشر

إهداء

أود الإعراب عن شكرى لأمى الحبيبة التى دائما ما تكون الداعم الأساسي لكل حجر نجاح أقوم بوضعه في طريق أحلامي وإلى أسرتى الغالية فلولاهم ما استطعت النجاة من دوامات الحيرة وعدم الثبات ..

أود اهداء هذة الرواية إلي زوجي العزيز فبعد فترة من التخبط و عدم الثبات استطاع التحليق بي إلي عالم أخر لا يوجد فيه سوي الحب والدفئ فلولاه لما بقيت على الطريق..

شكرا جزيلا لكم ..

تنويه لا بد منه

جميع الشخصيات والأماكن رغم واقعيتها فهي من خيال الكاتب، ولا تُلامس الواقع رغم تواجد تشابهات لا غني عنها..

في تلك الرواية رغم قلة كِلَمَتها.. وكثرة مشاعرها.. والبعض من الإلهام.. فإنها تمثل الكثير من الشغف والحب إلى قلبي، وأتمني أن تكون كذلك بالنسبة لك..

هل تتذكر سؤالي لك سابقًا؟! هل الحياة ظلام دامس أم ضوء ساطع! هل نرى الحقيقة أم الوهم الذي نرغب في تصديقه؟ هل هناك صدفة أم القدر يلعب بذكاء أمام غباء منا؟لعنة الحب التي تصيب الروح تقتل القلب ببطء، وتستمتع بصوت صرخاته الهزيلة غير القادرة على إزالة الشك، الذي يعذب العقل بالحيرة اللا نهائية في وقت محصور... هل تعلم حقًا الحياة التي نحياها أهي يقظة أم حلم...؟

هل حقًا الحياة التي نظن بأننا نحيا بها كما نظنها، أم هناك أوجه كثيرة منها لا ندري عنها شيئًا...؟ هل وجدت الإجابة أم ما زلت حائرًا؟

تمهيد

(I)

دانتي يشير إلى طائر الفينيق في جحيم كانتوزكسيف، وهي الجزء الأول من القصيدة الملحمية الكوميديا الإلهية، التي ألفها دانتِ أليغييري في القرن الرابع عشر.

:Dante refers to the phoenix in Inferno Canto XXIV
In the original Italian
Cosi per li gran savi si confessa
,che la fenice more e poi rinasce
;quando al cinquecentesimo anno appressa
,erba né biado in sua vita non pasce
,ma sol d'incenso lagrime e d'amomo
.e nardo e mirra son l'ultime fasce

: In English translation

Even thus by the great sages ‹tis confessed

,The phoenix dies, and then is born again

;When it approaches its five-hundredth year

,On herb or grain it feeds not in its life

,But only on tears of incense and amomum

And nard and myrrh are its last winding-sheet

وفي الترجمة العربية:

وهكذا يؤكد كبار الحكماء.. أن الفينيق تموت ثم تولد من جديد.. عندما تقترب من إتمام الخمسمائة عام.. ولا تتغذى في حياتها بالعشب، ولا الحبوب، ولكن بقطرات البان[١] و الحُمامي[٢] وحدها.. والمر[٣] والناردين[٤] هما آخر لفَائفها.

١ قطرات البَان (d'incenso lagrime): بخور حسن الرائحة
٢ الحُمامي (d›amomo): نوع من البهار.
٣ المر (mirra): خشب ذكي الرائحة.
٤ لناردين (nardo): نبات يستخرج منه بلسم للجروح

(II)

مسرحية هنري الثامن من تأليف ويليام شكسبير وجون فليشر حيث يقول الملك في القانون الخامس: تغزلًا إشارة إلى ابنته الشابة إليزابيث التي كانت ستصبح الملكة إليزابيث الأولى.

In the play Henry VIII by William Shakespeare and John Fletcher, the King says in Act V Scene v, in flattering reference to his young daughter Elizabeth (who was to become Queen Elizabeth I):

Nor shall this peace sleep with her; but as when
The bird of wonder dies, the maiden phoenix,
Her ashes new create another heir
As great in admiration as herself;
So shall she leave her blessedness to one,
When heaven shall call her from this cloud of darkness,
Who from the sacred ashes of her honour
Shall star-like rise as great in fame as she was,
And so stand fixed.

النص بالعربية:

كما لا يجوز هذا النوم المسالم معها.. ولكن كما هو الحال عندما يموت ذلك الطائر العجيب، طائر الفينيق الأول.. رمادها يصنع صورة أخرى منها، في أحسن حال وإعجاب كبير منها كأنها هي... على هذا النحو فهي تترك نعيمها الأوحد عندما دعتها الجنة من هذه السحابة من الظلام... الذي هو من رمادها المقدس وشرفها... ستشرق مثل نجم شهير كما هي دائمًا، وستقف راسخة.

***

ظلام غريب.. أحيانا يكون به وميض ضبابي، كرات من الضوء العائم ليست نجومًا، لكنها تبدو مثلها نوعًا ما.. برد قارس وشعور مخدر لا أشعر بجسدي طوال الوقت.. الوقت عامل غير قابل للقياس حاليًا، لا أشعر به نهائيًا..

ترى هل هي رحلة ما بعد الموت؟ أشعر بأنني سأضحك بمرارة الأنإذا كنت أستطيع.. يقولون إن الإنسان عند الموت يرى حياته وكأنها مسجلة على شريط تباعًا، ولكن لم يحدث هذا بعد، إذا أنا على قيد الحياة نوعًا ما.. هذه مزحة تتوارد إلى ذهني لإقناع نفسي أنني لم أمت بعد..

لا أعي تمامًا ماذا حدث، لا أذكر أي شيء سوى ذلك السجن الانفرادي البارد والمظلم أحيانا، أذكر أنني حاولت السفر بعيدًا متشاجرًا مع أبي حول ذلك.. أبي لا أتذكر عنه شيئًا حقًا، ليس هو فقط، بل أي شخص آخر، أشعر أنني مُسحت ذاكرتي.. هل سأضحك متهكمًا الآن!

أحاول جاهدًا تحريك جسدي، رفع يدي نحو وجهي، الذي لا أذكر ملامحه لكن الخدر يسرى في جسدي...

بالرغم من كل هذا، وبالرغم من مرور الكثير من الوقت فأنا لم أشعر أن عقلي صافٍ بهذه الطريقة من قبل، أستطيع صنع عالم آخر بدقة بداخله.. هل أبدًا بفعل ذلك؟ فأنا في النهاية لا أعلم أين أنا...

رغم أنني لا أستمع إلى أي شيء، فإن هناك شعور يراودني بأنني محاط بالمياه من كل جانب، ومغطى بها... حسنًا.. الآن سأضحك على جنون تفكيري.....

أشعر بمرور المزيد والمزيد من الوقت غير المحسوس، ولكنني استطعت فتح عيناي أخيرًا.. لقد شعرت بالصدمة عندما رأيت المياه فعلا تغمرني، وأنا كنت داخل أنبوب زجاجي، اندفعت نحو جداره الداخلي لأشعر بتلك الأسلاك الموصلة بجسدي، لم أكترث للأمر، وأخذت أضرب ذلك الجدار بيدي..

بطريقة غريزية ارتفع الأدرينالين لشعوري بالخطر، لكن لم أنتبه أنني أتنفس في النهاية تحت سطح ذلك الماء الثقيل حولي.. انقطعت بعض الأسلاك وبدأت أضواء حمراء بالدوار في الغرفة الضخمة حولي، لم أكن أسمع أي شيء، رغم معرفتي بأن إنذارًا ما بدأ يدوي في المكان الآن، مع مرور دقائق كان هناك العديد من الأشخاص لم أميز أيًا منهم يرتدون معاطف بيضاء، هل هم أطباء؟

أخذت أضرب الجدار أمامي طالبًا المساعدة، ولكن بدأت أشعر بالدوار الشديد بالتزامن مع نقر أحد هؤلاء الأشخاص على لوحة مفاتيح كبيرة أسفل الأنبوب، وبدأ جسدي بالتراخي والعوم بداخل تلك المياه..

كانوا ينظرون إلى بنظرات متسائلةٍ متفحصة، وهم ينتشرون في الغرفة يمارسون أعمالًا لا أفهم منها شيئًا.. مع مرور ثوانٍ أخرى بدأت الرؤية في الانعدام، مجددًا أدركت أنني تحت تأثير المخدر الآن عادت الظلمة من جديد.. ظلمة لا أعلم هل ستنتهي أم لا...؟!

***

في أحد الشوارع المزدحمة في الإسكندرية يحاول مراد قيادة سيارته؛ لقطع باقي طريقه نحو المشفى من مكان عمله؛ ليكون إلى جانب زوجته، التي ستقوم بالوضع في أي لحظة،

جفف عَرقه عن جبينه وقرر أن يسلك بعض الطرق الجانبية؛ علَّه يصل في الوقت المناسب.. بينما كانت سلوى تعاني من آلام المخاض في إحدى غرف المشفى، ووالدتها ووالدة مراد برفقتها يحاولان التخفيف عنها..

وعندما جاءت الممرضة لاصطحابها لغرفة العمليات؛ شعرت سلوى بالخوف والقلق وتاقت نفسها إلى طلب زوجها بينما تجلسها الممرضة على

كرسي متحرك، وتبدأ بالسير بها سريعًا في أروقة المشفى البيضاء...

وقبل دخولها لغرفة العمليات مباشرةً سمعت صوته ينادي بلهفة عليها؛ فالتفتت إليه سريعًا؛ لتجده يركض بكامل عزمه نحوها، وعلى وجهه ابتسامة امتنان؛ لأنه وصل أخيرًا.. وقف أمامها مقبلًا جبينها سريعًا قائلًا: عزيزتي أنا آسف للغاية، كان الطريق مزدحمًا.. سأكون معك داخل غرفة العمليات، فلا تخافي سألحق بك في الحال..

أومأت له برأسها بينما تدخل بها الممرضة نحو الغرفة سريعًا... دخل مراد سريعًا بعدما ألقى التحية على والدته ووالدة سلوى.. ليخرج بعد نصف ساعة ووجهه تعلوه سعادة كبيرة؛ لقد رُزِقَ بفتاة في غاية الجمال أخذ يقص بنشوة عليهما ما حدث بالداخل، وسارع بعدها نحو الغرفة التي بها الأطفال؛ لرؤية فتاته الصغيرة، أنتظر بلهفة إلى أن وضعت الممرضة صغيرته في أحد الأسرة الصغيرة، ملفوفة بغطاء خفيف وردي اللون، كانت تنام كملاك الصغير، بينما مشاعر كونه أب تتفجر داخله..

وبعد مرور بعض الوقت أخذ صغيرته متجهًا بها إلى الغرفة التي تمكث زوجته فيها، دخل بها نحوها بينما هي تنظر إليه بشغف، فقال وهو يجلس جانبها: لقد أحضرت إليك أميرتي الصغيرة، تدبرت أمر الأوراق سريعًا..

فابتسمت إليه وهي تفتح ذراعيها إليه قائلة: دعني أراها..

وعندما حملتها عنه قبّل جبينها، وقال: مليكتي العزيزة، سأقوم لإنهاء بعض الأمور وأعود إليكما.

فابتسمت له بينما ينحني نحو صغيرته يقبل يدها الرقيقة، ويسارع بالذهاب لشوق عودته إلى ملكيته وأميرته الصغيرة، وهو يردد الاسم الذي اختارها معًا داخل قلبه... رحيق..

***

منذ كانت صغيرة وهي تلهو كثيرًا بمفردها، كانت سلوى تأتي على صوت ضحكاتها الرقيقة مرات أكثر من التي تأتي فيها على صوت بكائها، وها هي الآن أكملت الثلاث سنوات تجلس مكانها بين ألعابها تلهو بهم مع صديقها، الذي لم يفارقها يومًا منذ ولادتها، تُريه عرائسها وألعابها المحشوة الجديدة، وتقص عليه بكلمات صغيرة مبعثرة ما يحدث، رغم أنه معها إلى أنه يبتسم إليها، ويستمع في شغف...

وقفت سلوى ومراد يراقبها بسعادة، بينما قالت: لقد عادت للتحدث إلى الهواء مرة أخرى.

فضحك قائلًا: هل تتذكرين عندما رغبت بالجلوس إلى جانبها، قالت بأنني سأجلس فوقه؟

-فوقه! هل تتخيل وجود صبي أمامها؟

-ليس حقًا... إنه شاب.. أميرتي الصغيرة تتخيل أميرها من الآن، ثم ضحك بسعادة، وغادر للذهاب إلى عمله..

كانت سلوى تشعر بالقلق؛ لِمَ تلهو صغيرتها مع صديق وهمي طوال الوقت، بدلًا من اللهو مع شقيقها الأصغر، فقد أكمل العام والنصف، وقريب منها في السن! ثم ابتسمت، لقد كانت صغيرتها مميزة منذ ولادتها، هادئة، وكثيرة الضحك.

لم تكن رعايتها متعبةً بعكس شقيقها تميم؛ فهو مثل جميع الأطفال.. يبكي عندما يكون وحيدًا، ويمرح وهم حوله، ويجعلها تستيقظ كثيرًا في الليل لإسكات بكائه..

تهدت عند سماعها لصوت بكاء صغيرها؛ لقد استيقظ للتو وسارعت بالذهاب إليه...

مرت السنوات لتكمل الصغيرة سنواتها الخمس، وأصبحت ترتاد الروضة، لاحظت سلوى أنها بدلًا من أن تأتي إليها لتقص عليها الأحداث، كانت تركض نحو غرفتها بلهفة، وتبدأ بإخراج كتبها ودفاترها لحظة دخولها، وتقص على الغرفة الفارغة ما حدث معها..

كانت تبدو كفتاة بالغة في هدوئها الدائم، وقيامها بفرُوضها المنزلية بمفردها، كانت سلوى ترى أنها فتاة ذكية، ولكن فكرة وجود ذلك الصديق الوهمي كانت تجعلها قلقة.

كان مراد يجد ذلك مجرد لعبة تقوم بها صغيرته كباقي الأطفال؛ لذا حاول تهدئة سلوى قليلًا، ولكنه في النهاية استمع إليها، وذهب بها إلى أحد أفضل الأطباء النفسيين للأطفال في الإسكندرية...

تجاوبت رحيق مع الطبيب بشكل خجول كما تفعل مع الغرباء، ولاحظ الطبيب أنها ذكية وموهوبة بالنسبة لعمرها، وعندما تحدث الطبيب مع سلوى، وأخبرته بطبيعة رحيق الفريدة من نوعها، وتعلقها بذلك الصديق الوهمي أكثر من أي شخص آخر.. عندها طلب الطبيب رؤية رحيق بمفردها عبر كاميرا، ستضعها سلوى في غرفة رحيق وتحضرها إليه في ميعاد الاستشارة الأسبوع التالي.

رفض مراد الفكرة في بادئ الأمر، وكان يرى أنها تكلفة إضافية لا حاجة لها، وأن أميرته طبيعية وتلهو فقط، فدائمًا ما يكون الأطفال الأذكياء مختلفين عن باقي الأطفال.

فزيادة معدل الذكاء العقلي يؤدي إلى نقصان الذكاء العاطفي، ولكن مع إصرار سلوى، وتسهيل الطبيب الأمر بإعطائهم الكاميرا الصغيرة، التي

ستكون مخفية في غرفة رحيق؛ استسلم مراد أمام رغبة سلوى فقط؛ ليثبت لها أن رحيق طبيعية تمامًا ولا يوجد أي خطب بها....

وعندما عادوا للمنزل سارعت رحيق بالذهاب لغرفتها، تبعها مراد بهدوء؛ ليجدها تقول ببراءة وهي تنظر نحو الكرسي، الذي أمرت الجميع بعدم الجلوس عليه، حين يدخل أي أحد للجلوس: أبي هو الوحيد الذي يصدقني، لِمَ لا يراك أحد؟

نظرت قليلًا نحو الكرسي، وبعدها ركضت نحوه واحتضنت الهواء كأنها تحتضن أحدهم حقًا، قائلة بانفعال: لا لن ترحل.

وكادت تبكي، دخل مراد الغرفة قائلًا بمرح مصطنع: ما الأمر أميرتي؟

فالتفتت إليه ونظرت نحوه قليلًا، ودموعها تكاد تهرب من بين أهدابها قائلة: أبي، لِمَ لا يصدقني أحد؟ ألا تراه أنت أيضًا! إنه يقف إلى جانبي الآن!

فجذبها مراد محتضنًا إياها، لا يعلم ماذا يقول وكيف يتعامل معها في هذا الموقف، بينما هي تبكي راجيةً إياه أن يخبر صديقها بأن يبقى ولا يرحل بعيدًا بكلمات متقطعة..

شعر بأن الأمر أكبر مما كان يظن، صدق شكوك سلوى بوجود شيء غير طبيعي، ربت على رأسها مُهدئًا إياها، وحملها وسار بها خارج الغرفة، وهو يلاحظ تعلق نظرها بالمكان الذي خصصته لصديقها في الغرفة، وبدأت ابتسامة صغيرة في الظهور على وجهها، وهي تغمض عينيها؛ لتغرق في النوم بين ذراعي مراد..

دخل مراد إلى غرفة نومه؛ ليجد سلوى تحاول تهدئة تميم، الذي كان يلح على مشاهدة التلفاز، فقال مراد: عزيزتي، سأقوم بتثبيت الكاميرا الآن في غرفتها، اصطحبي تميم للخارج ريثما أنتهي وأنقلها فيما بعد لغرفتها.

فقال تميم متذمرًا: أبي، أريد مشاهدة التلفاز قليلًا.

فابتسم مراد وهو يُنيم رحيق على الفراش برفق، وقال مداعبًا: أميري... هل يستطيع أحد مخالفة أوامر الملكة؟

فقال تميم بحزن: لا.

فابتسم مراد لسلوى وقال: هذه الملكة؛ لذا علينا جميعنا الاستماع إليها..

فأمسكت سلوى يد تميم وحَثته على الخروج معها من الغرفة، بينما تبتسم بامتنان لمراد؛ فهو دائمًا ما يقوم بمساعدتها دون أن يجعلها تشعر بذلك.. أجل، لقد لقبها بالملكة وعاملها على هذا الأساس، لم يتغنى لها بالوعود الفارغة، وأسس بيتًا بل قصرًا؛ جعل أبناءه أمراءً وتوجها ملكة، وجعلها تتوجه ملكًا دون أن يطلب منها ذلك..

بعد أن ثبت الكاميرا الصغيرة داخل إحدى الرسومات في الغرفة؛ حتى لا تكون واضحة، حمل رحيق مرة أخرى لغرفتها، وظل جانبها قليلًا، وقبَّل جبينها وخرج نحو غرفة الاستقبال؛ ليجد سلوى تحاول جعل تميم يلون في دفتر لتعليم الأرقام، بينما هو يشاكسها ويلعب بالأقلام؛ فضحك قائلًا: هل عدنا إلى ذلك مرة أخرى؟

فقالت سلوى: لا أعلم لِمَ لا يريد مجاراتي قليلًا، رحيق كانت تفعل كل هذا بمفردها.

-عزيزتي تميم ليس رحيقًا، كل طفل مميز، وقد يكون تميم بارعًا في شيء لا نعرفه بعد، لا ترهقي نفسك في جعله مثلها.

-أنت على حق، ولكن لا أعلم ماذا أوفر له من نشاطات غير مشاهدة التلفاز، أو اللهو على الجهاز اللوحي، لا يريد فعل أشياء أخرى.

-دعينا نذهب غدًا إلى إحدى المحال الخاصة بلعب الأطفال؛ لنرى ما الذي يشد انتباهه بينها... تميم صغيري ماذا تفعل؟!

فنظر تميم باسمًا إليه وهو يضغط على الأقلام بيده الصغيرة بصعوبة، وعاد مرة أخرى لمحاولة جمع الأقلام..

عبثا معًا؛ فقالت سلوى ضاحكة: أظن بأننا وجدنا ضالتنا.

فقال مراد متسائلًا وهو يجلس إلى جواره على الأرض: وما هي عزيزتي؟

-هل تتذكر لعبة البناء التي أحضرها شقيقك لرحيق وهي لم تحب اللعب بها؟ لقد احتفظت بها إلى وقت آخر. تميم يحاول صنع الأشكال من أي شيء يراه أمامه. قد تفي بالغرض أليس كذلك؟

-أين هي سأحضرها لكما؟

فنهضت سلوى قائلة: استرح قليلًا، سأقوم أنا بذلك.

وسارت نحو غرفتها، بينما التفت مراد نحو تميم.. طفلاه مميزان، تكلما سريعًا، وهما ذكيان، ولكن تميم كباقي الأطفال مشاغب معظم الأوقات، يريد اللعب كثيرًا، يرهق سلوى ليكتب فرض الروضة المكونة من رسم الحروف والأرقام والتلوين..

رحيق. آه.. رحيق مميزة من شهورها الأولى، قليلة البكاء، وحالما استطاعت الإمساك بالأقلام استطاعت مجاراة سلوى في التلوين، أحبت الجلوس وممارسة كل الألعاب التي كانت تعتمد على قوة الملاحظة وتركيب الصور، كانت هادئة، لم تكن يومًا سببًا في توتر سلوى الدائم حاليًا مع تميم.. صغيرتي مختلفة في كل شيء منذ ولادتها...

بينما هو شارد كانت سلوى بدأت في وضع قطع اللعبة أمام تميم، الذي

بدا سعيدًا بها، وبدأ في تركيب قطع المكعبات معها باهتمام؛ فقالت سلوى: شكرًا لك عزيزي.

فانحنى مراد نحوها وقبَّل جبينها قائلًا: أنت تقومين بالكثير، من الطبيعي أن أقدم لكِ المساعدة.

-هل ستظل رحيق نائمة؟ لِمَ بكت فجأة بعد عودتنا!

-لا أعلم حقًا.. يبدو أن محاولة الطبيب معها اليوم لجعلها تصدق أنه لا وجود لذلك الشخص جعلتها حزينة، أظن أنها تداركت الأمر، دعينا نراقب الأمور ومجاراتها قليلًا الآن، إلى أن نرى ما سيحدث..

ربَت مراد على رأس تميم، بينما هو يصنع أشكالًا غير متناسقة من المكعبات الصغيرة والكبيرة معًا، بينما بدأت سلوى في تعليم تميم أشكالًا أخرى..

وبعد مرور أسبوع أخذ مراد رحيق إلى الطبيب تاركًا سلوى في المنزل بصحبة تميم الذي أصيب بالزكام، كان ممتنًا لذلك حتى لا تكون قلقة حيال رحيق، وإذا كان هناك شيء حقًا فلا تكون حقيقةً ثقيلةً عليها...

وعندما دخل مراد إلى الطبيب كانت رحيق في غرفة للألعاب بمفردها، بها كاميرا متصلة بشاشة في غرفة الطبيب، قال الطبيب: سيد مراد، لقد لاحظت أن رحيق تعاني من هلوسة سمعية وبصرية وحسية معًا، الغريب بالأمر أنها لا تعاني من أعراض لمرض الذهان، أو الفصام اللذين يؤديان بصورة أو بأخرى لمثل هذه الهلوسة..

انظر! لم تفعل شيئًا داخل غرفة للألعاب سوى جلوسها على الكرسي، ومحادثة الفراغ حول يومها في الروضة؛ إذن هي لا ترى هذه الهلوسة كثيرًا، أفضل لطفلة مثلها أن تختلط أكثر مع المحيط الخارجي لها بدلًا من تعاطى الأدوية، ستكون هناك متابعة شهرية؛ لنرى إذا كانت حالتها في تحسن.

تساءل مراد في صدمة: عذرًا ولكن ما علاقة الهلوسة بأي مرض آخر؟! وكيف تصاب طفلة بالهلوسة منذ صغرها بهذه الطريقة؟

تبسم الطبيب في روتينية وأخذ نفسًا، وقال: وضعت العديد من النظريات العلمية لتفسير ظاهرة الهلوسة، فعندما كانت النظريات النفسية الحركية (نظريات فرويد) شائعة في الطب العقلي، كان التفسير الشائع على أساسها هو أن الهلوسة ما هي إلا بروز الأماني والأفكار والرغبات من العقل اللا واعي على صفحة الوعي، ولاحقًا تصدرت النظريات البيولوجية وأخذ العلماء (الأخصائيون النفسيون على الأقل) بتفسير الهلوسة على أساس أنها خلل وظيفي في الدماغ. ويمكن القول أيضًا بأن فاعلية ووظيفية الناقل العصبي المعروف بالدوبامين تعتبر مهمة بالخصوص، وقد حققت بعض بحوث علم النفس حديثا في القول بأن السبب المسؤول عن الهلوسة هو حدوث تحيزات في القدرات الميتا إدراكية

metacognitive-abilities. وهذه القدرات تسمح لنا بمراقبة وسحب الاستدلالات من حالاتنا النفسية الداخلية (مثل النوايا، والذكريات، والعقائد والأفكار)، وتعد القدرة على التمييز بين مصادر المعلومات الداخلية ذاتية(التولد) وبين مصادر المعلومات الخارجية (المحفزات)، تعد هذه القدرة مهارة ميتا-إدراكية مهمة، ولكنها قد تتحلل مسببة الهلوسة.كما قد يتشكل بروز الحالة الداخلية أو تفاعل الشخص تجاه شخص آخر على شكل هلوسات، وبالخصوص هلوسات سمعية.

وهناك فرضية حديثة أخذت تكسب قبولًا بين المختصّين تسلط الضوء على دور التوقعات الحسية الشديدة والتي قد تولد خرجات حسية عفوية...

أخذ نفسا ثم أكمل متنهداً : كل هذه الإجابات تمت دراستها على واقع الأشخاص البالغين، ولكني لا أملك إجابة حول كيفية إصابة طفلة بهذا النوع من الهلوسة في هذه السن.. لذا كل ما أستطيع تقديمه هو محاولة

جعل رحيق أكثر اجتماعية، وأكثر تفاعلًا مع الأشخاص الواقعين إلى أن تختفي... أنا آسف للغاية سيد مراد؛ ليس لدي أي تفسير آخر...

خَرج مراد من غرفة الطبيب لاصطحاب رحيق خارج العيادة، كانت الدنيا تدور حوله، ويشعر بأنه تائه، نظر إلى صغيرته التي لا يستطيع مساعدتها؛ ليجدها تنظر إليه في حيرة وعلامات القلق تجوب وجهها الصغير، فابتسم لها علَّها تبادله الابتسام، فوجدها تشيح بوجهها بعيدًا، بينما وجهها الصغير ما زال قلقًا..

لم يشأ الذهاب بها مباشرةً إلى المنزل، وقاد سيارته نحو المتنزه فقالت رحيق: أبي.. لِماذا لم نذهب للمنزل؟!

فابتسم لها وقال: أردت اللعب معك قليلًا قبل العودة للمنزل.

عادةً ما يفرح الأطفال لذلك، ولكن رحيق نظرت قليلًا إليه، وبدت علامات الريبة تنتشر على وجهها..

دائمًا ما يجد نفسه أمامها عاجزًا، فهي تشبه البالغين أكثر من كونها طفلة، فقال وهو غير مصدق أنه سيتحدث معها كأنها أكبر سننًا: رحيق.. هل تعرفين أين كنا!

فقالت بحزن: كنا في عيادة طبيب لترى ما يجرى معي.

اتسعت عيناه من المفاجأة؛ لم يكن يظن أبدًا أنها تدري ما الأمر، لم يقل أمامها شيئًا، ولا حتى سلوى، ذهبنا لطبيب فقط، لا أكثر!

فقال بنبرة هادئة: كيف علمتي الأمر؟

فقالت بتألم: لن تصدقني؟

فنظر إليها متسائلًا، وقال: أنا أعلم أن صغيرتي لا تكذب عليَّ أبدًا.. لذا أخبريني.

فقالت بكلِمات متكسرة على غير عادتها: أبي.. لقد أخبرني بذلك، قال بأن وجوده يسبب لك ولأمي القلق، حاول الذهاب وتركي ولكنني تمسكت به، وأخبرته ألا يرحل.. لهذا نذهب للطبيب... لأنه موجود، وأنا الوحيدة التي تراه.... أنا آسفة أبي لم أكن أعلم أنني أجعلك حزينًا.

فمسَّد على رأسها مُهدئًا إياها، وقال: لست حزينًا، أنا قلق عليكِ فقط.. صغيرتي.. أنت فتاة جميلة وذكية، واكتشفت الآن أنني أملك ابنة كبيرة داخل جسدها الصغير، كل شيء بك مميز ويدعوني إلى الافتخار والسعادة؛ لامتلاكي ابنة مثلك، ولكن فقط ذلك الشيء الصغير.. هل يمكنكِ محاولة تركه؟ دعيه يذهب بعيدًا لنحاول صنع أصدقاء جدد أنت سَتلتحقين بالمدرسة الابتدائية قريبًا.

نظرت رحيق إلى المقعد الخلفي قليلًا، وقالت: لا أريد.

ثم بكت محاولة القفز للمقعد الخلفي سريعًا صارخةً بتذمر: لا أريد... لا أريد.

حررها مراد سريعًا من حزام الأمان؛ ليجدها تحتضن الفراغ، ولكن ما جعله عاجزًا على الكلام هو حركة شعرها، كأن أحدًا ما حقًا يربت على رأسها! شلت حركته عندما وجد جسدها يحمل في الهواء كأنها بين ذراعي أحد وهي تئن وتهدأ قليلًا.

***

أثناء سيرها شاردة بين المارة في شوارع لندن المبللة من إثر المطر، واستغراقها في التفكير غير المنتهي غير الموجه.. سمعت صوت استنكار وتعجب من حولها؛ تلفّتت بتلقائية إلى ما ينظرون إليه.. لترى طائرًا عملاقًا أسود اللون يحلق في السماء الداكنة بسرعة تكاد تجعلك لا تميزه! تعلق نظرها به بينما يختفي بين الغيوم الرمادية المنذرة بتساقط الأمطار، وظلت هكذا للحظات ثم عادت لمتابعة سيرها...

وعندما عادت إلى غرفة الفندق الخاصة بها؛ سارت نحو الشرفة ترمق برج لندن الشهير بنظرات إعجاب.. لطالما أغرمت بذلك المنظر، ليلفت نظرها تحليق ذلك الطائر مرة أخرى!

أي نوع هذا الذي يملك تلك الأجنحة الضخمة؟! أي طائر هذا الذي يحلق بتلك السرعة؟! وأثناء مراقبتها له رأته يسقط فجأة بالتزامن مع صدى صوت إطلاق رصاصة!

أخذت نفسًا عميقًا وهي تفكر. إن غدًا صباحًا سيتَصدر في الأخبار اصطياد ذلك الطائر، وستحصل على الإجابات التي تبحث عنها، ولكن كأن شيئًا لم يحدث.... وبعد مرور أسبوع أعلن أحد المتاحف عن اقتنائه إحدى التحف النادرة؛ فقررت الذهاب كآخر تذكار لها في إجازتها في لندن....

شعرت بتقطع أنفاسها المتلاحقة، واضطرب قلبها عندما أسدل ذلك الستار عن تلك التحفة النادرة.. تعلق نظرها بتلك الأجنحة السوداء العملاقة، وشعرت بمرور رعشة في عمودها الفقري، شعرت بشيء ما لم تستطع تفسيره؛ فأخذت نفسًا عميقًا، وتقدمت نحو الأجنحة كأنها قطعة معدنية تسير في طريقها للمغناطيس، لا تملك حق التراجع!

وما كادت تلمسها.. سمعت صوت تعجب الناس وتفاجئهم حولها! فتَلتفت بريبة.. لترى شابًا يرتدي قميصًا أبيض اللون، ملطخًا بلون الدماء القانية،

ووجهه يبدو عليه الإرهاق والألم، رغم نظراته الغاضبة والباردة.. مر من جانبها؛ فشعرت بالقشعريرة، وكأن جبل جليد مرَّ من جانبها.. تخطى الحاجز فبدأت الأجنحة في التمرد على السلاسل التي تعلقها فانكسرت، وفي جزء من الثانية استقرت مرة أخرى على ظهر ذلك الشاب، الذي اختفي بعدها كأنه لم يكن موجودًا...!

ظلت لمدة تحت تأثير الصدمة! ومرت الأيام وهي لا تستطيع إخراج ذلك الشاب أو نظرات عينيه من عقلها، ولا من أحلامها التي كانت تحاصرها....

بعد انتهاء إجازتها عادت إلى نيويورك مرة أخرى، وما أن وصلت إلى المنزل استقبلتها سلوى بترحاب حار قائلة: صغيرتي.. لقد اشتقت إليك، هل أمضيتِ وقتًا ممتعًا مع صديقاتك في لندن؟

فقبلت رحيق يد سلوى، ثم جبينها قائلةً: كيف أمضي وقتًا ممتعًا من دونك؟

ثم تبعتها للداخل قائلةً: أين أبي وتميم؟

-تميم ذهب لملاقاة أصدقائه... كان يعلم أنك ستأتين في المساء وليس الآن.. ووالدك في العمل.

-حسنًا... سأذهب للراحة قليلًا في غرفتي.

-كما تشائين صغيرتي. سأقوم بإيقاظك حالم يصل والدك.

فابتسمت رحيق بينما تسحب حقيبتها نحو غرفتها، وعندما دخلتها وضعت الحقيبة جانبًا وأخرجت دفترها؛ لتنظر إلى تلك الريشة التي احتفظت بها من ذلك اليوم في المتحف، الدليل الوحيد على أن ما رأته حقيقةً وليس من وحي خيالها.. تحسسها بأناملها، وأغلقت عينيها لتَتبادر صورته أمامها، شيء ما به يبدو مألوفًا نوعًا ما..

أغلقت دفترها وألقت بجسدها على الفراش، زفرت بقوة وحدقت في الفراغ... لا تعلم حقًا لِمَ تنشغل به، من المستحيل لها رؤيته مجددًا حتى إذا كان حقيقيًا!

رن هاتفها ليخرجها من شرودها؛ فأجابت دون النظر إلى المتصل قائلة: مرحبًا..

ليجيبها صوت روتيني لشاب قائلًا: آنسة رحيق مراد!

-أجل.. كيف أستطيع مساعدتك؟

-لقد كانت لديكِ اليوم مقابلة معنا للعمل كمساعدة.. لديكِ ساعتين حتى انتهاء ساعات العمل الرسمية، وذلك إذا كنتِ ما تزالين ترغبين بالوظيفة.. وداعًا.

قفزت من مكانها ناظرةً بتاريخ اليوم غير مصدقة أنها نسيت موعد مقابلتها تمامًا، بدلت ملابسها على عجالة، والتقطت حقيبتها الشخصية سريعًا راكضة نحو الأسفل، فَأوقفتها سلوى قائلة: ماذا هناك؟! لِمَ تركضي هكذا؟!

فقالت وهي تلتقط مفاتيح سيارتها: لقد نسيت تمامًا أن لدى مقابلة اليوم، سأتحدث معك لأحقًا أمي، يجب عليَّ الذهاب الآن؛ حتى لا أخسر الوظيفة.

كانت سلوى تعي أن رحيق نادرًا ما تنسى شيئًا، شعرت بالقلق لهذا وأخذت تنظر إليها، بينما تركب سيارتها وتقودها سريعًا.....

انعطفت رحيق بسيارتها أخيرًا أمام مقر الشركة، رتبت ملابسها ورفعت خصلة شعرها عن وجهها، ووضعتها خلف أذنها هامسةً لنفسها بأنها ستكون بخير، ستنجح بلا شك!

ترجلت من السيارة وسارت نحو الباب الرئيسي للشركة، شعرت بقشعريرة

تسري في جسدها فجأة، وداعبت أنفها.. رائحة مألوفة إلى حد ما جعلتها في حيرة من أمرها، بعد أن تقدمت نحو مكتب الاستقبال قادها أحد موظفي الاستقبال نحو المصعد، قائلًا: المساعد السابق في انتظارك في المكتب الرئيسي في الطابق الثالث.. سأخبره بوصولك الآن.

ابتسمت إليه متسائلةً في نفسها: كيف للمساعد السابق أن يجري المقابلة بدلًا من الرئيس التنفيذي للشركة؟! كان قلبها ينبض شوقًا بطريقة جعلتها لا تفهم نفسها، كأن جسدها يخبرها رسالة ما، لا يفهمها عقلها.

انفتح باب المصعد لتترجل منه نحو المكتب الوحيد الموجود آخر الرواق، كان به جدار زجاجي رأت من خلاله شابًا يجلس على سطح المكتب، يشاغب شابًا آخر يجلس على الكرسي؛ استنتجت أنهما أصدقاء، وربما عليها الانتظار قليلًا، ولكن نظرها تعلق بذلك الشاب الذي يجلس على سطح المكتب، كان لا يظهر منه سوى ظهره فقط، ولكن قلبها بدأ ينبض عنفًا دون سبب مقنع لها، فهي لا تعلم من يكون، أو بالأحرى هي لا تعلم أي شاب نهائيًا.

التفت فجأة نحوها؛ لتتجمد مكانها، إنه ذلك الشاب من المتحف!

ارتسمت على وجهه علامات استفهام، وتفاجأ واستدار مرة أخرى نحو الشاب الآخر، وهو يهبط عن سطح المكتب بحركة مرنة سريعة..

لم تستطع فعل شيء سوى التحديق بهما، وقد بدا عليهما الجدال، وبعدها دلف شاب المتحف نحو مكتب آخر متصل بالأول، بينما تقدم الشاب الآخر نحوها قائلًا: مرحبًا بكِ آنسة رحيق، لقد كنت في انتظارك.

فقالت متعثرةً: مرحبًا... آمل ألا أكون قد قاطعت شيئًا.

فابتسم لها قائلًا: لأدهم لم يكن يعلم أن مساعدته الجديدة ستكون فتاةً،

فقط اسمحي لي باصطحابكِ إلى مكتبي.

فتبعته، بينما يقول: أنا أُدعى براد، لقد كنت مساعدًا لأدهم منذ سنوات، والآن ستكون هذه وظيفتك.

فقالت باندهاش: ولكن أليست هذه مقابلة؟! ترى هل سأكون مناسبة أم لا؟!

فضحك بينما يجلس على الكرسي، ويشير لها بالجلوس قائلًا: هذه تكون العادة، ولكن أنا أرى أنك ستكونين مناسبة لهذه الوظيفة.... في العادة أيضًا لا يتم تذكيرك بالموعد الذي كدتِ تنسيه اليوم، أليس كذلك؟!

فنظرت إليه غير فاهمة فقال مبتسمًا: لا أدري حقًا السبب –إلى الآن- ولكن أدهم اهتم بملفك كثيرًا... أنا صديق له قبل أن أكون مساعدًا، وسأظل كذلك، والآن لنُركز أكثر على العمل الذي ستقومين به...

أدهم لا يظهر كثيرًا، لا أحد تقريبًا في الشركة يعلم من هو أو حتى شكله؛ لذا الاجتماعات ستكون على عاتقك، قد تظنين أنك تعملين كمساعدة، ولكنكِ في الظاهر للجميع ستكونين المدير التنفيذي. أدهم سيكون هنا من الحين للآخر؛ ليتابع الأعمال معكِ، وفي بادئ الأمر سيكون هنا يوميًا؛ ليرشدك إلى الطريق الذي يفضله في العمل..

هذا جهاز لوحي عليه كل ما قد تحتاجينه في العمل، سيكون معك دائمًا من الآن وصاعدًا.. سَتأتين غدًا في موعد العمل، وسيقوم أدهم بشرح كل شيء لكِ تباعًا.. هل هناك أي استفسار ترغبين بطرحه؟

فنظرت إليه قليلًا وقالت: ما هو سبب تركك للعمل؟

-امممم.. بعض القضايا الشخصية، ليس هناك أي شيء يتعلق بالعمل، إذا

كان هذا ما تسألين عنه.

-لقد أخبرتني بأن السيد أدهم لم يكن يعلم أن مساعدته الجديدة ستكون فتاة؛ لذا ألا يتعين عليَّ أولًا الحصول على موافقته لبداية العمل؟

-لا يفصلك عنه سوى هذا الباب، إذا أردتِ الحصول على موافقته؛ اذهبي إليه.

نظرت رحيق نحو الباب الفاصل بين المكتبين قليلًا، ثم إلى براد الذي أشار إلى الباب مشجعًا، ثم تقدمت نحو الباب بخطى غير واثقة، وطرقته بضعف، فأتى صوته مخمليًا مجيبًا: يمكنك الدخول.

ففتحت الباب؛ لتجده يجلس على حافة المكتب الخاص به، يوليها ظهره يحدق من النافذة... التقطت أنفاسها.. لتجده يستدير إليها فترى عينين زرقاوين، تنظران إليها من خلف تلك الأهداب السوداء الطويلة بشيء من الحيرة والامتنان، كانت الجبال الجليدية التي رأتها بهما قبلًا تنصهر داخل أمواج هَائجة.. أطلقت أنفاسها التي حبستها سريعًا، وقالت: لقد أردت الحصول على موافقتك لأبدًا العمل من الغد قبل مباشرتي للعمل..

فتقدم خطوة نحوها مترددًا، ثم قال: لا بأس، أنا أثق في اختيار براد مهما كان... يمكنكِ العمل رسميًا معي من الغد.

نظرت نحوه في حيرة من أمرها؛ لا يبدو غريبًا لها، تشعر بأنها عرفته منذ وقت مضى.. نظرات عينيه تفضح توتره حيالها.. تلك الرائحة التي داعبت أنفها قبلًا تبدو قوية الآن، سيطرت على تفكيرها.. ثم شكرته مغادرة...

عادت رحيق إلى المنزل غير مصدقة أنها حصلت على وظيفة بهذه السهولة! وحالما دخلت وجدت تميم يضع ذراعه حول كتفها يضمها إليه، قائلًا: كيف كان الأمر جلالة الأميرة!

فضحكت قائلة: لقد اشتقتُ إليك أيضًا سعادة الأمير تميم.. لقد حصلت عليها.

فَأفلتها قائلًا: حقًا! هل نجحت المقابلة؟!

فَأماءت برأسها إيجابًا؛ فحملها سريعًا ودار بها، قائلًا: مبارك لكِ... سأقوم بإعداد هدية لذلك.. لا تتناولين الغداء قبلي!

ثم تركها وسارع بالذهاب خارجًا، بينما تقدم نحوها مراد وهي تلتقط أنفاسها قائلًا: صغيرتي..

فركضت نحوه قافزة محتضنة إياه، قائلة بسعادة: أبي.. لقد اشتقتُ إليك!

فضمها إليه قائلًا: وأنا أيضًا كذلك... مبارك لكِ الوظيفة.

فرفعت رأسها إليه قليلًا، وقالت: سأباشر العمل من الغد.. سيمكنك الراحة، الآن لستَ مجبرًا على العمل مجدداً؛ كوني المساعدة الأولى يوفر لنا النفقات التي نحتاجها، وتميم يبحث هو أيضًا عن عمل.

فربت على ظهرها قائلًا: هل يستطيع الملك ترك أعماله للأمراء والتنحي بعيدًا...! لا أظن ذلك سيكون مقبولًا..

فتنهدت قائلة: أبي.. لِمَ لا تستمع إليّ! يمكن لأحدنا أن يكون ولي العهد ويستلم زمام الأمور، ويتنحى الملك ويعيش برفاهية قليلًا، أليس كذلك؟ لا تكن ملكًا مستبدًا!

فَقرص خدها قائلًا: لستُ مستبدًا..

فضحكت بينما تتجه نحو غرفتها وقالت: سأبدل ملابسي وأرتاح قليلًا ريثما يعود تميم.

دخلت غرفتها وأغلقت الباب لتعود إلى طبيعتها الحائرة.. توجهت نحو الفراش وجلست على حافته، وغرقت في تلك الذكرى التي لم يتحدث عنها أحد كأنها لم تحدث في لندن، بالرغم من وجود العديد من الصحفيين! لم ينشر أي شيء في الصحف!

وها هو أمامها مرة أخرى يبدو طبيعيًا تمامًا، ولكن هي التي لم تكن طبيعية أبدًا؛ تلك الرائحة وتلك النظرات، وذلك الشعور الغريب الذي راودها لم يكن غريبًا عنها، ولكنه بحسب عِلمها جديد رغم قدمه..

شعرت أنها تائهة، كأنها تغرق داخل مياه سميكة باردة، وقلبها يريد الهرب بعيدًا، ولا تعلم حقًا إلى أين سيذهب! زفرت وتركت جسدها يسقط على الفراش، واستلمت للنوم استجابة لدعوة جسدها المتعب...

***

شارف الليل على الانتهاء وما يزال أدهم جالسًا على حافة الشرفة ينظر إلى السماء، ولا ينظر إليها حقًا.. كان غارقًا في ذكرى قديمة لرحيق عندما كانت في سن الحادية عشر، عندما ضاقت كل السبل عليهما ولم يعد يستطيع أن يظل في حياتها.. كانت مميزة منذ ولادتها، استطاعت رؤيته عندما كان يتجول دون جسده.. عاد إلى منزله ليجده مسكون من قبل أسرة أخرى، ولم يكن يدري أن جسده كان في حالة سبات عميق لسنوات طويلة..

انجذب نحو الطفلة الرضيعة وشعر أنه استمع تلك النبضات السريعة الصغيرة من قبل.. اقترب منها ومد يده نحوها؛ ليجدها تضحك إليه ببراءة.. ظن أنه علم الآن أن الرضع يرون الأشباح أو الأرواح الهائمة، ولكن مع تردده دائمًا إليها علم أنها تستطيع رؤيته! وحدها من يستطيع ذلك!

وأصبح يهرب من الآلام المتكررة وتخدره الدائم ليجد السلام معها، تعلق بها

وتعلقت به، ولكنه أصبح يسبب لها المشاكل والأذى؛ فقد ظن والدها أنها مريضة نفسيًا، وبعدها ظنوا أنها ممسوسة، وعانت بسببه إلى أن قررت أن تخفي وجوده وتمثل أمام الجميع أنها لا تراه.. ولكن لم تستطع النجاح! فوجد نفسه يستخدم قواه العقلية عليها؛ ليجبرها على نسيانه تمامًا، ومتابعة حياتها بصورة طبيعية...

زفر متهكمًا لسخرية القدر الذي وضعها أمامه مرة أخرى، لتكون معه مرة أخرى.. لقد شعر بها وهي تنظر إليه، لم يكن يصدق أنها حقًا في نفس المكان معه رغم كل شيء...! نَبض قلبه كأنه عاد للحياة مرة أخرى، وهو ينظر إلى عينيها الفضيتين وشعرها الكستنائي القصير المسدل إلى كتفيها.. شعر برغبة في الاقتراب منها والتمسيد عليه كما كان يفعل دائمًا.. شعر أيضًا بالضيق؛ لأنه يعلم أنها نسيت كل شيء....

تَنبه أخيرًا إلى أنه جلس طويلًا على حافة الشرفة عندما بدأت أشعة الشمس تداعب عينيه المرهقتين؛ دلف إلى الغرفة وسار كالتائه لا يعلم كيف سيتعامل معها! شعر بالارتباك لفكرة أنه سيمضي اليوم بأكمله معها...!

ارتدى ملابسه المعتادة: قميصًا أسود اللون، وبنطال جينز أسود، والتقط سترته الجلدية، ووجد نفسه يدندن تلك الأغنية التي كان يغنيها لها وهي صغيرة لتغرق في النوم... ارتَسمت ابتسامة جانبية صغيرة على شفتيه بينما يتجه إلى الخارج، وشعر لأول مرة بالحماسة للذهاب إلى العمل وكان يدري تمامًا السبب...

أوشكت الساعة التاسعة صباحًا أن تدق، وحانت أخيرًا ساعات العمل..

كان أدهم يشرب كوب قهوته الثاني حين طرقت رحيق الباب؛ نهض من مكانه نحو الباب، وقام بفتحه وهو يقاوم الابتسام بطريقة ستبدو غريبة

إليها، وقال: تبدين دقيقة في مواعيدك اليوم خلاف البارحة.

شعرت رحيق بالغيظ فجأة، هل يحاول العبث معها الآن! وقالت محاولة رمي الكرة في ملعبه ليصمت: لقد عدت من لندن للتو البارحة، لذا..

اقتضب جبينه وبدأ الجليد بالصعود مرة أخرى إلى عينيه، وقال بصورة آلية: لا بأس.. لدينا العديد من المهام اليوم بما أنه يومك الأول..

ثم تحرك نحو مكتبه محاولا عدم إظهار استيائه من تذكر تلك الحادثة التي وقعت معه في لندن منذ أيام.. وقام بفتح بعض الملفات أمامها قائلًا: هل هذه أول وظيفة لكِ منذ حصولك على الشهادة الخاصة بك؟

-أجل.. لم ألقِ القبول في بعض الشركات الأخرى.

-حقًا! هذا غريب؛ ملفك الشخصي ممتاز للغاية، وفترة تدريبك كانت قصيرة أمام درجة الامتياز التي حصلتِ عليها.

-لا أدري، ربما يكون هناك من كان يستحق الوظيفة أكثر مني.

قرأ الكذب في جملتها الأخيرة وعلم بوجود أسباب أخرى، ولكنه أراد اختبار ذكائها الحاد بنفسه؛ لذا قرر عدم إخبارها من الآن أن هناك اجتماع لمناقشة أحد المشروعات الاستثمارية للشركة، وبدأ في شرح كيفية سير الأعمال..

كانت رحيق تسرق نظرات نحو وجهه الشاحب أسفل الإضاءة المباشرة؛ لقد سحرتها تلك العيون المختبئة خلف هذه الأهداب الطويلة.. ذلك الجليد الذي يظهر ويختفي.. تلك الأمواج الهائجة أحيانا تصطدم، وأحيانا تُحطم..

عضت على شفتها السفلية محاولة التركيز على الأوراق أمامها، بينما هو يشعر بها ويبتسم بمكر داخله..

من الطبيعي ألا يلاحظ شيئًا، ولكن ذلك الاتصال بينهما يخوله بملاحظة الكثير دون أن تدري..

شعر بالامتنان لذلك.. تمني لحظةً لو تشعر به هي أيضًا، ولكن هكذا أفضل. لن يدخل حياتها ويفسدها مرة أخرى؛ تكفيه مرة واحدة! ولكنه شك في قدرته على ذلك طويلًا؛ فحواسه الحساسة تستشعر كل شيء: رائحتها، دقات قلبها الهاربة، وأنفاسها التي تتبخر في الهواء..

حاول طرد كل هذا بعيدًا، وقال: رحيق... لا بأس في ذلك، أليس كذلك! لم أقصد مناداتك هكذا دون ألقاب...!

جفلت عندما سمعت اسمها يخرج من بين شفتيه بتلك النبرة الحانية، طرفت بعينها وقالت: لا بأس... ماذا هناك؟

-لا شيء مهم، حاولي فقط مطالعة تلك الملفات، إنها الصفقات الأخيرة التي قمنا بها لتسليم شحنات من العطور، سَتحتاجينها في اجتماع اليوم.

-اجتماع... اليوم!!

-لا تقلقي سأكون معكِ عبر هذه السماعة الصغيرة، لن يلاحظ أحد. سيكون هذا اجتماعكِ الأول؛ لذا أنا أتطلع لذلك... إذا احتجتِ إليَّ يمكنك الدخول في أي وقت.

كان يريد وقتًا مستقطعًا ليعيد زمام الأمور مرة أخرى إلى نصابها؛ ليستطيع المواصلة من دون سرقتها بين ذراعيه.... فهمت ما يرمي إليه واستأذنت للذهاب إلى مكتبها..

وما أن رحلت زفر في معاناة؛ لقد كان يظن أنه تجاوز كل هذا.. تلك المشاعر لا ينبغي عليه أن يحملها؛ فهو يعلم جيدًا أنه لا يسبب سوى الأذى إلى أي

شخص يحبه، كما أنه ليس بالجيد لها الآن.. لم يعد ذلك البطل، ربما يكون هو الشرير في القصة الآن..

أغمض عينيه وأسند نفسه إلى الكرسي، واستحضرها في عقله؛ ليتمكن من رؤيتها وهي تجلس منهمكة في الأوراق أمامها وتدون ملاحظات صغيرة من حين لآخر.. أخذ يتأمل تلك العيون الفضية التي تمحص كل شيء، وإلى تلك التجاعيد التي تظهر وتختفي على جبينها..

غرق في ذكرى أخرى عندما كانت تستعد للامتحانات وهي صغيرة، ولا تسمح لوالدتها بالمساعدة، وعندما ترحل تنظر إليه راغبة في مساعدته لها، ولكم كان يحب ذلك.. ولكنها الآن تمعن التفكير وتتدبر أمرها...لا بد من أن الوقت الذي مضى عليها من دونه نجحت في النجاة بمفردها..

ظل بروحه جالسًا على الكرسي الأقرب إلى مكتبها يراقب كل ما تقوم به، وقد ظن أنها ما عادت تشعر به كالسابق، ولكنه تفاجأ من جَفلتها ووقوفها فجأة في مكانها تحدق به، وتنظر نحو الجدار الزجاجي الذي يظهره مسترخيًا على كرسي مكتبه؛ فقرر الاختفاء والعودة إلى جسده، بينما هي ظلت تحدق في الكرسي الذي أمامها تارة، وإلى مكتبه الذي ظل ساكنا خلفه؛ تحاول عقل أنها تخيلت وجوده للتو أمامها...!

شعر بارتَباكها وبدقات قلبها العنيفة؛ فشعر بالاختناق جراء ذلك.. لم يكن من المفترض فعل ذلك، ما كان عليه المجازفة بالرغم من السعادة التي شعر بها عندما وجدها قادرة على رؤيته كما كانت قبلًا.. هذا يعني أنها تستطيع الشعور به.. ولكن هل ستصفح عن كل شيء، أم أنها ستكون كعادتها تخبئ كل شيء داخلها كما كانت تفعل! لم تكن تبوح بأي شيء إلا إليه.. فتح عينيه مصطنعًا أنه كان نائمًا؛ ليجدها تقف خلف باب المكتب تنظر إليه خلسة؛ فابتسم إليها قائلًا: آسف، كنت نائمًا. لم أنم البارحة.. هل لديكِ أي تساؤلات؟

قالت بتلعثم: أجل... لا... أقصد.. لا أعلم تمامًا كيف تتم الاجتماعات؛ لذا..

فاحت رائحة الكذب من كلامها إليه، وما كان ليتوقع غير ذلك؛ فدعاها للدخول وبدء في شرح كل ما سيكون عليها فعله: من الاستماع إلى من يرغب بتقديم اقتراحات استثمار جديدة قد تعود على الشركة بالنفع، ومحاولة وضع خطة نجاح للشهر الحالي... محاولا عدم النظر إليها، بينما يشعر بنظرتها المثبتة عليه، لا على الأوراق التي يريها إياها.. ابتسم فجأة ولم يستطع السيطرة على نفسه؛ فهي كعادتها تفكر طويلًا في كل شيء، فحاول العبث معها قائلًا: هل أبدو وسيمًا إلى هذا الحد!

ورفع نظره نحوها؛ ليجدها تضم شفتها غضبا وتقول: هل أنت متفاخرًا دائمًا إلى هذا الحد!

فلم يستطع مقاومة جعلها أكثر غضبًا؛ فقال: إذن لِمَ تحدقي بي؟!

فسحبت الأوراق سريعًا وقالت: لقد كنت شاردة فقط.

-حقًا... إذن، هل ذهب كل شرحي لكِ سدى؟

فقالت ببرود: لا أستطيع تدبر الأمر.

فابتسم لها ابتسامة كبيرة بينما هي تخرج خارجًا تشتعل غضبًا لكونها استسلمت للتفكير في تخيلات لا أهمية لها، جلست على حافة المكتب تتساءل حول كل هذه المشاعر والتخيلات التي سيطرت عليها منذ أن أتت إلى ذلك المكان.....

***

استيقظت رحيق مبكرًا، ونظرت إلى الساعة فلامت نفسها على الاستيقاظ

مبكرًا يوم إجازتها.. نظرت إلى اللوحة التي ألصقتها بالسقف.. تأملت تلك الأجنحة السوداء المتداخلة فيما بينها، كان هذا هوسها الأخير منذ أن رأت تلك الأجنحة في المتحف.. أجل، منذ ذلك اليوم وهي لا تشعر بأنها على ما يرام.. كل شيء غريب حولها!

زفرت ونهضت نحو ماكينة القهوة التي وضعتها على مكتبها، ما زال والداها يرون ذلك غريبًا ومبالغًا فيه، وعلى وجه التحديد سلوى دائمًا ما تقول لها أنها ليست كسولة في أي شيء سوى في طريقتها في الحصول على قهوتها الصباحية.. ضحكت بضعف لذلك، وصبت كوبها وذهبت إلى بقعتها المفضلة في الزاوية أمام النافذة لتجلس على مقعدها الهزاز..

كانت تريد الحصول على بعض الصفاء، ولكن وجدت نفسها تفكر في أدهم.. من المستحيل الآن أن يكون ذلك الشخص الذي رأته في المتحف؛ فهي تعمل معه الآن منذ ثلاثة أسابيع وتراه يوميًا شخصًا طبيعيًا للغاية. أما غير الطبيعي تلك المشاعر الغريبة التي تشعر بها، الشيء الغريب هي وليس هو..

زفرت محاولة طرد كل شيء مع زفيرها، وشربت كوبها دفعة واحدة ونزلت به نحو المطبخ،

فوجدت سلوى تحضر العديد من الأشياء كأن اليوم مناسبة خاصة أو ما شابه؛ فقالت متسائلة: أمي، ماذا هناك؟ لِمَ تحضري كل هذه الأشياء؟

فابتسمت سلوى لها ابتسامة لم تفهم رحيق مغزاها، وقالت: لدينا ضيوف مميزون اليوم.. هل تذكرين صديق والدك الطبيب وحيد؟ سيكون هنا اليوم مع أسرته.. والدك سيذهب لاستقبالهم عند الظهيرة هو وتميم..

-يوم إجازتي سيهرب بعيدًا إذا... فيمَ أستطيع مساعدتك؟

-لا تقلقي صغيرتي؛ لقد تدبرت كل شيء. فقط... ما رأيك بتجربة ذلك الثوب الذي اشتريته لكِ أول أمس؟

هنا فهمت ما ترمى إليه سلوى وتلك الابتسامات المخيفة التي تتطاير في الهواء؛ فقالت بمكر: ملكتي العزيزة تحاول إيجاد أمير تائه.

فضحكت سلوى قائلة: أنت مثل والدك تمامًا، تتحدثين هكذا عندما تريدين إجابة تعرفين أنني لن أقولها لكِ... حسنًا، لا بأس.. أجل، الطبيب وحيد في زيارة لنا لطلب يدكِ لابنه الثاني يوسف، هل تذكرينه؟

فتنهدت رحيق قائلة: لا.. لا أذكر أيًا منهما.. ولكن أمي. أنت تعلمين أنا لا أريد ذلك الآن! وتعلمين أنني أريد التركيز على عملي وعلى الدراسة التي سألتحق بها مع بداية الخريف...

-عزيزتي.. لقد بلغتِ السادسة والعشرين من عمرك، مَاذا تنتظرين إذن!

كانت رحيق تعلم أنها رفضت العديد من قبل دون أي سبب، متحججة بنفس الحجج الواهية.. هي لا تدري السبب الحقيقي ولكن دائمًا ما تجد نفسها ترفض، هذه المرة يبدو أن والديها متحمسان أكثر من المعتاد؛ فهما يريدان لها أن تتزوج شابًا مصريًا؛ ليكون على نفس العادات والتقاليد الاجتماعية التي هم عليها؛ لذا كل مرة لم يكن الأمر جديًّا كهذه المرة؛ فقالت باستسلام مؤقت: حسنًا أمي، لنرى ذلك المدعو يوسف أولًا وبعدها سأقرر..

فقالت سلوى بحماس كبير: بالطبع صغيرتي.. القرار يعود إليك في النهاية.

كان هذا الشيء الوحيد الذي يدعو للراحة في نهاية الأمر.. والداها لن يجبراها على الارتباط بأي شخص كان لا تريده..

صعدت إلى غرفتها؛ وفتحت خزانتها لتنظر إلى ذلك الثوب الزهري الذي

أحضرته والدتها إليها، كيف ذلك! ألا تعلم أنها تكره تلك الألوان! أخرجت ثوبًا آخرًا أرجوانيا وابتسمت؛ كان أبوها دائمًا يدري تمامًا ما تحبه وما قد ترغب به... أمي متوافقة مع تميم أكثر مني...

ارتدت الثوب الأرجواني ووقفت أمام مرآتها.. كان يبدأ بطبقة رقيقة من الدانتيل يغطي كتفيها نزولًا إلى ذراعيها كأنها تلف الأزهار حولها، وبعدها طبقة مزدوجة تغطى أعلى صدرها نزولًا إلى خصرها النحيل، ثم يهبط فضفاضًا..

نظرت إليه مطولًا وشردت؛ لتجد أدهم يقف خلفها ينظر إليها بإعجاب؛ فاستدارت لتجد غرفتها فارغة! بالطبع فارغة... تلك التخيلات العديدة أصبحت لا تطاق... هبطت الدرج متوجهة نحو المطبخ، والتقطت شريحتين من الخبز المحمص وكادت تذهب؛ فأوقفها مراد قائلًا: عزيزتي هذا ليس فطورًا.. اجلسي معنا على المائدة وحاولي تناول شيء ما.

-أبي، لدي بعض المهام عليّ إنهاؤها قبل الظهيرة!

-أعلم، لذا تناولي معنا الفطور أولًا.

كان مراد يعلم طبيعة رحيق الانعزالية، ولم يكن يعلم تمامًا كيف ستتم الأمور اليوم.. فيوسف شاب جيد وبه كل المواصفات التي قد ترغب بها أي فتاة، ولكن رحيق ليست كأي فتاة... تركها تجلس وترتشف بعضًا من العصير، ثم قال: صغيرتي، كيف يجري العمل معك؟

-ما زلت أتلقى المساعدة من أدهم.. أقصد المدير التنفيذي.. ولكن كل شيء يجرى بحالة ممتازة، لقد نجحت في رسم خطة ناجحة لهذا الشهر.... سيكون هذا الأسبوع حافلًا!

-إذا... أدهم... كيف حاله معك؟

-بخير على ما أعتقد... لِمَ؟

-تميم قال لي أنه لا يظهر تمامًا، لا أحد يتعامل معه سواكِ!

فنظرت رحيق قليلًا إلى تميم الذي سارع بقضم الخبز وافتعال أنه لم يفعل شيئًا، ثم قالت: أجل... أنا أمام موظفي الشركة وأي شركة أخرى المديرة التنفيذية، ومساعدة أمامه هو فقط.. ما زلت لا أعلم السبب خلف ذلك!

-هل تتذكرين يوسف ابن صديقي وحيد؟

-لا أظن ذلك!

-كنت أعلم ذلك... إنه يعمل في شركة استثمارية هو أيضًا؛ قد تجدون اليوم ما تتحدثون حوله.

وكعادتها نشرت دروعها قائلة: أبي... لا أتحدث عن تفاصيل عملي مع أي شخص آخر.. إنها أسرار تخص غيري، ألا تجد الأمر كذلك أنت أيضًا؟

فضحك لذلك وقال: أنا متأكد من أنه سينال إعجابك... إنه شاب مرح، أعطه فرصة.

-بالتأكيد.. لِمَ لا!

كان مراد يعلم أن هناك شيئًا ما يجرى مع رحيق، لا تدري هي به أو تحاول تجاهله.. ذلك الشاب أدهم لابد لي من مقابلته مرة على الأقل لأعرف تمامًا أي الأشخاص هو، ولكن بما أن رحيق لا تصرح بأي شيء قد يكون ذلك تفكير زائد لا أكثر..

وبعد وقت الظهيرة.. كانت رحيق جالسة في الحديقة تضع سماعات الأذن، غارقة في الألحان التي تستمع إليها وهي تكتب ما قد يجول في خلدها عندها

وصل مراد، وبصحبته وحيد وزوجته هيام وابنيهما عمر ويوسف...

وعندها استقبلتهم سلوى واحتضنتها هيام شوقًا. فبالرغم من وجود يوسف هنا في نيويورك للعمل إلا أن عائلته كانت لا تزال في مصر. تنبه مراد لغياب رحيق بعد أن جلسوا في غرفة الاستقبال؛ فقال لسلوى: أين رحيق. عزيزتي؟

فنهض تميم قائلًا: وأين تظن؟ لا بد أنها في الحديقة الآن... سأذهب إليها؛ لا بد أنها لم تدرِ بوصولنا.

كان يوسف في اشتياق دائم لرؤية رحيق منذ أعجب بها في آخر مرة التقت العائلتان معًا منذ سنتين في مصر، وعندما رآها بالصدفة في إحدى الشركات الاستثمارية المنافسة في إحدى الاجتماعات.. لم يصدق نفسه عندما رأي الجليد المحيط بها ذائبًا وكانت تتكلم بقوة، وكانت نظراتها غير مبالية بالرغم من عنادها أمام مديره التنفيذي، وفي النهاية فازت بالصفقة بجدارة..

كانت لها شخصية أخرى غير تلك الصامتة كأنها غير الموجودة، مما زاد إعجابه بها، وجعله مصممًا على الحصول على قلبها،

وجعلها شريكة حياته.. وغير هذا كله كان مفتونًا بجمالها الطبيعي الخالي من أدوات الزينة....

عندما دخلت رحيق إلى الغرفة كانت مرتبكة قليلًا لا سيما أنها تذكرت تلك العيون الزرقاء فجأة، والتي كانت تنظر إليها معاتبة لها؛ نفضت تلك العيون بعيدًا وهي ترحب بهم، ثم جلست على المقعد الفارغ قرب تميم هامسة له: هل سيطول الأمر؟

فضحك قائلًا: لا أعلم.. أرجو ألا يطول.

فهمهمت بغيظ: عديم الفائدة.

لقد جعلتها تلك التخيلات غاضبة؛ لِمَ يؤنبها الآن؟ لِمَ ينظر إليها بتلك الطريقة؟ ماذا فعلت! من الحماقة أن تتسأل من الأساس، كلها مجرد تخيلات لا وجود لها..

بدأ مراد ووحيد في التحدث عما مضى، وعن تلك الذكريات التي قد تبدو مضحكة.. لاحظ مراد نظرات يوسف المتفحصة نحو رحيق، بينما رحيق ببساطة تتابع الحديث بغير اهتمام ملحوظ؛ فقال: يوسف.. كيف يسير العمل؟

فتلعثم يوسف للحظة ثم ابتسم قائلًا: في الحقيقة لم نستطع النجاح في الخطة الاستثمارية لهذا الشهر؛ أصبح لدينا منافس قوي.

-حقًا... هل أنت المدير التنفيذي لشركتك؟

-لا.. أنا مساعد ثان..

أدرك مراد أن يوسف يحاول إدخال رحيق في الحديث؛ فبادر بالمساعدة قائلًا: رحيق.. أخبرتني أنها نجحت في تنفيذ خططها لهذا الشهر.

-أبي. رجاءً..

فقال يوسف: بالطبع نجحت... إنها المنافس القوي الذي أتحدث عنه.

فضحك وحيد قائلًا: لا أصدق... رحيق خجولة للغاية، كيف ستهزم مديرك إنه صعب المراس..

شعرت رحيق بالضيق لهذا؛ فأسدلت ستار هدوئها ثم قالت: الخجل ليس عائقًا في العمل؛ فجميع المحادثات تكون حول مشروع ما، أو خطة تطوير، أو حرب باردة للفوز بصفقة.. ليس هناك مجال للخجل في ذلك... كما أنني المديرة التنفيذية وكل شيء يترتب عليّ.

شعر مراد بتلك الفراشة التي بدأت بالخروج من شرنقتها أخيرًا؛ ابتسم فخورًا بها، ثم تذكر أنه دائمًا فخور بها؛ ضحك بصمت لذلك.. بينما كان يوسف قد وجد أخيرًا طرف الخيط للحديث، وهو لا يعلم أنها لن تتحدث عن طبيعة عملها معه؛ فقال: هل صحيح تلك الإشاعة التي تدور حول الشركة الخاصة بك؟

فنظرت إليه غير فاهمة؛ فقال موضحًا: تلك الإشاعة حول أن المدير التنفيذي للشركة مختبئ خلف مساعديه... أهذا صحيح؟

فنظرت قليلًا له ولم تجب مباشرة، وأخذت تعبث في هاتفها قليلًا، ثم قالت في النهاية: وما ظنك أنت؟

فقال متسائلًا: لا أعلم حقًا.... لهذا أقوم بسؤالك.

فرفعت نظرها إليه وقالت: هل صحيح أن مديرك سَيستثمر في مشاريع صغيرة بسبب احتمالية تعرضه للإفلاس؟

فنظر إليها قليلًا، وقال: هذه أسرار عمل!

فابتسمت إليه قائلة: لقد حصلت على جوابك أنت أيضًا.

لم تعجب هيام بشخصية رحيق الكتومة والقوية في عدم البوح بأي شيء، شعرت بأنها مثل الرجال، يصعب اقتلاع الكلام منها.. لاحظت سلوى تلك النظرات المتفحصة التي تمشط ابنتها؛ فقالت لها: عزيزتي.. ما رأيك بتركهم قليلًا... لدي زاوية جديدة في الحديقة..

فابتسمت لها هيام ونهضت معها على مضض؛ فهي كانت تريد معرفة تلك الفتاة الغريبة التي يريدها ابنها.. فهي ليست خجولة وضعيفة كما تظن ستُجبرها على ترك العمل والولايات للعودة إلى مصر، وما كانت تريد أن

يظل ابنها هنا طويلًا...

بينما قال عمر ضاحكًا: إنها منافس قوي لمديرك فعلًا..

وعندها رن هاتف رحيق الخاص بالعمل؛ فنهضت مستأذنة وسارت نحو الحديقة على غير علم بوجود أحد بها قائلة: مرحبًا...

فقال أدهم بنبرة صوت معاتبة لم تكن تدري سببها: عليكِ المجيء الآن إلى الشركة؛ هناك صفقة ناقصة كان عليك إتمام ملفها أمس!

-هل أنت متأكد؟ لقد تأكدت جيدًا بالأمس من إنهاء كل شيء.... لدي ضيوف لليوم، لذا..

-أنا آسف لهذا، ولكن على ضيوفك الانتظار.. هل الأمر مهم أكثر من عملك؟

-أنت تعلم أنني أهتم بكل شيء نسبيًا، والأمر غير مهم على الإطلاق، إنه صديق أبي على كل حال لا شيء آخر..

شعرت به يتنفس الصعداء وزاد ذلك من ريّبتها فقالت: ماذا هناك؟

فتدارك نفسه سريعًا وقال: لا شيء، لقد ربحت صفقة في البورصة للتو.. هل أمامك الكثير قبل أن تأتي؟

-ما زلت لا أعلم... ولكنني سأحاول المجيء سريعًا.. وداعًا.

وعندما دلفت للداخل قالت هيام: ألا تعلم ابنتك بالأمر؟

فتساءلت سلوى قائلة: لِماذا؟

-قولها إنها زيارة عادية إلى من كانت تحدثه.. آثار ذلك تساؤلي!

-رحيق لا تحب التحدث كثيرًا، ولا تحب إلقاء الأضواء على حياتها الشخصية في العمل والعكس، كل شيء يبقى على حدة، هي ليست ثرثارة كأي فتاة أخرى.

شعرت هيام أن سلوى لا تحاول البحث لها عن عذر لقول ابنتها، بل أخذت تتفاخر عوضًا من ذلك! كانت تريد فتاة يرغب بها ابنها وتكون طوعها، ورأت أن ذلك مستحيل مع شخصية رحيق..

وعندما دخلت رحيق إلى الداخل قالت بطريقة منهية بها أي مناقشة: أبي، عليّ الذهاب الآن إلى الشركة؛ عليّ إتمام بعض الأمور، سأحاول العودة سريعًا..

فنظر إليها مراد قليلًا؛ ليجدها بدأت بالفعل بالعمل على جهازها اللوحي، وهي تسير مبتعدة؛ فقال وحيد: ابنتك جادة في عملها للغاية.

فضحك مراد قائلًا؛ لقد عملت بجد للوصول إلى تلك المهنة عليها العمل بجد بالتأكيد.

فنهض يوسف قائلًا: سَأعرض عليها المساعدة إذن..

ثم سارع باللحاق بها قبل أن تركب سيارتها بينما هيام تراقبهما باهتمام..

فنادى قائلًا: هل يمكنني الانضمام إليك!

فنظرت إليه قليلًا، ثم نظرت نحو هيام التي تراقبها، وإلى والدتها التي تحاول جعلها توافق بإيماءة منها؛

فتنهدت قائلة: يوسف.. ليس عليك حقًا محاولة التعامل معي فيما يتعلق بالعمل، سأحاول العودة سريعًا، عندها يمكنك التعامل معي كما يحلو لك.

تعجب من إجابتها عليه، وقال: إذا أصبحنا معًا بعد ذلك لن تكون هناك أسرار بيننا، سواء في العمل أو في غيره.

فضحكت بضعف قائلة: لم أقل بأننا سنكون معًا بعد ذلك... من أين وصلت إلى هذه النتيجة؟

فابتسم لها قليلًا: إنهم يتفقون على تحديد موعد الخطبة بالفعل.

فأغلقت باب سيارتها بقوة وسارت غاضبة إلى الداخل، ووقفت أمام والدها قائلة: أبي، أحتاج منك خدمة صغيرة.. هلا أتيت معي قليلًا؟

فتردد قليلًا، ليجدها تقول: عذرًا سيد وحيد، سأسرق أبي منك قليلًا.

فقال مراد: حسنًا.. عن إذنك وحيد.. بني... لن أغيب طويلًا.

ثم نهض وتبع رحيق وهو يعلم أنها غاضبة بشدة من شيء ما، ويحاول أن يحزر ما الذي فعله يوسف لها لتغضب هكذا.. فقالت حين دخلت غرفتها وهي تغلق الباب خلفه: أبي، أنا لن أرتبط بذلك الشاب ولا بغيره في الوقت الحالي.. هل حقًا دون أن تعلم قراري تتفق على موعد الخطبة؟!

فابتسم متفهمًا، فهو كان يجاري وحيد لا أكثر، وقال: أميرتي الصغيرة.. كيف يا ترى سأفعل ذلك إذا كنتِ لا ترغبين به! لا داعي للقلق؛ لن يحدث أي شيء.

نظرت إليه رحيق غير فاهمة، إذن كيف كان يتباهى ذلك الأحمق بذلك أمامها، فقال مراد: عزيزتي... قمتُ فقط بمجاراة الحديث لا أكثر، ريثما أتكلم معك، وإذا كانت هذه إجابتك سأقول لك تريثي إلى نهاية اليوم فقط حتى تحكمين عليه بطريقة صحيحة، ولكن لن أقوم أبدًا بدفعك نحو شخص لا ترغبين به!

فرن هاتفها برنة مميزة قليلًا؛ فأجابت سريعًا قائلة: لا داعي للاتصال مجددًا.. أدهم... لقد أخبرتك، سآتي..... حسنًا.. وداعًا.

ثم تنهدت في راحة قائلة: شكرًا لك أبي... ولكن عليّ الرحيل في الحال، يبدو حقًا أن الأمر هام جدًا.

فابتسم لها تاركًا إياها ترحل..

أدهم.. ذلك الشاب يجعلها تتعامل معه دون رسميات، وهي تتعامل معه دون حواجز، وتظهر انفعالاتها أمامه كأنه صديق أو ما شابه.... فكر مراد في سببٍ ذلك؛ فهو يعلم ابنته أكثر من أي شخص آخر، ويعلم أنها لا تتخذ أصدقاءً بسهولة، ثم ابتسم فجأة وهو يفكر أن ابنته قد تكون عثرت على شخص يستطيع دخول قلبها دون أن تدري ذلك...

ونزل مرة أخرى ليجد عمر وتميم قد انسجما معا بالفعل، بينما يوسف جالسًا يحدق في المكان الذي كانت تجلس به رحيق، ووحيد يقول له: لا داعٍ للتعجل؛ حتى لا تدفعها بعيدًا بدلًا من جذبها نحوك.. إنها فتاة ذكية وجميلة وجادة، ولكنها تختبئ خلف حاجز قوي، وعليك فهم كيفية اختراق الحاجز دون كسره.

فتقدم مراد قائلًا: رحيق لا تحب أن يفرض أحدهم شيئًا عليها دون أن تكون راضية به، وتغضب لذلك؛ لذا عليك كسب صداقتها أولًا إذا أردت الاقتراب منها، لا بفرض الوضع عليها كما فعلت منذ قليل!

فقال يوسف بتذمر: لا أعلم حقًا، إنها صعبة المراس قليلًا على ما يبدو.

فضحك عمر قائلًا: أبي.. أنا متواجد هنا إذا استسلم يوسف.

فضحك وحيد قائلًا: مراد.. ماذا فعلت ابنتك في أبنائي.. ها هو الآخر يعترف

بعد أن رآها لأول مرة.

فابتسم مراد لا يعلم بمَ يجيب! ونظر إلى عمر قليلًا؛ ليجده مختلفًا عن يوسف، به تلك اللمعة في عيونه العسلية كأنه صديق لتميم منذ زمن بعيد، يضحك معه ويتفاعل معه ويشارك في الحديث معهم، بعكس يوسف الذي لا يفكر إلا في كيف يجعل رحيق ترضى به دون محاولة مصادقة أخيها، أو حتى التحدث معه عن أي شيء غير رحيق....

***

صعدت رحيق إلى المكتب لتتفاجأ بوجود براد بالداخل يضمد ذراع أدهم الذي كان مستلقيًا على الأريكة، وآثار الإرهاق بادية عليه، وقبل أن تقول شيئًا قال براد: كيف علموا بمكانك هنا في نيويورك! ألم تضللهم في لندن منذ فترة.. هل علموا بمكان الشركة أو علاقتها بك؟

فأجاب أدهم بضعف: لا، لقد انتقلت إلى هنا آنيا، بعدها اتصلت بك.. رحيق ستأتي، لذا عليك الذهاب الآن..

فتراجعت سريعًا دون أن يشعرا بها، وكلمته "انتقلت آنيا" تتردد داخل عقلها كما "تضللهم في لندن".. إذا هل كان اعتقادها صحيحًا، ذلك الشاب من المتحف هو في النهاية أدهم!

ظلت واقفة داخل المصعد وهي ضاغطة على الزر الذي يبقيه ساكنًا غارقة في أفكارها، لا تدري لِمَ هي قلقة! لِمَ هربت في الأساس بعيدًا! ترى ممن هو ملاحق.. لا بالأصح من هو حقًا؟

وعندما سمعت صوت إغلاق الباب تركت المصعد ليهبط، وسارت كأنها وصلت للتو؛ لتجد براد منهمكًا في عمل شيء ما على الهاتف فقالت بمرح مصطنع: مرحبا براد ...هل استدعاك أنت أيضًا؟

فنظر إليها قليلًا وقال متلعثمًا: أجل.. إنه في انتظارك على ما أظن.

-سأدخل إليه الآن.. أراك لاحقًا.

سارت نحو المكتب وهي تستعد لرؤيته نائمًا على الأريكة منهارًا.. لتجده يجلس على الكرسي خلف مكتبه يتفحص بعض الملفات، فَأمعنت النظر إليه قليلًا لترى آثار الإرهاق بادية عليه، فقالت كأنها لم تلاحظ شيئًا: مرحبًا.

ثم دخلت نحوه وجلست أمامه قائلة: ما هي تلك الصفقة التي لم أتمها أمس؟

فنظر إليها وهو يستمع إلى صوت قلبها الخائف، نظر نحو عينيها الفضيتين قليلًا ليقرأ القلق والتوتر داخلها، فابتسم إليها وقال: لقد اتصلت بك لأقول إنني وجدت الأوراق الناقصة في ملف آخر، يبدو أنك خالطتهن معًا، ولكنكِ لم تستمعي إلى وأخبرتني أنك آتية!

فنظرت إليه قليلًا وقالت: أحقًا.. ولكنك كنت تقول بحدة أن آتي سريعًا!

-آه... ذلك الأمر يبدو أنني اتصلت بكِ عن طريق الخطأ بدلًا من محادثة براد.

-أدهم... لا تكذب عليّ.. أنت تعلم أنني أعلم عندما تفعل!

فضحك بضعف ورجع بجزعه للخلف متنهدًا وقال: لا أستطيع الهرب بعيدًا.

لاحظت تلوث قميصه الأسود كأنه مبلل بالماء فقالت: ماذا حدث لملابسك؟

فنظر إليها والتفت نحو قميصه ليدرك أن الدماء بدأت بالتسرب إليه؛ فوضع يده عليه ليَتجعد وجهه ألمًا، فنهضت من مكانها واتجهت نحوه وقالت

ووجهها يتدفق نحوه الدم بغزارة: افتح أزرار ذلك القميص الآن!

فنظر إليها وهي تقترب إليه رافعًا حاجبيه في ذهول؛ فقالت بانفعال: ماذا تنتظر.. أفعل كما أخبرتك!

فضحك محاولا الهرب: رحيق... هل أنت واعية لِمَ تفعلينه الآن؟

فوقفت مكانها أمامه وقالت بصوت هادئ تمامًا: أنا أعلم.... أعلم أنها ليست المرة الأولى التي نتقابل بها هنا في الشركة.. أعلم أنك مختلف عن الباقين!

فنهض وهو يفكر أنها تتذكر أمورًا حول طفولتها وهو ينظر إليها غير مصدق، فقطعت أفكاره الهاربة وقالت لاهثة: لقد رأيتك في المتحف في تلك الليلة بلندن... لقد.. لقد اقتحمت المكان والدماء تملأ ملابسك، وجعلت تلك الأجنحة السوداء تتحرر نحوك..

فالتقط أنفاسه.. لقد أدخلها عالمه دون أن يشعر مرة أخرى، فقال: رحيق!

-لا تفعل.. لا تنكر. أنا متأكدة من أن ذلك الشاب كان أنت.. أنا لست مجنونة أو ما شابه.. أعلم يقينًا ما رأيته!

فابتسم لها وظهرت علامات الألم على وجهه.. لتظهر أجنحة سوداء كبيرة ممزقة قميصه؛ فتظهر تلك الضمادات التي تراخت عن جرحه.. فرجعت رحيق بضع خطوات للخلف وقلبها ينبض بعنف بسبب المفاجأة، فتتعثر وتكاد تسقط ليقف فجأة خلفها يمسك بها قبل أن تسقط،

وأجلسها على الأريكة، بينما تختفي أجنحته وتظهر على وجهه علامات الإرهاق، ثم قال: لم أكن أعلم أنك رأيتِني من قبل... والآن ماذا ستفعلين؟

فنظرت إليه قليلًا تتأمل ذلك الجرح الكبير الذي لم يضمده براد له جيدًا أسفل صدره وقالت: سأضمد ذلك الجرح أولًا... هل لديك هنا حقيبة

إسعافات أولية؟

فجلس على الأريكة، وقال وهو يحاول البقاء واعيًا: إنها موجودة أسفل المكتب، أعتقد أن براد تركها هناك.

فنهضت سريعًا وأخرجتها ونظرت داخلها؛ لتخرج الضمادات منها فوجدتها خالية، فقالت بحزم: لا تتحرك من هنا، سأذهب لجلب ما تحتاجه من الصيدلية!

وقبل أن يقول شيئًا وجدها تلتقط حقيبتها الشخصية سريعًا راكضة نحو الخارج..

مال برأسه إلى الخلف وهو تائه.. لقد صُدمت من مفاجئتي لها بإخراجي لتلك الأجنحة، ولم تصَب بالخوف! ردود أفعالها الغريبة لم تختلف عن السابق، ولكن لماذا انتظرت مرور كل هذا الوقت لتقول إنها تعرف شيئًا! هل استطاعت معرفة أنني مصاب وحاولت إجباري على تلقي المساعدة بهذه الطريقة الغريبة! لقد كانت جادة عندما طلبت أن أفتح أزرار قميصي قبل أن تعترف بأي شيء...

تنهد وأرخى جسده المرهق، فهو يعلم أنه سيشفى سريعًا، لليوم فقط أو الغد بالكثير سيلتئم هذا الجرح.. أغمض عينيه.. لا يعلم لماذا يظهر لها الحقيقة، حتى لو كانت تعلم شيئًا كان يجب عليه إذعانها لنسيانه تمامًا كما فعل معها من قبل.. هل هذا لأنه تعب من التظاهر أمامها أنه لا يهتم بها، أم بسبب أنها قد تضيع منه للأبد إذا تزوجت غيره! مع أنه قرر عدم إدخالها في حياته كيلا يدمر حياتها كما كاد يفعل من قبل..

وبعد مرور بعض الوقت شعر بها وهي تضع المطهر الذي بدأ يلسع جلده المصاب؛ فتح عينيه قليلًا؛ ليجدها تضم شفتيها معًا كأنها هي التي تشعر بألم المطهر على جسدها، وتجعد وجهها تأثرًا قبل أن تضع لاصقة طبية

كبيرة على الجرح؛ لتمسك بضمادات تحاول لفها حول جسده دون جدوى..

فابتسم ورفع جزعه عن الأريكة وجلس معتدلًا ناظرًا إليها.. فَضغطت على شفتها السفلية ونهضت لتلف تلك الضمادات سريعًا ضاغطة إياها حول جسده؛ حتى لا تترك مساحة للجرح أن ينزف أو يفتح مجددًا، ثم ابتعدت عنه ترتب باقي الأشياء في الصندوق لتعيده مكانه..

نهض نحو خزانة مخفية في الحائط وأخرج قميصًا أسود آخر وقام بارتدائه سريعًا، ثم استدار نحوها؛ ليجدها تتفحص هاتفها وهي تمسك بحقيبتها، فقال بصوت مخملي هادئ: رحيق.. انتظري قليلًا..

فنظرت إليه وقالت بجد: سأتحدث معك لاحقًا.. عليّ العودة الآن حقًا؛ إنهم بانتظاري على الغداء..

فلم يجب عليها، وظل يراقبها وهي تنظر نحوه منتظرة إجابته، ثم ابتسمت قائلة: لا تقلق.. سرك في أمان معي.. ولكن عليك تفسير الأمر لي عندما نتحدث!

ثم استدارت محررة أنفاسها لتذهب إلى المصعد؛ لتجده يقف أمامها فجأة! فالتفت بتلقائية نحو مكانه السابق خلفها ثم إليه قائلة: لقد أفزعتني!!

فقال وهو يمد يده نحوها: هل أقوم بإيصالك؟

فقالت بتوتر: سيارتي بالأسفل.

فالتقط يدها سريعًا وانتقل بها إلى أسفل مبني الشركة أمام سيارتها قائلًا: لا مشكلة، سأركب معكِ.. هل يمكنني ذلك؟

فقالت متسائلة: هل تود الانضمام إلينا؟

فقال ببراءة: حقًا! هل يمكنني؟

فضحكت قائلة: مراوغ كالعادة... حسنًا، هذا أفضل.. على الأقل لن تهرب بعيدًا.. أنا سأقود؛ أنت مصاب!

فرفع يديه مستسلمًا وتقدم نحو باب السيارة وفتحه وأشار لها قائلًا: سيدتي!

فابتسمت إليه قائلة: سأبدأ بالقلق منك الآن.. ما هذا التهذيب المفاجئ!

فضحك وسار نحو الباب الآخر ودلف إلى السيارة، وحين جلست محاولة تشغيل المحرك نقل السيارة إلى بداية الشارع الذي تسكن فيه؛ فاستدارت إليه قائلة: أحقًا؟!

فابتسم وقال: أمامكِ بضعة الأمتار لتصلي، لم أقُم بإيصَالك فعليًا.

فَأدارت المحرك وقالت: كانت ستكون سابقة إذا فعلت حقًا ما أريده منك.

فأمسك يدها ساحبًا إياها من على المقود وهو يحاول جعلها تنظر إليه قائلًا: حقًا.. لِمَا!... لِمَ لستِ خائفة! لِمَ تتعاملي كأن شيئًا لم يكن؟

فسحبت يدها منه وقالت: أنت هو الشخص المطالب بالإجابة اليوم وليس أنا، لذا عليك الانتظار قليلًا..

-رحيق.. من المهم لي معرفة ذلك قبل مصارحتك بأي شيء!

- لِمَ كشفت حقيقتك أمامي، كان يمكنك إنكار الأمر!

-لأنني تعبت من الابتعاد بعيدًا عنك!

فنظرت إليه وعيناها ترمش من المفاجأة ساحبة نفسها متوترة وقالت: متى

كنت قريبًا مني لتبتعد؟ أدهم.. نحن أصدقاء عمل لا أكثر!

-ليس حقًا.. سمو الأميرة مدّللة أبيكِ..

فنظرت إليه غير فاهمة! كيف علم أنها المدللة لأبيها، ذلك اللقب الذي لا يقوله أي شخص خارج نطاق الأسرة داخل البيت، كعادة سرية لا يحق لأحد مشاركة ذلك معهم...

فقال بجد: لقد أجبرتك مرة على النسيان، ويمكنني جعلكِ تتذكرين مرة أخرى.. ولكن ليس الآن.. ليس وأنا لا أعلم تمامًا ما يجري معكِ.

فقالت بصدمة: هل تقول إننا نعرف بعضنا من قبل؟

فابتسم لها ولم يجب؛ فقالت بتوتر: حسنًا... إذا كان هذا ما ترغب به.. ولكن أنا لا أعلم كيف أصف لك الأمر؛ لذا لن أخبرك الآن.

ثم قادت السيارة نحو المنزل، فقال: ماذا ستقولين لعائلتك عن وجودي معك؟

-أليس واضحًا! زميل عمل، سننهي باقي أعمالنا في المنزل.

فضحك بضعف ونظر نحوها؛ ليجدها تضم شفتيها وتحاول كتم ضحكتها، كعادتها عندما تكون سعيدة وترغب بالضحك غير المبرر، كأن هناك من يلقي عليها النكات...

وعندما وصلا نزلت رحيق ساحبة حقيبتها، بينما أخذ أدهم معطفه مرتديًا إياه، وتبعها إلى المدخل الأمامي.. ليجدها تستدير إليه فجأة ونظرت إليه قليلًا؛ فقال متسائلًا: ماذا هناك؟

فقالت بتوتر: دعني أتولى الأمر، لا تتحدث.. لستَ بارعًا في إخفاء الأمور!

فضحك قائلًا: هذا الأمر لا يحدث إلا معكِ أنت فقط.

-حقًا!

-أجل.. هيا بنا.. هناك من يراقبك من الداخل.

فاستدارت نحو النافذة الكبيرة لترى يوسف يرمقها بتلك الطريقة الغريبة التي ينظر إليها بها منذ أن رأته اليوم، ويبدو عليه الضيق؛ فتقدمت قائلة: لا تشغل بالك به، مجرد أبله يظن نفسه قام بامتلاكي لمجرد أنه جاء المنزل طالبًا يدي للزواج!

فقال هامسًا وهو يتبعها دون أن تسمعه: حبيبتي أنت، لا تنتمين إلى أي أحد غيري..

وعندما دخلا إلى الداخل استقبلهما مراد قائلًا: مرحبًا... من هذا صغيرتي؟!

فتقدم أدهم مجيبًا إياه: أنا أدعى أدهم.. مساعد رحيق الأول.

فابتسم مراد قائلًا: تقصد مديرها... أليس كذلك؟

فضحك قائلًا: اجعل هذا سرنا إذن... آمل ألا أكون قد اقتحمت يومكم!

-لا تقل هذا بني.. لابد أن لديكما بعض الأعمال لإنهائها.

-آمل عدم إزعاجكم بسبب ذلك!

-لا.. من الجيد أنكما أتيتما إلى هنا بدلًا من البقاء في الشركة...

ثم قادهما إلى غرفة الاستقبال قائلًا: لقد أتى صديقي وحيد اليوم، يسعدني تعرفك عليه.

كان يوسف يرمق أدهم نظرة تمحيص، وهو يتعرف على أبيه بشيء من المرح، بينما رحيق واقفة بجانبه تنظر إليه مبتسمة ابتسامة شاحبة.. كان عمر مرحبًا به، وبدأ بالفعل في محاولة الاندماج معه في الحديث.. وقام تميم بالترحيب به بحرارة غير مفهومة لرحيق ولمراد..

استطاع أدهم معرفة ما يدور في خلد يوسف من سيناريوهات لمحاولة مداهمة رحيق مرة أخرى ليتحدث معها قليلًا..

بينما كان عمر يتحدث بأريحية مع من حوله وهو يراقب رحيق دون محاولة الضغط عليها، محترمًا الدوائر التي رسمتها حولها.. كان يعلم بالفعل برغبة مراد في التعرف إليه؛ لذا تركه يقوم بمُداهمته بالأسئلة والمناقشات الجادة والهزلية بعض الأوقات.. كمان أحب أن رحيق لا تتحدث كثيرًا إلا معه، وأنها لا تتجاوب كثيرًا مع محاولات يوسف للتحدث معها... وأكثر ما أحبه حقًا هو هذا الدفء الذي شعر به من الجلوس معهم، ذلك الدفء الذي لم يشعر به منذ زمن بعيد.. قد لا يذكر حقًا آخر مرة شعر بها بذلك..

لاحظت سلوى انسجام رحيق مع أدهم.. أثناء التحدث يكملان كلام بعضهما.. يضحك كل منهما فجأة كأن الآخر قال مزحة خاصة أو ما شابه.. كانت سعيدة لأنها رأت رحيق أخيرًا تتفاعل قليلًا مع من حولها كما كانت من قبل، وخرجت من تلك العزلة والاكتفاء الذاتي..

وبعد مرور بعض الوقت استأذنت سلوى لتحضير المائدة فتبعتها رحيق وباشرت وضع الأطباق..

وبعد لحظات التف الجميع حول المائدة بأجواء من الضحك والمزاح.. وأثناء ذلك لاحظت هيام انسجام رحيق مع أدهم بصورة واضحة، ولا سيما في توافق ذوقيهما في نوع الطعام.. وها هما يتبادلان المزاح الهامس أمامها.. فعَقبت باستنكار: تبدو علاقتكما أعمق من أي مساعد ومديره.. أليس

كذلك؟

فنظرت رحيق إليها قليلًا بينما هيام تتلفّت حولها تنتظر أن يدعمها أحد، فقطعت رحيق الصمت قائلة بهدوء: لا أرى ذلك.. فهذا الأمر يرجع إلى نوع سياسة المدير مع موظفيه.

فضحك أدهم قائلًا: رحيق لا تتعالى علينا في العادة.. فقط عندما يخفق أحدنا بتنفيذ أمر ما..

فضحك وحيد محاولا تلطيف الأجواء، بينما ظلت هيام عابسة حتى نهاية الطعام.. كان وحيد خجلًا من تصرف زوجته غير الحكيم؛ فهي تعلم جيدًا أنها مجرد زيارة عائلية من أجل تعارف يوسف ورحيق؛ فنظر إليها معاتبًا بينما يجلسون معًا في غرفة الاستقبال. ولكنها ظلت ترمق رحيق بحنق من وقت لآخر..

كان أدهم يرغب لو يبني جدارًا يفصل رحيق عنها؛ ليحميها من تلك الشرارات المتطايرة.. بينما رحيق كانت لا تعير لنظراتها اهتمامًا.. وبعد مرور بعض الوقت نهضت قائلة: أبي.. سأنهي أعمالي مع أدهم الآن... هل تأذنون لنا؟

فقال وحيد سريعًا: بالطبع..

فقال عمر: لقد كان يومًا جيدًا، سنحرص على تكرار الأمر مرة أخرى.

وقالت هيام مستنكرة: ألن تنضمي إلينا مرة أخرى؟

-لا أعلم، قد لا أستطيع.. سأحاول إنهاء أعمالي سريعًا حتى لا أفوت باقي زيارتكم لنا..

ثم سارت نحو السلم الذي يقع بجانب الغرفة الخارجي صاعدة لغرفتها، وتبعها أدهم بصمت... وعندما وصلوا إلى باب غرفتها سمعت صوت يوسف

يصدر من داخل غرفة تميم المقابلة لغرفتها يبدو عصبيًا؛ فاتجهت نحو باب غرفة أخيها لتجده يقول: هذه حقًا المرة الأولى!

فأجاب تميم محاولا تهدئته: أجل، لم تأتِ بأحد ما إلى المنزل من قبل، ربما فعلت ذلك حتى لا تتأخر خارجًا.. هل كنت ترغب بذلك؟! أن تذهب وتعود بعد أن ترحل أنت..

-ولكن هل هي كتومة حقًا ولا تتعامل مع أحد؟ لماذا تتعامل مع ذلك الأحمق بتلك الأريحية؟

ففتحت الباب فجأة غاضبة قائلة بسخرية: أوه.. حقًا... أنا لا أدري.. ربما لأنني أرغب بذلك... أنت تجعلني أرغب دائمًا بصفعك.. من أنت لتستجوبه عني.. أرجو منك نسيان أي مخطط وضعته من أجلي، وأخبر والدتك بذلك، أنا لا أرغب بالارتباط حاليًا.. هل سمعتني!

كان تميم لا يستوعب كيف قامت شقيقته الرقيقة دائمًا أن تخرج تلك النبرة أو تلك الشخصية المميتة؛ فقال سريعًا بينما يوسف لا يصدق الأمر أيضًا: أنا آسف، ما كان عليّ التحدث معه حولكِ وأنت لم تقرري بعد..

فقال يوسف بذهول: أين تخفين كل شيء؟ أين تخفين كل ما يدور داخلك بعيدًا عن الآخرين! لا أحد سَيصدق ما قمتِ به الآن..

فسارت متجاهلة سؤاله نحو غرفتها وفتحتها ناظرة لأدهم، فابتسم لها ودخل سريعًا بينما تبعته وأغلقت الباب خلفها.. لتجد أدهم يجلس على ذلك الكرسي الذي تبقيه عادةٍ في غرفتها فارغًا بلا سبب. هكذا فقط.. كأنها تنتظر شخصًا ما يجلس عليه دون دعوة، تمامًا كما فعل أدهم الآن.. فسحبت مقعد الحاسب وقربته منه وجلست عليه قائلة: تبدو مرتاحًا هنا أكثر.

فابتسم دون أن يجيب وعقد ذراعيه نحو صدره منتظرًا منها أن تسأله عن أي شيء.. ولكنها دفعت جسدها بالكرسي لتَتحرك عجلاته نحو مكتبها، وفتحت الحاسوب قائلة: سأحاول إنجاز بعض الأعمال الخاصة بالغد، حاول الاسترخاء قليلًا.. لا بد من أنك متعب.

فقال بصوت مخملي دافئ: أحبك..

فتجمد جسدها من المفاجأة، بينما قلبها هو الوحيد القادر على الصراخ... وبعد لحظات تلفتت برأسها نحوه تنظر إليه بتوجس لتراه مغمض العينين وعلى وجهه ابتسامة جانبية صغيرة..

فاستدارت بجسدها تتأمل ذلك الوجه الهادئ.. رغم أنه أنزل يده متحسسًا مكان جرحه، لا بد من أنه يشعر بالألم، لقد تحمل كثيرًا حتى هذه اللحظة.. فابتسمت ونهضت ساحبة غطاءها من على الفراش ووضعته عليه برفق محاولة عدم إيقاظه، ثم عادت نحو مكتبها محاولة التركيز على العمل وعدم الالتفات نحوه لمراقبته..

وبعد مرور ساعة أو أكثر.. طُرق بابها طَرقتان هادئتان ميزتهما على الفور؛ فالتفت نحو أدهم لتجده لم يستيقظ؛ فبلعت ريقها بصعوبة وفتحت الباب بهدوء.. لاحظه مراد فقال لها متعجبًا: ماذا هناك؟

فخرجت رحيق وأغلقت الباب خلفها قائلة: يبدو أن أدهم مريض أو ما شابه: لذا غرق في النوم ثم جلس هادئًا قليلًا... لذا لا أريد أن يستيقظ سريعًا... لهذا.. امم.. لذا..

فابتسم مراد قائلًا: ما رأيك أن أجعل وحيدًا يلقى عليه نظرة؟

-لا.. يكفي سوءًا للأمور إلى هذا الحد؛ لقد تشاجرت مع زوجته وابنه اليوم.

-هكذا إذن... لهذا السبب استأذن يوسف للرحيل، لقد رحلت هيام معه، لا يوجد سوى وحيد وعمر.

-بقي أمامي القليل، سأنهي الأمر سريعًا وأنضم إليكم.

-لا تبدين متضايقة من عمر أو من والده!

-إنه شاب لطيف قليلًا، وأباه صديق أبي المقرب؛ كيف لا أحب تواجده!

-لا بأس إذن، لقد أتيت للاطمئنان عليكِ، لقد قص تميم عليّ ما حدث.. أميرتي تخفي عني الكثير بهذه الطريقة..

فضحكت بضعف قائلة: ليس كما تعتقد.. أبي.. أنا لم أغضب في البيت عادةً؛ لذا لا تظهر هذه الأفعال أمامك.

فمسح على رأسها وسار نحو الدرج.. بينما دخلت إلى غرفتها؛ لتجد أدهم يقف إلى النافذة ينظر إلى السماء كأنه ينظر للفراغ، فأغلقت الغرفة قائلة: هل استيقظت... كيف تشعر الآن؟

فاستدار قائلًا: بخير.. والدك لا يعقب بشيء حول طريقة تعاملك معي!

-سيفعل حالما يكون متأكدًا من رغبتي في التحدث إليه.

فكر في أنه لطالما أحب طريقة تعامل مراد مع الأمور، خاصةً مع رحيق، فقالت بتوتر: ألن تفسر الأمر لي الآن؟

فنظر إليها قليلًا، ثم اقترب إليها بخطوات بطيئة ليجد قلبها يدوي، بينما تحاول جاهدة جعل ملامحها تبدو عادية غير متوترة.. فابتسم ساحبًا يدها وأجلسها على الأريكة التي تقبع في زاوية الغرفة بسرعة خاطفة، فشعر بنظراتها المهتزة المتسائلة نحوه؛ فضم شفتيه ندمًا وقال: هل أخفتكِ!

فقالت متسائلة: وهل يجب عليّ ذلك؟ أنا لم أعتد على الأمر بعد فقط.. إذا بعد هذه المقدمة الخاطفة.. ما هو ذلك التفسير الذي ستخبرني به؟

فضحك جالسًا إلى البعيد القريب منها وقال: أنا حائر قليلًا، لم أجد بعد ما قد أخبره لك!

فضيقت عينيها الفضيتين قليلًا ثم نهضت مبتعدة قائلة: حقًا.. هل تريد إذن إخباري كذبة مناسبة بدلًا من الحقيقة؟

ثم استندت إلى النافذة قائلة: لا تخبرني أنك ستفعل ذلك لحمايتي أو ما شابه!

فضحك قائلًا: حسنًا لن أفعل.. ولكن.. هناك عواقب للأمر؛ لذا من الأفضل أن تصطنعي عدم معرفة شيء!

-هل هذا بسبب من يسعون خلفك؟

-إذن أنت تعلمين أنني ملاحق.. رحيق.. أنا لا أستطيع المجازفة بكِ.. أي شيء آخر أو أي شخص ما كنت أبالي.. لذا..

فنظرت إليه قليلًا.. إلى عينيه المرهقتين التي تتصارع داخلها الأمواج الغاضبة مع نيران باردة لا تريد الخمود وقالت: أخبرني الحقيقة إذا.. لا تخفي عني شيئًا..

فرفع عينيه نحوها من بين أهدابها وقال: أنا نتيجة تجربة بيولوجية فاشلة لم ينجُ منها غيري.. لم أعد بشريًا بعدها.. هذا كل شيء باختصار.. لن أفصح عن المزيد!

راقبت نظراته تتجمد داخلها الأمواج شيئًا فشيئًا لتتحول إلى جبال موحشة مميته.. استطاعت الشعور به يردد داخله أن لا بأس الآن، وكل شيء أصبح

على ما يرام الآن... شعرت بالألم في جسدها كأن جراحه أصبحت لها،

وضعت يديها لا إراديًا على جسدها كأنها تتأكد أنها ليست مجروحة أو ما شابه، شعرت به يغرق داخل دوامة لا تعلم كيف تصفها، شعرت فقط بأنها تغرق معه..

وبينما هي مستغرقة داخل تلك المشاعر الغريبة التي سيطرت عليها لم تشعر بتوحد شعورهم الذي أدركه أدهم؛ فكتم أنفاسه مغلقًا عقله، وحاول الغوص داخلها دون أن يجعلها تغرق داخله، ولكنه لم يع أن مشاعره ستكون أمامها عارية لا تجد من يكبح جماحها.. شعرت بها رحيق تغمرها، مما جعل كل شيء واضحًا أمامها.. كلمة "أحبكِ" التي قالها لم تكن طبيعية أبدًا، تلك كلمة حوت مشاعر لا تكفي للاحتواء داخل تلك الأحرف القليلة....

وأثناء ما كان كل منهما غائص في الآخر لا يعلم أيهما بذلك، طرق أحدهم الباب لتجفل رحيق وتعود للواقع، لتجد أدهم ينظر نحوها كأنه يخترقها، لم تكن تعلم أن تلك العيون الزرقاء تنظر إلى داخلها بالفعل.. فسارت نحو الباب وفتحته لتجد تميم يقف أمامها بابتسامة عريضة يحمل أربعة أكواب من القهوة؛ فنظرت إليه متسائلة ليقول: ما رأيك بالانضمام إلينا أنا وعمر قليلًا.. هل أنهيتم العمل؟

فضحكت بضعف قائلة: حسنًا، لا بأس.. ولكن لِمَ حملت الأكواب إلى هنا؟

-سنكون في غرفة الجلوس هنا؛ لقد بدأ العجوزان بالضجر منا..

فضحكت قائلة: أيها المشاغب... سيقتلك أبي إذا علم بنعتك إياه بذلك.

-هذه ستكون ذا فائدة... أمي في غرفتها بمزاج عكر قليلًا، تعلمين ما أتحدث عنه.

-لا تخبرني أنها ستظل مستاءة بلا رجعة لبعض الوقت!

-أرجو ألا يكون ذلك.

فالتفت إلى أدهم لتجده ينهض ويأخذ سترته، فابتسمت والتفتت نحو تميم دافعة إياه برفق قائلة: لا تدع القهوة تبرد... هيا سِر أمامي.

فضحك تميم وسار نحو الغرفة الموجودة بين غرفة رحيق وغرفة والديهما، ففتحت رحيق له الباب ودخلت قبله بمرح قائلة: لم أجلس هنا منذ مدة.

دون أن تدري أن عمر داخلها، والذي ضحك فجأة بسبب مرحها الذي يراهن بأنه ما كان ليرى ذلك المرح أمام والدته التي تريد فتاة على هواها كأنها هي التي ستتزوج، وأمام مدللها ذلك الأبله يوسف.. ما كانت لتهتم بي أو بالفتاة التي أريدها كما تهتم بيوسف.. لم تطلب مني مرة واحدة البقاء معها في مصر، على عكس يوسف الذي تهطل عليه بذلك المطلب كثيرًا.. ثم ابتسم.. من الجميل أنه خسر حقًا الفتاة التي كنت أرغب بها، لم تعبأ أمي عندما أخبرتها أنني من يرغب بها منذ البداية وليس هو...

منذ أن كانت صغيرة وهي غريبة عن جميع الفتيات، حب طال منذ الروضة وظل يكتمه طوال الدراسة إلى أن اختفت مسافرة، عندما كانت هي الصف السادس الابتدائي وهو كان في بداية المرحلة الإعدادية.. من الجيد أن أبي دعاني هذا المرة لأعلم مكانها..

كانت رحيق قد جلست على أحد الكراسي، الذي وضعها والدها معًا كالحلقة حول مائدة مستديرة، وجلس أدهم إلى يسارها فاصلًا بينها وبين عمر، وجلس تميم إلى يمينها لتكتمل الدائرة، واضعًا أكواب القهوة في المنتصف قائلًا: هل نعبث قليلًا.. ما رأيكم في اللعب بالأوراق؟

فمدت رحيق يدها نحو الدرج الصغير أعلى الطاولة فاتحة إياه قائلة: لا

بأس.

وأخرجت أوراق اللعب مبتسمة إلى تميم بتحدٍ؛ فقال سريعًا: لا تقس عليّ؛ أمامك منافسون غيري هنا!

فضحك أدهم وعمر الذي بدأ في رؤية جوانب ما كان ليتوقعها.... وعند بداية ساعات المساء استأذن أدهم للرحيل، بينما سمعته رحيق يقول ببساطة وهو مغلق الفم: سآتي إلى شرفتك عند منتصف الليل؛ فالتفت حولها؛ كيف لم يسمعه أحد! وعندما تقابلت أعينهما معًا غمز لها مبتسمًا تلك الابتسامة الجانبية.. فبادلته الابتسام بريبة..

سارت إلى الداخل، ولكنها شعرت أنها تسير إلى جانبه إلى الخارج.. كان اليوم أكثر يوم جنوني مر عليها، لم تبدِ أي تعليق على ذلك التفسير الذي أخبرها به، كانت كالتَائهة وهي تجلس بين الجميع، لا تدري السبب الحقيقي ولكن تيقنت أنها كانت تعرفه قبلًا عندما فكرت في المشاعر التي اجتاحتها وهي ترى الأجنحة السوداء الكبيرة المعلقة بالسلاسل.. كان الجميع على ما تذكر وقفوا ينظرون بإعجاب، بينما هي كانت تقترب وحدها بصورة آلية.. وتلك المشاعر الغريبة عندما ذهبت للشركة أول مرة..

أغمضت عينيها محاولة أخذ وقت مستقطع، هل الذهان موجود بالفعل...!

لاحظ مراد ملامح رحيق المستغرقة في التفكير؛ فقال لها بصوت دافئ: صغيرتي.. ماذا هناك؟

فنظرت إليه ثوان باندهاش ثم قالت: بعض مشاكل العمل لا أكثر. آسفه لقد شردت قليلًا.

فقال تميم بمرح: اليوم رحيق كانت مرحة أكثر من المعتاد.

فقال عمر بقلق لاحظه مراد: هذا يعد لطفًا منها..

فنهضت رحيق قائلة: هل يرغب أحد بالقهوة؟

فتَراخى تميم قائلًا: لن أعرض عليكِ المساعدة..

فضحك وحيد بينما قال عمر: سآتي أنا للمساعدة... لا أحد سيقول لا للقهوة.

فابتسمت إليه ولم تعقب، وسارت شبه عائمة في أفكارها التي تشعر بها تسحبها للأسفل نحو الغرق في محيط مجهول.. وبينما كانت تضيف القهوة إلى الماكينة قال عمر: رحيق..

فالتفت إليه قائلة: ماذا هناك؟

فابتسم إليها وقال: لقد كنا أصدقاء من قبل.. ألا يمكننا متابعة ذلك الآن؟

فضحكت بضعف قائلة: لم أكن أذكر في البداية، ولكن تذكرت ذلك الفتى الذي كان يأتي للجلوس معي بدلًا من اللعب مع أصدقائه..

فضحك قائلًا: أجل، كنتِ دائمًا كالبالغين تمسكين دفترًا أرجوانيا تكتبين فيه، لم يكن أحد يستطيع أخذه منك... كنت أرى ذلك فريدًا.. لهذا كنت أحضر لكِ دائمًا أقلامًا ملونة بدلًا من الحلوى... كانت أمي تؤنبني ظنًا منها أنني أضيع أقلامي..

فضحكت وهي تصب الأكواب قائلة: آسفة لذلك الأمر.

فاقترب منها وأمسك كوبين قائلًا بصوت هادئ: لا بأس... ولكنكِ لم تجيبي!

فأمسكت الكوبين الآخرين قائلة: أجل.. بالطبع، لِمَ لا؟

فارتسمت ابتسامة كبيرة ممتنة على وجهه، لم تصدق رحيق أنها قد تكون سببها، لأنها وافقت فقط على طلب صداقتها له....

وبعد مرور الوقت غادر وحيد وابنه عمر سعيدين بالزيارة، بينما كان مراد يجد أن اليوم تبين له الكثير حول صغيرته..

وقبل أن تذهب رحيق إلى غرفتها صاحت سلوى قائلة: مراد، أود التحدث معكم قليلًا!

فقال تميم: أمي.. اليوم كان طويلًا للغاية.. دعينا نتحدث غدًا.

فاقتربت رحيق نحوها وقالت: ماذا هناك؟ لِمَ مزاجك عكر هكذا!

فنظرت سلوى إليهم قليلًا، ثم قالت: أحقًا لا تدرون؟

ثم أشارت إلى رحيق في عصبية قائلة: ابنتي كانت معرضة لكل ما قد يجعل ذلك الزواج لا يقام، وأنت تعده بالرد بعد ذلك! مراد.. هل ستترك رحيق لرجل مثله وأمه تلك! أنت تعلم أنني لا أحبها، قلتَ إنها بالتأكيد تغيرت، ولكنها عَاملت ابنتي بطريقة سيئة!

فابتسم قائلًا: وحيد لم يقصد يوسف من البداية، كان يريد عمر لها، ولكن سبقته هيام في التأكيد على أن تكون ليوسف.. وحيد أخبرني بأمر لم يكن يفترض أن يخبرني به، لقد كان خجلًا من تصرفات ابنه وزوجته مع رحيق.

فقالت رحيق بحيرة: ماذا تعني؟ هل الطبيب وحيد ينتظر ردًا حول عمر وليس يوسف؟! أبي.. أليس ذلك مستحيلًا نوعًا ما في العادات والتقاليد المصرية!!

-بالطبع عزيزتي، ولكن عمر يعيش هنا منذ سنوات كطبيب ولن يعود أبدًا لمصر.. بينما هناك احتمالية رجوع يوسف، لذا ستكونان وحدكما هنا.. هذا

مستحيل هناك في مصر فقط لأنكما ستكونان معًا في نفس المكان دائمًا، فكيف يتزوج أحدهم فتاة يرغب بها أخاه!

-أبي.. أنا حائرة نوعًا ما الآن!

-مراد.. ما رأيك أنت في هذا الأمر؟

-سأقوله بعد سماع رأي رحيق أولًا... تميم.. ما رأيك أنت؟

-أرى أنه شاب مرح وحيوي أكثر، حتى أنه لم يتحدث حول رحيق معي بدلًا من أي حوار آخر.. إذا كان يرغب بها.. ليس كما فعل يوسف عندما سنحت له الفرصة أخذني بعيدًا وشرع في استجوابي.. هذا أمر يعجبني، كما أنني لاحظت أنه على وفاق مع رحيق، لم تستاء منه أو ما شابه.

-عزيزتي، ما رأيك أنت بالأمر؟

-أنا لا أريد حماة كهذه المرأة لابنتي؛ لقد تعمدت اليوم إحراجها أكثر من مرة أمامي أو أمام الآخرين... ما زلت لن أغير رأيي.. وأنتِ رحيق؟!

فتنهدت رحيق وقالت بصوت هادئ: لا أدري، ليس لدي سبب يجعلني أرفض، أو سبب يجعلني أوافق؛ لذا أنا لا أعلم ماذا أقول!

فابتسم مراد قائلًا: لا بأس، لا تقرري الآن، ما زال أمامنا وقت لذلك عندما تقابلينه مرة أخرى... هيا دعونا نرتاح قليلًا؛ لقد كان يومًا طويلًا، أليس كذلك تميم؟

فضحك تميم وسار سريعًا هاربًا، بينما نظرت رحيق قليلًا لهما.. أول مرة تكون سلوى على عدم وفاق مع مراد أمامها، فهي دائمًا كانت نتناقش أولًا معه قبل إبلاغهما بأي شيء، ولكن هذه المرة تناقشت معه أمامهما وشاركتهما أيضًا فيه! هل هذا لأن الأمر يخصها الآن وليس منوطًا بهما فقط...!

ماذا سأفعل الآن.. عمر لم يفعل شيئًا قد يجعلني أرفض ببساطة... سارت رحيق تائهة إلى غرفتها، بينما مراد يراقبها؛ كان يعلم أنها قد تكون تحب أدهم؛ لم يرَها مرحة ومنسجمة في الحديث كما يحدث معه، حتى أنها لعبت معهم وكانت تضحك كثيرًا، على عكس عادتها الهادئة وسط الغرباء، ولكن عمر أيضًا كان موجودًا، وعندما كان يتحدث معها تحدثت معه دون تحفظ كما فعلت مع يوسف... ابتسم فجأة وهو يفكر في أن رحيق قد تكون لا تدري ما تفعله من جذبها للآخرين بهدوئها أو بغيره.. وعندما لاحظت سلوى تلك الابتسامة قالت: ماذا هناك؟

-لا أدري حقًا... ولكن أميرتنا تجعل الجميع يقعون أسرى لسحرها دون أن تدري!

-هل تقصد بذلك عمر وذلك الأحمق؟

-ربما، وربما هناك المزيد لا ندري عنهم شيئًا!

-هل تقصد ذلك الوسيم الذي جاء اليوم.. أدهم؟

-لا أدري... جلالتكِ تسألين كثيرًا اليوم.

فضحكت قائلة: حسنًا، سأتركك تفكر وتبحث حول الأمر أولًا، كدت أنسى تلك العادة السرية الخاصة بك.

فحملها سريعًا قبل أن تمنعه وسار بها قائلًا: إذن مليكتي العزيزة.. هل نصعد إلى غرفتنا الآن..

***

كان أدهم يجلس على حافة الشرفة منتظرًا أن تدق الساعة منتصف الليل

بلهفة؛ لقد بدأ يقترب منها أكثر، كان يريد العودة سريعًا إلى ذلك الوقت الذي كانت متعلقة به وحده، مكتفية به عن الجميع، حتى ولو كانت صغيرة لا تعي شيئًا حول الحب.. ابتسم ابتسامة واسعة وهو يحرر أجنحته ليحلق بها ناسيًا احتمالية كونه مراقبًا، أو أنه قد يعرض رحيق للخطر بكشفه أنها تعلم حقيقته؛ فهم كانوا يقضون على كل من حوله، كل من علم حقيقته وحاول مساعدته.. لم يفكر إلا في كيف يصل إليها سريعًا مع تزامن الوقت الذي وعدها به....

بينما كانت رحيق جالسة إلى مكتبها تتصفح الإنترنت لتشغل نفسها عن التفكير في أي شيء وخاصةً التفكير حيال أدهم.. وعندما شعرت بنسمات هواء باردة دخلت فجأة عبر الشرفة الشبه مغلقة؛ استدارت لتجد أدهم أمامها يدخل أجنحته ليرتدي القميص الذي كان يمسكه.. انتظرت قليلًا إلى أن انتهى، ثم فتحت الشرفة قائلة: حقًا... هل كنت جادًا؟!

فابتسم لها واقترب قليلًا منها ليجدها ترجع للخلف؛ فاختَفت ابتسامته وقال مُستاءً: ألا ترغبين في أن أكون قريبًا منكِ؟

-لا أدري ما الذي أرغب به أدهم، أنا ما زلت أستوعب ما أخبرتني به، وما زلت أعلم أنك لم تخبرني بشيء حقًا... لا أتذكر شيئًا حولك، ولكنك تتذكر كل شيء، هذا غير عادل!

لا أعلم حقًا هل أريد التذكر أم لا.. قلبي وروحي يَتعاملان مَعك بألفة من البداية، تلك الأيام الماضية كنت دائمًا في حيرة من نفسي أمامك، أنت لا تدري حقًا كيف أشعر!

فابتسم مقتربًا وسحبها نحوه محتضنًا إياها قائلًا: أعلم تمامًا ما يجري بداخلك من البداية، أنتِ التي لا تدرين شيئًا مما يجري داخلي من صراع البقاء بعيدًا عنكِ.. لم أكن أريد تدمير حياتك، لم أكن أريد جعلكِ تعانين

بسبب وجودي إلى جانبك، ولكن لم أستطع في النهاية! ولا أرغب الآن إلا في وجودك قربي، ولا أعبأ لأي شيء آخر.. أستطيع حمايتك، هذه المرة لن أتركك تذهبين بعيدًا مرة أخرى...

شعرت رحيق بتخلل كلمته داخلها، وشعرت بقلبه وهو ينبض عنفًا مثل قلبها تمامًا.. وفجأة غرقت داخل مشاعر من الندم والشوق معًا، تلك المشاعر كانت تأتي بوضوح من داخله إليها؛ فدفعته برفق عنها وقالت: إذا اجعلني أتذكر.. ليس عدلًا أنك تتذكر كل شيء بمفردك!

فنظر إليها قليلًا وعلى وجهه ابتسامة جانبية صغيرة حائرة، ثم نظر إلى عينيها الفضيتين مباشرة، لتتسع حدقته وهو يقول بهدوء: حان الوقت الآن!

وعندما عادت حدقته لوضعها الطبيعي هاجمت الذكريات عقل رحيق كالصور الخاطفة، وأثقل قلبها بالمشاعر التي تركتها منذ زمن بعيد؛ فهمست بعدم تصديق: هل يعقل! أنت...

فأمسك يدها سريعًا بينما يترنح جسدها من المفاجأة، فنزلت دموعها كالشلال واندفعت نحوه محتضنة إياه بقوة كأنها تخشى اختفاءه قائلة: كيف استطعت فعل هذا بي؟! أيها الأحمق!!

فضحك بضعف قائلًا: لا أظن أنني سأفعل هذا مجددًا.. أنا آسف للغاية!

وعندها تذكرت تلك التخيلات العديدة التي كانت تراها منذ أن قابلته أول مرة في الشركة؛ فدفعته قائلة: أيها المخادع! هل كنت تأتي إليَّ كثيرًا دون علمي؟

فابتسم إليها وقال: كنت أشتاق إليكِ... لم أكن أعلم أنك قد تريني!

فشدت أذنه قائلة: هل نسيت أنني أراك دائمًا؟

فوضع يده على يدها قائلًا: آسف على ذلك الأمر!

فضحكت قائلة: لا بأس..

فأمسك يدها بين يديه برفق ورفعها نحوه قائلًا: لقد اشتقت إليكِ كثيرًا..

فابتسمت إليه وهي غارقة في مشاعره التي تحيط بها.. حتى عندما لم تكن تتذكره لم تكن تعلم لِمَ هي مرتبطة به بهذه الطريقة الغريبة، تعلم جيدًا أنهما يمتلكان رابطًا غريبًا بينهما، كأنهما شخص واحد يستطيع الشعور والتفكير بمشاعر وأفكار واحدة..

والآن بعد تذكرها لكل ما مضى؛ عادت تلك القوة الغريبة التي تجعلها تعلم كل ما يدور داخله، وعندها علمت أنه مطارد من تلك المنظمة السرية التي أجرت تلك التجارب الجينية عليه.. حياته دائمًا في خطر.. شعرت بألمه الذي شعر به وهو يبتعد عنها، وذلك الحزن المرير عندما خسر كل من حاول البقاء إلى جانبه؛ فنظرت إليه وعيناها تحمل دموعًا تأبى النزول سريعًا محبوسة مع الألم الذي أصابها، وقالت: ماذا ستفعل الآن؟ هل ستظل تهرب إلى النهاية...!

فنظر إليها قليلًا وهو يعلم أنها تعلم الآن كل شيء، تعلم بالخطر الذي يحدق به من كل جانب، تعلم أنه يهرب كالجبان دومًا دون أي قتال؛ فنكس رأسه قائلًا: لا أعلم تمامًا كيف أنجو منهم..

والآن لا أدري حقًا كيف جازفت بكل شيء وسمحت لنفسي بدخول حياتك من جديد.. لا أريد تحطيم كل شيء حولك كأي شيء أقوم بلمسه.. ولكن... ولكن أنا لم أستطع حقًا البقاء بعيدًا عنكِ أكثر من ذلك، كان الأمر أسهل وأنا لا أراكِ، وأنا لا أسمع صوتك، وأنا لا أشعر بنبضات قلبك وأنفاسك

الدافئة حولي..

نظرت إليه مطولًا وهي تشعر بمشاعره الآسفة والنادمة على تركها وعلى دخولها مرة أخرى.. كان هذا التناقض يدمر روحه التي تصارع للبقاء وسط كل هذا الألم؛ فأفلَتت إحدى يديها منه ورفعتها نحو وجهه، وقالت بحنان كان قلبه متعطشًا له: ستكون بخير.. سأكون أنا أيضًا كذلك.. سأظل إلى جانبك من الآن فصاعدًا.. لا بأس.. سنكون بخير معًا..

فوضع يده على كفها الذي على وجهه وأغمض عينيه ليسمح لنفسه بالغرق داخل دفئها، بينما ابتسامته ترتسم على وجهه وعلامات الراحة بدأت بالظهور تدريجيًا....

وبعد مرور بعض الوقت بدأت رحيق بالنعاس، ولكنها لم تكن تريد النوم؛ كانت خائفة أن يكون كل هذا حلم سينتهي في أي لحظة.. فحملها أدهم عن الأريكة وأنامها على الفراش قائلًا: لن أذهب، سأظل هنا إلى الصباح إلى أن تستيقظي مجددًا..

وسحب أحد الكراسي إلى الفراش وجلس عليه، فأخذت تنظر إليه إلى أن غلبها النوم.. كان يشعر بالراحة لمجرد أنه بالقرب منها، والآن ستكون إلى جانبه دومًا كما أخبرته.. أحب تلك المشاعر التي شعر بها داخلها، أحب كونه شخصًا مهمًا لها.. أخذ يراقبها وهي نائمة وتلك الابتسامات التي تظهر على وجهها..

وفي الصباح استيقظت رحيق على صوت رنين منبهها؛ ففتحت عيناها ببطء وهي تنظر إلى الكرسي الذي كان يجلس عليه، لتجده مستندًا إلى ظهره نائمًا؛ فرفعت يدها سريعًا وأطفأت المنبه.. نظرت إلى نفسها لتجد أنها نامت بملابسها دون تغييرها أمس؛ فنهضت برفق عن الفراش ووضعت الغطاء سريعًا على أدهم، واتجهت نحو الخزانة..

كانت حائرة نوعًا ما.... الآن ما الملابس التي قد ترتديها.. لتجد يد أدهم تمتد من خلفها، ويخرج إليها تلك الملابس التي ارتدتها في ذلك اليوم في لندن، فالتقطتها منه خجلة وركضت سريعًا نحو الحمام مما جعله يضحك..

لم يكن يدري لِمَ هي خجلة منه بهذه الطريقة؛ لقد كان دائمًا ما ينتقي لها ملابسها قبلًا، وكانت تستاء منه إذا لم يفعل ذلك..

اتجه نحو ماكينة القهوة وبدأ في إعداد كوبين لهما وهو يفكر في أن عليه طلب يدها للزواج الآن، لن تتردد في الموافقة، وكان يعلم أيضًا أن والديها يستحسنانه.. لم يكن يريد أن تبقى منفصلة عنه، ولم يكن يريد رؤيتها وهي تحاول إقناع نفسها أن البقاء معه هكذا لا يعد خطأ.. وفي النهاية صب كوبًا واحدًا لها، وانتقل راجعًا إلى منزله..وعندما خرجت رحيق إلى غرفتها شعرت بالاستياء لأنه رحل، وبعدم راحة لسير الأمور.. قررت إغلاق باب النقاش في أمر الزواج مع والدها، ولكن كيف ستفعل ذلك دون غلق الأبواب أمام أدهم! كانت حائرة.. التقطت كوب القهوة الذي أعده لها وهي غارقة داخل تلك المشاعر والذكريات المنسية..

***

وفي منتصف اليوم... كادت سارة أن تفقد أعصابها وهي تذهب إيابًا وذهابًا أمام سيارتها بالمرأب، منتظرة وصول تلك الرسالة المزودة بالمكان الذي سيكون عليها الذهاب إليه.. وما أن سمعت صوت وصول الرسالة، قفزت داخل السيارة وقادتها سريعًا وهي تفتح الرسالة.. وعندما وصلت إلى المنزل الضخم المذكور في الرسالة كان الظلام قد بدأ بالانتشار في السماء، ترَجلت من السيارة وتقدمت نحو الباب لتجده شبه مغلق؛ فتحته ودلفت سريعًا.. سمعت صوت أنفاس آدم المتلاحقة بعصبية؛ فركضت مسرعة نحو المكان الذي يأتي الصوت منه، وجدته مقيدًا بكرسي، وهناك لاصقة فضية كبيرة

على فمه؛ فسارعت تجاهه لتَشعر بالخدر في أطرافها.. وقفت مكانها محاولة التغلب على ذلك الشعور، لتسمع صوت يضحك قائلًا: كيف لم تشعري بي؟ هل هذا بسبب ذلك البشري؟!

التفتت إليه لترى شابًا يمتلك عينين سماويتين، وشعر كستنائي، ذا قوام رياضي، وجدته يتقدم نحوها بينما هي تسقط أرضًا وتفقد وعيها تدريجيًا..

انحنى إليها وحملها مغادرًا بها الغرفة إلى غرفة أخرى، وقام بتنويمها على فراش كبير يتوسطها، ثم اتجه مرة أخرى نحو الغرفة التي قيد بها آدم.. سار تجاهه وابتسامته تعلو وجهه؛ لقد نجح في خطته إلى الآن، ثم قال: حسنًا، يبدو أنني لن أقتلك الآن.. عندما أحصل على ما أريده سأجعلك تعود مرة أخرى إلى والدتك.

ثم أزال الشريط اللاصق عن فمه وقال: هل تريد شيئًا قبل نسيانك؟

فقال آدم بغضب: ماذا تريد منها؟!

فقال بصوت هادئ جعل آدم يَغتاظ غيظًا: هذا شيء لا يخصك... لا تتعدى دورك داخل اللعبة!

-إذا مسست منها شعرة واحدة...

-اهدأ؛ هي لا تحتاج مساعدتك.. لولا أنها كادت تموت قلقًا عليك، كانت لتشعر بي قبل أن أقوم بتخديرها.. أنت لا تعلم حقًا مع من تتعامل!

ثم سار مبتعدًا وهو يقول: إذا كنت أضمن أنها لن تثور غضبًا لكنتَ في عداد الموتى الآن!

اتجه نيكلاوس نحو الفراش الذي أنام عليه سارة ووقف متأملًا إياها.. تلك الفتاة التي جعلت كل من يتعامل معها يسير مع تيارها أو يقع في شباكها،

سواء من البشر أو من مصاصي الدماء ولكن في النهاية يستسلمون إلى حقيقة أن قلبها محصن خلف حصون عديدة، لا يستطيع أحد الوصول إليه.. حتى عقلها منيع أمام أي اختراق من قِبَل مصاصي الدماء...

زفر في إحباط؛ فهي جعلته يقع بشباكها، منذ أشهر وهو يراقبها دون أن تشعر به؛ بسبب أنه يحافظ على مسافة كافية كيلا يتم اكتشافه.. جلس على حافة الفراش وقرر إزالة طاقته المخدرة عن جسدها، وبعد لحظات بدء وعيها في العودة إليها.. وعندما فتحت عينيها قفزت عن الفراش واقفة محاولة عقل الأمور، فابتسم لها قائلًا: أنصحك بالجلوس لا تريدين إغضابي.. أليس كذلك؟!

فسارت نحو الأريكة وجلست عليها قائلة: لا أعلم من تكون حقًا، ولكن إذا كنت ترغب بالانتقام لأي سبب من الأسباب لا أنصحك بذلك!

فنهض وسار نحوها قائلًا: لا أريد الانتقام منك، أنا كنت أضعهم في طريقك، وأنا أعلم جيدًا أنكِ ستقومين بقتلهم قبل أن يدركوا ذلك.

وبينما كان ينحني نحوها أخرجت مسدسها واضعة فوهته أسفل ذقنه، بينما تمسك بيدها الأخرى يده قبل أن يقوم بلمسها قائلة: إذا كنت لا ترغب بالانتقام، ماذا تريد!

فابتسم لها لتتحرر شحنة كهربائية جعلتها تترك يده سريعًا، فوضع يده على خدها وقال: أنتِ.

فاتسعت عيناها لثوان وأغمضتها متنهدة ثم دفعته عنها ووقفت قائلة: لا أنصحك بالمحاولة!

فضحك بضعف قائلًا: لستِ في موضع يجعلك ندًا لي... أنتِ تعلمين إلى ماذا ستؤول الأمور في النهاية، ولن أكتفِ بذلك البشري؛ هناك العديد من

الأشخاص تحاولين حمايتهم، أليس كذلك؟ أصدقائك البشر وغير البشر كذلك..

فقالت بلا مبالاة: وماذا ستستفيد من حصولك عليّ؟ لن تكون سعيدًا بينما أقوم ببغضك طوال الوقت، أليس كذلك؟!

-أولًا.. لن تستطيعي بغضي للنهاية، فصدق حواسك مطلوب أيضًا.. ثانيًا.. مصاصة دماء بهذه القوة الضخمة والمتعددة.. ماذا تظنين حقًا! لا تقولي لي أنني لن أستفيد شيئًا من حصولي عليكِ!

-إذا كنتَ حقًا تريد قبولي لك، كنتَ اخترت محاولة الظهور في حياتي بطريقة أفضل قليلًا!

-أليس هذا الطريق طويل للغاية...! ألا يسير به جيمس منذ خمسين عامًا تقريبًا إلى الآن، وهناك أيضًا ذلك البشري الذي ظهر مؤخرًا، ألا يحاول جاهدًا! لذا أرى أن ذلك الطريق طويل للغاية، وقد اخترت الطريق الأقصر.

فابتسمت بشحوب وقالت: حقًا... إذا كل ما عليّ فعله هو قتلك!

فضحك قائلًا: لستُ ضعيفًا كالباقين أمامك!

فرفعت مسدسها نحوه قائلة: ما رأيك بالمحاولة إذا؟!

فابتسم لها ليسقط مسدسها منها إثر شحنة ساكنة سارية به.. وعندما انحنت لالتقاطه وجدته ينصهر! فوقفت سريعًا محاولة القيام بمباغته، لتجده يمسك بيدها قائلًا: لا تسعي إلى إيذاء نفسك!

شعرت بأنه حقًا أقوى منها.. فطاقته مختلفة تحمل هالة متزنة مثل اليانج والين، الظلام مساو للضوء تجعل طاقتها التي تثور مع هالة الظلام راكدة بلا حراك.. إنه حقًا يقوى على قتلها في أي لحظة، ولكنه لن يفعل.. لم تشأ

الاستسلام سريعًا، ولكنه سرعان ما كانت يده الأخرى تبث شحنة ساكنة في جسدها جعلتها تصرخ متألمة وهي تسقط بين ذراعيه.. فحملها قائلًا: هل ما زلتِ تظنين أنك قادرة على التغلب عليّ؟

فلم تجبه بينما يسير بها نحو الفراش وينيمها عليه، ثم ابتسم لها وقال: عليك أن تنالي قسطًا من الراحة، سنذهب إلى منزلي حالما أعيد ذلك البشري.

-ألست قلقًا من محاولة الباقين في العثور عليّ؟!

-لا.. أنتِ تقومين بالاختفاء كثيرًا، لقد اعتادوا على ذلك، كما سأعبث بذاكرته.. لذا لن يعلم أحد بحدوث أي شيء.

حاولت النهوض، ولكنها شعرت بجسدها لا يريد الحركة معها.. استمعت إلى تألم آدم الصامت بينما يؤلمها قلبها لعدم قدرتها على إنقاذه أو حتى إنقاذ نفسها..

أغمضت عينيها في محولة للتفكير فيما يجري مرة أخرى.. ذلك الشخص مختلف تمامًا عمّن التقت بهم قبلًا.. طاقته الكامنة لها القدرة على إيقافها حتى قبل أن تفكر.. شعرت بأنها عارية أمامه، لا يوجد أي شيء تحتمي به.. قوتها بها شيء كالثوران المفاجئ.. هذا ببساطة سر قدرتها على كونها صائدة محترفة طوال هذا الوقت..

وبينما هي غارقة في أفكارها شعرت به يدخل للغرفة؛ ففتحت عيناها ونظرت نحوه بينما ارتسمت ابتسامه على وجهه وهو يتقدم نحوها، وما أن انحني نحوها قالت: ماذا هناك؟

فحملها قائلًا: جسدك لن يقوى على الحراك الآن.. سنذهب إلى منزلي.

-وما هذا المكان؟

فسار بها نحو الدرج وقال وهو يهبط درجاته بسلاسة كأنه لا يحملها: هذا منزل قمت بتأجيره.

وعندما وصل بها إلى سيارته أجلسها على المقعد إلى جواره ودلف إلى مقعده وقاد سيارته، بينما أغمضت عينيها في محاولة منها للتفكير بطريقة للهرب.

***

عندما عاد آدم للمنزل وجد جيمس في انتظاره، فترجل من سيارته قائلًا: مرحبا.. ماذا هناك؟

-مرحبًا.. هل تحدثت مع سارة اليوم؟

-أجل، كانت تتحدث عن رحيلها لبعض الوقت.

فزم جيمس شفتيه قائلًا: ليس مجددًا، كنت أظنها لن تفعل ذلك لفترة.. حسنًا.. والدتك بانتظارك بالداخل، لِمَ لم تخبرها بأنك ستتأخر!

-سهوت أثناء العمل قليلًا.. حسنًا، أراك فيما بعد.

فدلف جيمس إلى سيارته وقادها مبتعدًا بينما يدخل آدم إلى منزله..

***

فتحت سارة عينيها وهي لا تصدق بأنها غرقت في النوم، نهضت من مكانها وسارت نحو النافذة.. فوجدت المنزل داخل غابة كثيفة، وأثناء محاولة إدراك المكان الذي توجد فيه تحديدًا سمعت صوت جدال حاد بعض الشيء؛ فخرجت من الغرفة وسارت قليلًا لتجد فتاة ذات شعر بني مجعد تصيح نيكلاوس بغضب: لِمَ إذا؟ تلك العاهرة تقتل منا الكثير!

-عزيزتي لا داع، لقد استمعت إليك إلى النهاية، اتركي الأمر وشأنه!

-قد أقوم بقتلها دون أن تشعر.. لذا أخرجها من هنا!

-لستِ ندًا لها صغيرتي.

وعندها هاجت طاقة سارة استجابة للظلام المتكدس داخل الفتاة، ولكنها وجهت ذلك نحوه؛ فأمسك بذراعها بكل هدوء وقال: ربيكا.. اذهبي الآن.. لدي ما اهتم به!

وما أن ذهبت الفتاة مرّر شحنة صغيرة بجسدها جعلها تبتعد عنه، فتركها لتقول: سأقوم بالإطاحة بك لا محالة!

فابتسم لها وقال: سأتَطلع لهذا.

شعرت عندها سارة بطلقة ما تتجه نحوها، لتجده يمسك بها ساحبًا إياها بعيدًا بينما أصابت الطلقة الجدار الذي كان يقبع خلفها.. شعرت حينها بمشاعر ظنت أنها اختفت منذ زمن بعيد؛ كانت دائمًا ما تقوم هي بالحماية والإنقاذ، ولكن هذه المرة كادت تصاب لولا تدخله، هي من حصل على الحماية والإنقاذ!

وبينما هي مشتتة إثر هذه المشاعر وجدته يتركها ويتجه نحو ربيكا معنفا إياها قائلًا: ربيكا... لقد كنت صبورًا معكِ إلى هذا الحد! هيا عودي لغرفتك!

كانت سارة هادئة نوعًا ما، مما جعله ينظر لها قليلًا، ثم قال: أنتِ بحاجة للدماء.. جسدك أصبح ضعيفًا!

فقالت بصوت يشبه الهمس: شكرًا لك.

فنظر إليها قليلًا ثم ابتسم قائلًا: تعال معي للأسفل.

ثم مد يده نحوها قائلًا: قد لا تستطيعين السير مباشرة بمفردك.

فوضعت يدها بيده وسارت معه نحو الدرج وجسدها غير متزن تمامًا، فحملها وهبط بها السلالم، ثم أنزلها عندما وصل إلى الأسفل وجذبها لتسير معه نحو المشرب الطويل، ثم تركها تجلس على أحد الكراسي بينما يصب لها كوبًا من الدماء المحفوظة؛ كان يعلم جيدًا أنها لن تشرب المخلوطة بالكحول، ثم صب لنفسه كأس شراب وارتشف منها سريعًا وهو ينظر إليها وهي تشرب من كوبها وهي شاردة..

لقد افتقدت الشعور بالحماية.. التساؤل لمرة واحدة عما قد يحدث! ذلك الشاب الجذاب بطريقته جعلها تدرك كم هي في حاجة لتلك المشاعر المنسية.. نظرت نحوه،

نحو عينيه مباشرة لتتفاجأ بأنها نسخة أخرى من أعين آدم التي تجعلها تصاب بالحيرة في عدد الخطوط الملونة الموجودة داخلها، كانت هناك لحية خفيفة نابتة على وجهه جعلتها تشعر بالانجذاب اللحظي إليه..

ابتسم لها عندما وجدها تطيل النظر إليه ليتفاجأ بالحمرة التي ظهرت فجأة على وجنتيها، وهروب نظراتها سريعًا في اهتزاز.. لم يكن يظن أنه قد يجد تلك النظرات ترتسم على وجهها وهي بصحبته! وعندما أنهت كوبها أخذت نفسًا عميقًا وزفرته قائلة: أين نحن بالتحديد؟

فابتسم لها وقال: في منزلي.. في مكان منعزل قليلًا، لا أحب الضوضاء كثيرًا.

فالتقطت قنينة المياه وقالت: وماذا الآن؟

كان يعلم أنها تحاول عدم النظر إليه مباشرة وتحاول إلهاء نفسها في أي شيء، فتعمد التأخر في الإجابة؛ فنظرت إليه بطرف عيناها لتجده مبتسمًا وهو يصب لنفسه كوب شراب آخر، فقالت بشيء من الضيق: هل ما قلتُه

لا توجد إجابة عليه؟

فنظر إليها وقال: لا شيء حقًا... سأحاول جعلكِ تقعين في حبي، فبهذا سأكون قد حصلت عليك.

فضحكت بتهكم وقالت: حقًا.. حظًا موفقًا في هذا الأمر.

فرفع ساعده لطاولة المشرب وأراح وجهه على كف يده وهو يتأمل الحرب القائمة داخلها، مما جعل حاجبيها يَنعقدان ويرتفعان مرة كأنها تقاوم تخيلات ما لا يستطيع الوصول إليها، لتَلتفت إليه في النهاية ويختفي كل شيء، ولا يظهر سوى علامات الخجل الواضحة عندما أدركت أنه يحدق بها؛ فأدارت وجهها عنه وقالت: سأصعد للنوم.. أشعر بالإرهاق اليوم..

كان يعلم أنها تهرب بعيدًا ولكنه قرر عدم الضغط عليها ولم يعقب، ليجدها اختفت من أمامه.. أنصت إليها ليجدها تنعته بالأحمق بينما تلقي بجسدها على الفراش وهي تزفر بقوة..

التقط الكوب الذي كانت تشرب به وصب لنفسه فيه ووجد نفسه يبحث عن المكان الذي لامس شفتيها؛ ليتذوق طعم التوت الأزرق لمرطب شفتيها ممتزج مع الدماء.. شعر بالنشوة لذلك وارتسمت ابتسامة جانبية أبت الذهاب.. فهو لم يكن يعلم أنها أوقعته في شباكها بهذه الشدة..

وفي الصباح الباكر استيقظت سارة وهي لا تريد النهوض من مكانها، وسمعت صياح تلك الفتاة مرة أخرى وهي تتجادل مجددًا، وبعدها سمعت صوت صفعة قوية مما جعلها تنهض وتخرج من غرفتها، لتجد شابًا آخر يقف بغضب بينما هي ساقطة على الأرض، وقد جعلتها الصفعة في حالة من الذهول! فتقدمت سارة نحوها لتساعدها على النهوض بابتسامة دافئة، لتجد ذلك الشاب يقول بحنق: ألا يكفيكِ أنكِ سبب ذلك؟

وعندما لم تجبه كاد يمد يده نحوها لولا ظهور نيكلاوس، الذي أمسك بيده متثائبًا وقال: صباح الخير.. آسف.. هذان الاثنان لا يملان من الجدال يوميًا.

فأوقفت سارة ربيكا وابتسمت له ذاهبة.. جعله ذلك يشعر بالسعادة لثوان ثم التفت إلى الشاب قائلًا: حاول عدم المساس بها حتى لا تكون نهايتك على يدي.. اتفقنا؟

ثم تركه وقال: لقد اخترته حبيبًا لكِ، لذا لا تتشاجري معه دائمًا!

فقالت ربيكا بخجل: حسنًا.. هل لك أن تشكرها بالنيابة عني؟

فابتسم لها وقال: افعلي ذلك بنفسك.

ثم سار نحو الغرفة التي منحها لسارة وطرق الباب لتفتحها بعد دقائق قائلة: ماذا؟

-هل تأتين معي للخارج قليلًا؟

-إلى أين؟

-سأقوم بالصيد قليلًا.. هل تنضمين؟

فقالت بحدة: وماذا تصطاد؟!

فضحك وقد علم سبب غضبها وقال: أقوم بالاصطياد باستخدام السهام.. هواية قديمة..

فزالت علامات الغضب حين أدركت أنه يقوم بصيد الحيوانات.. كانت تريد معرفة المزيد عنه، لا سيما أنه مبهم بالنسبة لها وعلى ما يبدو أنه يعلم الكثير عنها، فقالت بلا مبالاة مصطنعة: وأين ستكون المتعة في الأمر؟ سترى مكانهم من بعيد وسيكون التصويب شيئًا سهلًا!

-ما رأيكِ بمرافقتي لمعرفة ذلك بنفسك؟ لقد وضعت لكِ حقيبتك التي تجعلينها دائمًا، سيارتك أمام الخزانة.

-هل ستقوم باحتجازي هنا طويلًا؟!

-لا أعلم، الأمر يرجع إليكِ، إذا وافقتي على الزواج بي سأدعك تذهبين.

-أنت تحلم!

-إذا ستظلين هنا طويلًا..

فأغلقت الباب بوجهه بينما قال: سأنتظركِ بالأسفل..

وضحك هابطًا السلالم بينما كانت تسند نفسها إلى ظهر الباب.. ذلك الأحمق هل تقدم للتو بطلب يدها للزواج! لا يضيع وقتًا!

آه.. أود الذهاب حقًا، لا أشعر بالراحة هنا رغم ذلك الشعور الغريب الذي بدأ يراودني كلما نظرت نحوه مباشرة.. إذا كان ما كنت أشعر به عندما أنظر نحو آدم هو الإعجاب، فشعوري نحو ذلك الأبله أقوى مما كنت أتخيل! هل سأم قلبي البقاء بمفرده طوال الوقت؛ فسيستجيب إلى أي إشارة!

ولكن لا، الأمر مختلف مهما فكرت فيه، كثيرًا ما كان جيمس يبعث لي العديد من الإشارات، لم أستجب لها طوال الوقت! أم أنني أشتاق للشعور بأن أكون الطرف الذي يحتاج الحماية! أن أكون الطرف الأضعف! تنهدت.. فيكفي إلى هنا تفكيرًا في أمر لن أصل إلى نتيجة مجزية منه!

ثم سارت نحو حقيبتها وأخرجت بعض الملابس واتجهت نحو الحمام المرفق بالغرفة قائلة: ذلك الأحمق.. إلى أي مدى سيَجعلني حائرة!

ابتسم نيكلاوس وهو يهبط الدرج.. إذا كان قد جعلها حائرة فهو إذا يقترب

ولو قليلًا منها..

لم يكن يعلم كيف اجتاحت مشاعر حبه لها بهذه القوة قلبه.. فهو كان يخطط لقتلها قبل أن يعرف عنها شيئًا سوى أنها صائدة محترفة، ولكن شيئًا ما في تصرفاتها البريئة المماثلة للبشر في أغلب الأحيان، ووحدتها التي تغلف كل شيء تقريبًا، وحزنها الدائم الذي تخفيه خلف ابتسامتها.. وجدها شيئًا رقيقًا للغاية، سهل العطب في أي وقت.. شعر بأنه يريد ضمها إليه وحمايتها بكل جوارحه..

أخذ نفسًا عميقًا وهو يتذكر مذاق التوت الأزرق الذي سبق طعم الدماء النحاسية، وارتسمت ابتسامة على جانب شفتيه وهو يستمع إلى صوت أقدامها التي لا تكاد تصدر عنها وهي تتجه نحو السلالم؛

فاستدار ليجدها تنزل الدرج وقد وضعت غطاء الرأس الموجود بَكنزتها على رأسها، فقال وهو يخرج هاتفها من جيبه: لقد اتصلوا بكِ كثيرًا أمس وخاصة جيمس.

فأخذت هاتفها منه وقالت: ألستَ قلقًا من أن أقوم بإخبارهم؟

فابتسم لها واستدار نحو ردهة المنزل قائلًا: لستِ غبية إلى هذا الحد.. تعلمين أنني سأقتل أي شخص يحاول سرقتك مني.

فقالت بتهكم: لستُ مِلكًا لك ليتم سرقتي منك.

فابتسمت لها ابتسامة جانبية جعلتها مبهورة الأنفاس وهي لا تصدق أنها بدأت في الانجذاب إليه، وقال: مع الوقت ستكونين كذلك.

أشاحت بوجهها سريعًا عنه وهي مندهشة من كل هذه المشاعر المتضاربة التي تشعر بها نحوه، وسارت خلفه بينما يخرج من المنزل متوجهًا نحو

سيارته.. لتلمح بنظرها سيارتها تقف جانبًا فتوجهت نحوها وفتحتها، لتجد مفاتيحها على كرسي السائق فالتقطتها وأغلقت الباب لتغلق بعدها القفل، فقال لها: لقد جلبتها بعد أن جئنا إلى هنا.. ما كنت لأجازف بجعل أحد يراها.

فوضعت المفاتيح في جيب بنطالها وقالت: وماذا الآن؟

فابتسم لها وقال: هل أنتِ مستعدة لبعض الركض؟ حاولي مجاراتي..

وانطلق بعدها نحو بداية الأشجار الكثيفة.. التقطت نفسًا وتبعته إلى أن دخلا إلى غابة.. كانت مندهشة من سرعته الكبيرة، رغم أنها كانت دائمًا ما تقوم بهزيمة جيمس أو إيان فيما يتعلق الأمر بالركض..

ولكنها شعرت بالهزيمة أمامه، فقفزت سريعًا عاليًا لتهبط على أحد الأغصان الغليظة بخفة وبدأت باللحاق به عاليًا،

بينما يركض كالسهم الذي خرج من عنان قوسه.. كانت تقفز بين الأغصان وهي تحاول سبق حركته بلا جدوى، ثم توقف عندما وصلا إلى مكان يشبه الساحة وسط الغابة، فهبطت إلى جانبه وقالت: سرعتك كبيرة.. هل لهذا سر ما؟!

فضحك قائلًا: سآخذ هذا على أنه مدح إذا.. لا، ليس سرًا، من الطبيعي أن نَتفاوت فيما بيننا في المهارات الفردية.. هل هذه المرة الأولى التي تجدين أحدًا يستطيع جعلكِ في المركز التالي له؟

فنظرت إليه وإلى ردود أفعاله الطفولية معها، ولم تجد سوى ابتسامة ردًا على سؤاله..

فتقدم نحو إحدى الأشجار العملاقة نوعًا ما، ومد ذراعه داخل فجوة كبيرة بها وأخرج قوسًا وحقيبة سهام، وقال في حماس: هذه المرة الأولى التي

أجعل أحدًا يرافقني؛ لذا لا أملك إلا قوسًا واحدًا!

-إذا.. لِمَ طلبت مني الحضور معك؟

-لم أشأ تركِكِ بمفردك في تلك الغرفة.. أعلم بأنكِ لن تقومي بالخروج منها دون سبب جيد.

-حسنًا.. والآن.. ألن تخبرني أين المتعة في الأمر؟

فسار أمامها واتجه نحو بداية الأشجار الكثيفة، فتبعته لتجده في جزء من الثانية دون تشعر قد أطلق سهمًا نحو أرنب صغير ليصيبه، وقال: المتعة أن تقومي بإصابة الهدف وأنتِ تعلمين صعوبة ذلك الأمر! مثل الذي يذهب لاصطياد الأسماك وهو يعلم أنه قد ينتظر طويلًا دون العودة بأي شيء في النهاية.. هل تجربين؟!

التقطت القوس منه وحاولت النظر حولها لتجد أي هدف أمامها، لتجده يقول: إذا عثرتُ على الهدف قبلكِ لن يعد محسوبًا..

شعرت ببعض التحمس الآن فهي لم تشعر بالأرنب الصغير قبل أن يصيبه سهم نيكلاوس.. فبحثت بعينيها لترى زهرة تهتز إثر حركة خفيفة؛ فرفعت القوس وقامت بالتصويب.. لتجد نفسها لم تصب شيئًا! فركضت نحو المكان لتجد السهم أصاب العشب، فقال نيكلاوس: لقد كان أرنبا آخر ولكنه أفلت منك!

فنظرت إليه بدهشة! فهي لم تعلم ماذا كان يوجد ليعلم هو! تأكدت أنه أقوى منها وأشد ملاحظة عنها؛ فزفرت بإحباط.. لا تتذكر المرة الأخيرة التي لم تصب فيها هدفًا، لا بل هذه هي المرة الأولى!

وهمت بإعطائه القوس؛ فقال: لا، عليكِ النجاح أولًا.. هيا حاولي مرة أخرى.

التقطت نفسا عميقًا وبدأت في البحث بعينيها.. وعندما شعرت بحركة خفيفة خلف ظهرها كتمت أنفاسها وصوبت نحو المكان وهي تستدير بجذعها بشقها الأعلى، لتجد نفسها أصابت شيئًا، فاتجهت نحو المكان لتجد أنها أصابت قدم أرنب بني صغير.. وعندها جثة نيكلاوس سريعًا، وأخرج السهم بحركة سريعة وطعن الأرنب في قلبه في أقل من الثانية.. شعرت سارة بشعور يشبه الإعجاب لتصرفه، ليتَضخم ذلك الشعور عندما قال: حاولي إصابة جزء مميت في المرة القادمة، لا تدعيه يعاني.

تساءلت حقًا عن كيفية شروعه في القتل أحيانا إذا كان لا يتحمل إصابة حيوان صغير! تلك الصفات المتناقضة التي تجوب حوله...

وبعد أن قاموا بالصيد لمزيد من الوقت جمع نيكلاوس السهام الشاردة والصيد الذي اصطاداه معًا، ثم سار نحو ممر ضيق داخل الغابة بين الأشجار، فتبعته سارة قائلة: ماذا تفعل بهم؟

فقال ضاحكًا: لدي صديق يقوم ببيع الفراء.. أقوم بإعطائه ما أقوم بصيده.. الكمية جيدة اليوم؛ سيكون سعيدًا بها!

سارت خلفه وهي تحمل القوس وحقيبة السهام إلى أن وصلوا إلى كوخ متوسط الحجم.. يقف أمامه رجل كبير في السن قليلًا يقوم بتقطيع الأخشاب.. نظرت إليه مطولًا.. إنه بشري! إذا هو لا يحتقر البشر في النهاية كما كانت طريقة كلامه قبلًا!

قام بالتقدم نحو الرجل وحيّاه مازحًا وقام بإعطائه الصيد، ثم سار نحوها مجددًا وعلى وجهه ابتسامة مشاكسة سعيدة.

***

كانت ريبيكا جالسة في غرفتها تنظر من النافذة بشرود.. وعندما رأت شقيقتها الكبرى تقترب من المنزل بسيارتها الحمراء الفارهة قفزت في سعادة مكانها، واندفعت نحو باب المنزل سريعًا لتقوم باستقبالها، وعندما خرجت من المنزل صاحت في سعادة: سيليست!

فتَرجلت سيليست من السيارة وعلى وجهها ابتسامة اشتياق، وخلعت نظارتها الشمسية لتظهر عيناها الزمردية وهي تقول: مرحبًا صغيرتي.. كيف حالك؟

فاتجهت ريبيكا نحوها محتضنة إياها وقالت: لقد غبتِ طويلًا.. لقد اشتقت إليك..

فرفعت سيليست يدها نحو رأس ريبيكا وربتت عليه قائلة: آسفة.. أين نيك؟

فنظرت ريبيكا نحوها وزمت شفتيها قائلة: دائمًا ما تسألين عنه... لقد ذهب للصيد كالعادة.

-إذا ضيفته في غرفتها أليس كذلك؟

-هل كنتِ تعلمين بأمرها؟!

-بالطبع.. تعلمين نيك لا يخفي عني شيئًا، كما أنني أعرفها مسبقًا.. هل هي في غرفتها؟!

-إنها بصحبته، لقد قام باصطحابها معه.

فرفعت سيليست حاجبيها بدهشة وقالت: هذا جديد.. دائمًا ما يحب الذهاب وحده إلى الصيد!

وعندها سمعا صوت نيكولاس يضحك بشدة؛ فاستدارتا نحو مدخل الغابة

ليَجداه يضحك بينما تحاول سارة إسكاته، وعلامات الخجل تظهر على وجهها فصاحت سيليست: نيك!

فأخذ نيكولاس نفسًا وقال: هذه شقيقتي الكبرى سيليست.

فنظرت سارة إليها وقالت بتعجب: حقًا.... لم أكن أعلم أنها تملك أشقاء!

فالتفت نحوها قائلًا: هل تعرفينها؟!

فابتسمت له وقالت: لقد تعارفنا مسبقًا في نيويورك منذ سنوات.

وعندما اقتربا منها صافحت سيليست سارة قائلة: لم يتغير طرازك الصبياني إلى الآن.

فابتسمت قائلة: تعرفين أنه صعب التغير!

فضحكت سيليست قائلة: أراهن بأنه سيقع بشباكك بشدة إذا رآكِ في فستان أو ما شابه.

فاحمر وجه سارة خجلًا، فقالت سيليست: حسنًا هذه سابقة... نيك كيف حالك؟

فابتسم لها وقال: أفضل منكِ.. هل ستبقين معنا الآن؟

-لا أعلم بعد... ولكن يمكنني جعلك تتمنى ذلك... سَأسرق ضيفتك قليلًا..

ثم مدت يدها إلى ذراع سارة وجذبتها معها نحو المنزل هامسة لها: لدي ثياب جميلة لكِ.

-سيسي.. تعرفين أنني لا أشعر بالراحة في تلك الثياب!

-عزيزتي.. ستقومين بشكري بعد ذلك.

-كيف سأنجو منك ومن أخيك؟ ماذا فعلتُ لكل ذلك دفعة واحدة؟!

فأدخلتها سيليست غرفتها وقالت: حاولي مجاراتي قليلًا إذا.

فزمت سارة شفتيها وقالت: هذا يعد مزيدًا من التورط معكِ، لا النجاة منكِ!

فضحكت سيليست وهي تخرج فستانا أسود اللون ذا ذيل طويل، وقالت: لقد جلبته خصيصًا لكِ.

فعقدت سارة ذراعيها وقالت: سيسي.. لن أقُم بتبديل ملابسي!

فاقتربت سيليست منها وقالت: ستفعلين، وإلا سوف أقوم بتبديلها لكِ بنفسي!

فخطفت سارة الفستان من يدها وقالت: حسنًا.. لعدة ثوان فقط!

فابتسمت سيليست قائلة: سنرى بخصوص ذلك..

بينما استدارت سارة نحو غرفة سيليست المنفصلة التي تعد خزانة لها وقامت بتبديل ملابسها.. كان الثوب مثاليًا عليها.. مكشوف الأكمام، وطبقة من الدانتيل تزين أعلى الصدر، وكان له ذيل موصل من الكتف حتى نهاية طول الفستان.. شعرت بأنها إحدى الأميرات عندما نظرت للمرآة..

خرجت نحو الغرفة لتجدها فارغة، فاتجهت نحو المرآة الكبيرة في الزاوية ووقفت أمامها تتأمل نفسها.. كانت تريد مشاركة تلك اللحظة مع عمرو حتى لو كان مجرد وهم في عقلها.. ولكنها وجدت نيكلاوس بدلًا من ذلك يقف، وعلى وجهه تلك الابتسامة الجانبية يمد يده نحوها.. فتحت عينيها

سريعًا لتراه في المرآة يقف خلفها وينظر لها بذهول وعيناه متسعتان من إثر الصدمة، فاستدارت إليه بينما تقول سيليست: ما رأيك؟ هل استطعتَ التعرف عليها؟

فابتسم قائلًا: أظن أنني سأبحث عن هدية لكِ جراء هذه المفاجأة!

ثم تقدم نحو سارة، وقال وهو ينظر إلى عينيها مباشرة: تبدين في غاية الجمال بهذا الثوب.

فاحمر وجهها خجلًا وشعرت بأن قلبها ينبض بشدة، فعَضت على شفتها السفلية وهي تستدير في ارتباك قائلة: شكرًا لك.

فضحك وغادر الغرفة وهو يشعر بالسعادة.. كان لسبب ما بدأ يصدق أنها ستكون له في نهاية الأمر، وشعر بالتعجب لتغير طريقة معاملتها له خلال الأيام القليلة الماضية.. هل استطعتُ التأثير بقلبها المغلق بهذه السرعة؟! شعر بأن عليه الاحتفال لهذه المناسبة!

بينما سارة سارعت في تبديل ملابس غير مستمعة لكلِمات سيليست.. كان عقلها في حيرة من أمره! كيف تستدعي صورة عمرو لتظهر صورة نيكلاوس بدلًا منها؟! كيف استطاع اختراق الحصون المحصنة لقلبها في هذا الوقت القصير؟! طوال الفترة الماضية لم ينجح أي أحد في الوصول إليها مهما حاول، لكنه في يوم وليلة أصبح يطاردها في عقلها..

خرجت من غرفة الخزانة وهي تلقي الفستان في وجه سيليست، التي انفجرت ضاحكة عند رؤية وجهها الأحمر من الخجل.. وسارعت في الخروج إلى غرفتها وأقفلت الباب عليها بصمام الإغلاق، وهي تشعر أن قلبها سينفجر منها... ظلت حبيسة الغرفة طوال اليوم، ولم تستجب إلى أي محاولة من سيليست أو نيكلاوس في الخروج..

وفي المساء كانت قد غرقت في النوم إثر الإرهاق من التفكير دون الوصول إلى إجابة مقنعة.. لتجد نفسها تحلم به وهو يصطاد معها في الغابة، وكيف تحولت هالة الاتزان إلى هالة طفولية وهو يمرح مشاغبًا.. لتستيقظ لاهثة... ثم نهضت عن الفراش وفتحت الباب لتجد نيكلاوس جالسًا مقابلًا لها، وقد غرق في النوم أرضًا فتقدمت نحوه وانحنت نحوه واضعة يدها على كتفه؛ ليفتح عينيه بكسل؛ فوجدت نفسها تشعر بالخجل بينما هي تنظر إليه مباشرة؛ فاعتدلت سريعًا قائلة: ماذا تفعل هنا.. لِمَ لستَ في غرفتك؟!

فنهض متثائبًا وهو يمط جسده قائلًا: لِمَ فعلتِ هذا بي؟ لِمَ ظللتِ في الغرفة كل هذا الوقت؟!

-أردت البقاء بمفردي قليلًا لا أكثر..

فابتسم لها ابتسامة حانية معاتبة قائلًا: عندما تستائين من أي شيء أخبريني به.. قومي باللجوء إليّ، لا تظلين وحدك هكذا!

ثم تقدم نحوها بتردد، ومد يده نحو خدها ومسح عليه برفق بإبهامه قائلًا: هل تعديني بذلك؟

شعرت بقلبها يدق بشدة كأنها طبول يتم قرعها للحرب، ولم تجد إجابة مناسبة له غير أنها أومأت بالموافقة؛ فابتسم لها واستدار قائلًا: لم تحصلي على الدماء اليوم، هل تشربين معي؟

انتظر إجابتها وهو يسير نحو الدرج، ولكنه لم يجد إجابة؛ فالتفت إليها ليجدها تضع يدها على خدها الذي كان يلمسه منذ ثوان، وعلامات الخجل تجتاح وجهها؛ شعر بالسعادة لذلك وقال متصنعًا: ماذا هناك؟!

فأنزلت يدها سريعًا، ونظرت له في ارتباك وقالت: لا شيء!

فابتسم مشاكسًا لها وقال: حسنًا.. تعالي معي للأسفل.

كان الارتباك باديًا عليها وهي ترتشف من الكوب الذي قدمه لها، ولم تلحظ أنه يراقبها ولا يشرب معها.. وعندما أنهت كوبها نظرت إليه لتتقابل عيناهما فقالت متلعثمة: ماذا هناك؟!

فابتسم لها وقدم لها كوبه قائلًا: لا بد أنكِ ترغبين في المزيد.

فأخذته منه بينما التقط كوبها وصب فيه لنفسه، فنظرت إليه من خلال أهدابها لتجده يبحث عن موضع شفتيها، وارتسمت تلك الابتسامة المشاكسة وهو ينظر إلى أثر مرطب شفتيها الشفاف، ثم يشرب من الكوب والسعادة تغمر عينيه.. أشاحت بنظرها عنه سريعًا وسارعت بشرب كوبها، ثم هبت واقفة؛ فنظر إليها متسائلًا فقالت: سأذهب للسير قليلًا..

-نحن نقارب منتصف الليل.. لا يجب عليكِ الخروج وحيدة!

فرفعت حاجبيها مندهشة وقالت: أستطيع العناية بنفسي.. هل نسيت؟!

فنهض قائلًا: لا، لم أنسَ، ولكني سأقوم بمرافقتك.. ليس هناك ما يسمى ببقائك وحيدة بعد الآن.

أحبت الشعور بأن هناك من سيقوم بحمايتها، شعرت بأنها تريد الشعور بذلك مجددًا؛ إنها ضعيفة وهشة، وقابلة للتَحطم، ليست محصنة ضد كل شيء.. إنها نوعًا ما بشرية... فسارت دون أن تعقب..

بينما هو يتبعها كان يريد مراقبة تقلباتها المزاجية الغريبة التي تجعله يشعر بسعادة لسبب ما.. خجلها المفاجئ، ارتباكها أمامه، وتصرفاتها الأنثوية التي تحاول الهروب داخل قناعها الصبياني...

وأثناء ذلك وجدها تتوقف أسفل إحدى الأشجار العملاقة وتضع يدها

عليها، بينما ذرات طاقتها التي تظهر وتختفي متلألئة في الظلام تتطاير بامتزاج مع ذرات أخرى تصدر من الشجرة بشكل ساحر؛ فقال متعجبًا: ماذا تفعلين؟

فالتفتت إليه باسمة قائلة: أعالج الضرر الذي أصاب الجذع.. شيئًا اكتشفته منذ فترة يولد شعورًا دافئًا مسالمًا... هل تريد التجربة؟

-هل هذا الأمر يمكن لأي أحد فعله؟!

-لا.. سأسمح لك بمشاركتي لذلك الشعور، كل ما عليك فعله هو محاولة تحرير حريرات وعيك..

فابتسم لها واقترب نحوها.. كانت تريد أن تتخلل داخل عقله، وهذه كانت وسيلتها الوحيدة لفعل ذلك دون أن يلحظ.. وعندما فعل ما طلبته منه شعر بها تحاول التوغل داخل عقله، فنظر إليها ليجدها تعاني إثر الخدر العقلي الذي بدأت تشعر به بسبب محاولة اختراق عقله؛

فتقدم نحوها وأمسك يدها لتفتح عينيها في دهشة، فهمس معاتبًا: لِمَ تفعلي ذلك؟ لن تحصلي على شيء سوى أنكِ ستصابين بالأذى!

فسحبت يدها منه وقالت: أحاول فهم ما يدور، لا أكثر.

فمد يده نحو ذراعها وجذبها إليه.. وبينما كانت تنظر إليه بتوتر كان ينحني قليلًا مقربًا وجهه إلى وجهها، ثم قال وهو ينظر إلى عينيها مباشرة: لن تستطيعي الولوج إلى عقلي إلا في حالة واحدة!

فتلعثمت قائلة: وما هي؟!

فقال بتلقائية: هل تقبلين الزواج بي؟

حاولت جذب نفسها بعيدًا عنه ولكنها لم تستطع، فأغمضت عينيها في ارتباك وقالت: ابتعد عني!

-لم ترفضي مباشرة كما في السابق، هل هذا يعني أن موافقتك أصبحت قريبة؟

-أخبرتك أن تبتعد عني!

فاستقام قائلًا: حسنًا... افتحي عينك الآن!

فتحت عينيها بارتباك، لتجده يحدق بها فسحبت ذراعها منه وسارت عائدة للمنزل فسمعته يضحك وهو يتبعها..

لم تشعر بأنها ضعيفة بهذا الشكل أمام أي أحد، حتى عَمرو لم يكن يجعلها تشعر بالارتباك والتوتر وجعل قلبها ينبض بهذا الجنون! غضبت لأنها حاولت مقارنة الاثنان معًا.. ولكن عقلها فجر مقارنة أخرى تحول الأمر سريعًا لتكون هي المسؤولة عن حماية عمرو، ولكن نيكلاوس يقوم بحمايتها، مع علمه أنها قادرة على تدبر أمرها بمفردها! فلا يوجد سواه قادرًا على مواجهتها وجعلها عاجزة أمامه..

تنهدت في استياء وصعدت الدرج نحو غرفتها لتجده يتبعها؛ فقالت: أنا في المنزل الآن.. ليس عليكَ التواجد برفقتي!

فقال بنبرة قلقة: سارة...

توقفت مكانها واستدارت نحوه تلقائيًا، كان قلبها ينبض بشدة لأنه نطق اسمها هكذا.. أخرج علبة صغيرة زرقاء اللون وقال: أرجو أن تقومي بارتدائه.. أنا حقًا أرغب بموافقتك.

ثم قدمها إليها قائلًا: اقبلي الزواج بي!

فأخذت العلبة ودخلت إلى غرفتها وأغلقتها سريعًا دون أي تعقيب..

كان يعلم جيدًا بأمر جنون قلبها، ويستمع إلى دقاته العنيفة من حين لآخر وهو يتعامل معها.. فكر حينها.. لو كان حاول الظهور في حياتها تدريجيًا، هل كان من الممكن جعلها توافق سريعًا أو يؤثر بها بهذه الطريقة؟!

نظر نحو الباب المغلق وهو يعلم أنها تقف مباشرة خلفه تستند إليه بينما تلتقط أنفاسها الهاربة، ابتسم بضعف وسار نحو غرفته...

وفي الصباح لم تكن سارة تريد الخروج من غرفتها، فهي بقيت طوال الليل تنظر إلى الخاتم الغريب الذي قدمه إليها وكانت ما تزال تنظر إليه.. تشعر بأنها حائرة مبعثرة من كل جانب، لا تعلم حقًا ماذا تفعل! لِمَ هو متأكد بهذه الطريقة بعد رفضها إياه!! لم يكف عن المحاولة! جعلها تنسى أنه يقوم باحتجازها..

شردت.. عندما شعرت بأنها يمكنها في النهاية فتح قلبها أمام آدم لم يستطع جعلها تفكر به طويلًا، ولم يستطع تحريكها نحوه.. بعض الإعجاب فقط الذي انتهى بصداقة أكثر قربًا... أخرجت الخاتم من العلبة،

وتأملت الحجر الأرجواني بلونه الفريد مع الأزرق كأنه قطعة من الفضاء، ثم تنهدت ووضعته مرة أخرى في العلبة...

***

في منتصف اليوم كان أدهم يصطحب رحيق لتناول الغداء خارج الشركة.. مرت بضع أيام منذ أن أخبرها بكل شيء، ولكنه يشعر بأنه أخبرها الآن.. لم يكن يشعر بالوقت وهو بقربها..

وبينما هما جالسان في المطعم شعر أدهم بعيون كثيرة تراقبه؛ فنظر حوله

دون أن يبدي أي تصرف غير طبيعي، ليدق قلبه قلقًا؛ لقد وجدوه! ولكن هذه ليست المشكلة الآن.. لقد وضع رحيق في خطر دون أن يدري!

فنظر إليها ليجدها تداركت الأمر وظهر عليها القلق، بالطبع تلك الرابطة التي بينهما.. شعر بأنها شيء غير مرغوب في تلك اللحظة.. مد يده نحوها ولامس كفها مهدئًا إياها، لتبتسم له ابتسامة كاذبة.. يحاول تصديقها فيفشل، شد على يدها وانتقل بها إلى مقر الشركة ليجد مكتبه مقلوبًا رأسًا على عقب، وكذلك مكتب رحيق!

سحبها بين ذراعيه بلا وعي واحتضنها بصورة دفاعية أمام لا شيء! لم يكن يعلم كيف وصلوا إليه، ولا كيف علموا مكان الشركة الخاصة به!

وبينما هو تائه في كل هذا.. اقتحم فريق من المجندين يرتدون ملابس سوداء وأقنعه تخفي وجوههم.. وقبل أن يستطيع جمع شتات نفسه أطلق أحدهم وكاد يصيب رحيق، ولكنه حول نفسه إلى درع يلتقط الطلقات عنها.. حرر أجنحته في جزء من الثانية وبدأ بالطيران عاليًا متفاديً طلقاتهم، واخترق زجاج النافذة العملاقة مدمرًا إياها..

حلق عاليًا مبتعدًا عن الأنظار وهو يشعر بدقات قلب رحيق التي تكاد تهرب خوفًا.. كانت شبه واعية من الصدمة، تشبثت به وكأنها إذا أرخت يدها ستلقى حتفها؛ فشد ذراعيه حولها مطمئنًا لها، وحاول الابتعاد بها..

كان خائفًا أن يكونوا قد تعرفوا عليها فيتوصلوا إلى عائلتها فيقوموا بإيذائهم... تحررت أنفاس رحيق الهاربة، وقالت بصوت يشبه الهمس: ماذا سيحدث الآن؟!

فنظر إليها ليجد نظارتها مهتزة وتنحبس داخلها الدموع؛ تنذر بالنزول في أي لحظة، فابتسم لها وقال: لا تقلقي سأقوم بحمايتك.

-أعلم ذلك.. ماذا سَيحدث لعائلتي؟ هل وصلوا إليهم؟

-أحيانًا لا أحب ذلك الرابط.

فضحكت رغم خوفها وقالت: هل أنت بخير؟ علينا إخراج تلك الطلقات من جسدك.. دعنا نذهب لمنزلي.

-لا، هذا خطر! إذا قاموا بتتبعي بطريقة ما قد يضع ذلك منزلك في خطر!

-إذا اختفيت بهذه الطريقة سيموت والداي قلقًا، وسيصلون إليهم عندها!

-قومي بالاتصال إذا.. أخبريهم أنكِ ستذهبين اجتماعًا عاجلًا إلى خارج الولاية بصحبتي.

-هل تظن أن أبي سَيصدق ذلك؟ دعنا نذهب إلى هناك أولًا.

كان يعلم أنها لن تغير رأيها مهما حاول، وكان يعلم أنها تريد الاطمئنان أنهم بخير بعيدًا عن كل شيء، وتفكر في حجته أنها ستكون واقعية أكثر بهذه الطريقة..

كانت تتنازع مع خوفها وقلقها عليهم وعليه، تعي تمامًا أنه لن يستطيع الذهاب للمشفى لمعالجة جراحه.. وبدأت في تحضير نفسها فكريًا أنها عليها مساعدته في تخطي ذلك، وأن عليها إخراج تلك الطلقات التي كانت سببًا فيها.. ضحك بضعف وهو يهبط بها أمام باب المنزل، فنظرت إليه وإلى ملابسه الممزقة وقالت: علينا إيجاد ملابس لك.. لا يمكننا الدخول هكذا!

فابتسم لها وقال: لا، لن أدخل معك... سأنتظركِ في غرفتك.

وعندها اختفي من أمامها، فقالت محاولة جمع شتات نفسها: كل شيء سيكون على ما يرام..

فتحت حقيبة يدها ممتنة أنها ارتدت هذا النوع لليوم، وإلا كانت سقطت منها بعيدًا، وأخرجت المفتاح وفتحت الباب سريعًا لجعل الأمر يبدو أنها متعجلة، وكادت تصطدم بسلوى؛ فأمسكت سلوى بذراعها قائلة: صغيرتي.. ماذا هناك؟!

-سأتأخر عن موعد الطائرة... لدي اجتماع نسيت أمره تمامًا!

-حسنًا دعيني أساعدك في جمع أغراضكِ!

-لا أنا بخير.. لقد قمت بتحضير حقيبة مسبقًا لتلك الحالات.

-هل لديك وقت وقت لتناول الغداء معنا اليوم؟

كانت رحيق خائفة للغاية، وتريد محاولة جعل الأمور طبيعية إلى أقصى حد تستطيع فعله، فابتسمت وقالت: بالطبع!

فسعدت سلوى لذلك وسارت سريعًا إلى المطبخ محاولة إنهاء الغداء..

بينما ركضت رحيق سريعًا لغرفتها غير مدركة لوجود أبيها أمام غرفته، مما جعله يتبعها، وعندما رأي أدهم مستندًا إلى حافة الشرفة والدماء تقطر منه، ورحيق تبحث داخل علبة إسعَافاتها دون إدراكها إنها لم تغلق الباب، زفر في حيرة وأغلق الباب قائلًا: صغيرتي!

فقالت متفاجئة وهي تنظر نحوه وإلي أدهم سريعًا: أبي!!

فاقترب منها وقال: اجعليه يستلقي على الفراش، سأحضر أنا الضمادات!

فنظرت إليه قليلًا في دهشة من هدوئه، ثم اتجهت نحو أدهم الذي يكاد أن يسقط بغير وعي، وساعدته على الذهاب نحو الفراش.. وعندها اتجه مراد إليه وقال: حاول التحمل بني... لا نملك مخدرًا هنا.

فأماء أدهم إليه ونظر نحو رحيق التي يعتصر وجهها ألمًا، كما لو أن الرصاصات قامت باختراقها هي وليس هو... حاول مراد إخراج جميع الطلقات وقام بتضميد جراح أدهم جيدًا، ونظر لرحيق متفحصًا ليجدها دون خدش فقال: صغيرتي.. ماذا يجري؟ كيف أصيب هكذا؟!

فنظرت إليه قليلًا لا تدري ماذا تقول، وكيف أخبره بما يجري! فَأشاحت بوجهها سريعًا وقالت: لقد حاول أناس ما قتله، وكنت معه لذا لم يستطع الهرب دون إيذاء نفسه، قد يكونوا تعرفوا عليّ؛ لذا من الخطر البقاء هنا.. سأرحل لبعض الوقت إلى أن يهدأ الأمر... لقد أخبرت أمي أنه اجتماع خاص بالعمل، لذا.. أبي.. رجاءً..

فقال منفعلًا: لا، كيف تريدين الابتعاد بهذه الطريقة!؟ نستطيع العودة جميعا لمصر!

-الأمر ليس هكذا، قد يصلون إلينا هناك.. أبي.. ثق بي.. عليّ الاختباء بعيدًا!

ثم انهارت قائلة: قد يقومون بإيذائكم جميعًا إذا تعرفوا عليّ معكم!

فأمسك مراد بكتفها محولًا طمأنتها.. وعندها سمعوا صوت كسر الباب الرئيسي؛ فركض مراد للأسفل سريعًا ليجد سلوى ممددة على الأرض غارقة في دمائها.. تحطم قلبه إلى قطع متناثرة، ولكنه ركض سريعًا إلى غرفة تميم النائم، وجذبه سريعًا لغرفة رحيق وهو لا يدرك ما يجري!

وعندها أخرج أدهم أجنحته وسط ذهول مراد وتميم واندفع للأسفل، وقام بقتل المقتحمين بإحدى السكاكين التي في المطبخ.. كان يتحرك سريعًا بينهم برشاقة جاعلًا إياهم يصيب بعضهم بعضًا أحيانًا..

وعندما سقط الجميع اقترب نحو جسد سلوى محاولًا تحسس نبضها، متمنيًا أن تكون ما تزال على قيد الحياة.. ولكن بلا فائدة..

عندها صرخت رحيق راكضة نحوه تتطاير عنها نيران تلتهم المنزل في أقل من ثانية، فاستخدم كل ما تبقى من قواه، ونقل الجميع إلى قبو منزله، وعندها سقط مكانه مرهقًا..

ركض مراد نحو جسد سلوى.. لا يصدق أنه فقد مليكته.. فقد حب حياته، وشريكته الوحيدة!! تقدم تميم نحو والده وهو تحت تأثير الصدمة! لا يصدق ما حدث أو كيف فقد والدته للتو!

كانت رحيق تقف مكانها تنظر إلى أدهم خائر القوى مكانه، غير واع تمامًا لِما حوله، وإلى والدها الذي ينظر إلى والدتها في ألم ويبكي على فقدانها، وإلى تميم كيف يقف ساكنًا غير مدرك لِما يجري..

كانت الدنيا حولها تدور دون توقف، كان عالمها يتحطم إلى ذرات صغيرة، لا تدري ماذا تفعل! كانت تائهة دون وجود طريقة للعودة..

كان أدهم يراقبها بصمت، وهو لا يصدق تلك الهالة التي تنتظر فرصة لالتهام كل ما حولها، أجنحة نارية ضخمة ثائرة حولها لا يراها أحد سواه، وهو لا يدري هل يحلم أم لا؟!

***

في صباح اليوم التالي كان نيكلاوس جالسًا إلى المشرب الطويل ينظر إلى كوبه غير المنتهي من الدماء.. مر يوم كامل منذ أن طلب يد سارة للزواج، وهي لا تريد الخروج من غرفتها، وتسللت للحصول على الدماء وعادت محاولة عدم التلاقي معه..

كان يفكر في أنه تسرع وعليه الرجوع في قراره، رغم أنه شعر بالأمان في ابتسامتها ووجودها إلى جانبه..

وأثناء شروده وجدها تجلس إلى جانبه، وسحبت كوبه وشربته سريعًا، نظر إليها ليجدها تبتسم في شيء من الخجل، فقال: ماذا الآن؟!

فقالت مشاكسة: سأذهب معك للصيد.

فنظر إليها قليلًا وقال قلقًا: لا أريد سماع شيء سوى موافقتك!

فابتسمت نصف ابتسامة وقالت: هل أنت قلق لهذه الدرجة؟!

-في الحقيقة... لا أريد سماع إجابتك إذا كنتِ سترفضين.

-هل سَتتركني أذهب إذا؟!

-هل تريدين الرحيل حقًا؟

-لا أعلم.. قد أريد البقاء.

فقال غير مصدق لِما يسمعه: هل يعني بأنكِ موافقة؟!

فرفعت نظرها نحوه من بين أهدابها قائلة: وماذا سيحدث إذا وافقت؟

فسحب يدها وقبّلها قائلًا: أي شيء تريدين له أن يحدث.. أريد أن أقضي معظم أوقاتي معكِ.. أريد ملء كل ثانية من وقتك.. لن أتركَكِ وحيدة، سأقوم بحمايتكِ دومًا.. لا أظن أن تمر عليّ ثانية من دون أن أقع في حبكِ مرة أخرى.. سأكون كل شيء وأي شيء لكِ..

ثم فتح يده لتمر شحنة في الهواء وتعود بعلبة الخاتم، ثم فتح العلبة وأخرج الخاتم قائلًا: هل توافقين على البقاء إلى جانبي دائمًا؟ هل توافقين أن أكون زوجًا لكِ؟

فمدت كفها إليه قائلة: عليكَ فقط تقبل جنوني.

فابتسم ابتسامة ضخمة وألبسَها الخاتم، ثم قال: متى سنقيم الزفاف إذا؟

فضحكت ونهضت قائلة: لا أعلم.. بعد قرن أو ما شابه.

فنهض خلفها يتبعها للخارج معترضًا.. وعندها رن هاتفه؛ فنظر إليه قليلًا، ثم أجاب في عدم تصديق: أدهم! لقد مر وقت طويل.. كيف حالك؟!

فجاءه صوته المرهق: أجل، مر الكثير من الوقت.. أنا بحاجة لمساعدتك!

-لك ما تريد... أخبرني ماذا هناك؟

-لقد تم كشف أمري.. عليّ حماية أحدهم، لا أملك مكانًا للاختباء!

-أنا في منزلي المنعزل في ميامي، أتنتقل إلى هنا قبل أن يتتبعك أحد!

-حسنًا، شكرًا لك.

-لا تقل ذلك.. لم أرد لك ذلك الدين بعد... لا تتأخر سأنتظرك.

ثم أغلق الهاتف وهو مشتت بين مشاعره السعيدة لإسقاط أسوار قلب الفتاة الوحيدة التي سرقت قلبه،

وبين مشاعره القلقة من التورط مرة أخرى مع تلك المنظمة.. إذا كانوا يبحثون إلى الآن عن أدهم، هذا يعني أنهم ما زالوا يقيمون تلك التجارب البشعة...

***

أغلق أدهم الهاتف وتوجه نحو رحيق.. كان قد استعاد عافيته قليلًا، وأدرك أنه سبب دمارًا كبيرًا لعائلة رحيق، كان لا يدري حقًا.. كان يشعر بالآلام المنبعثة من رحيق التي لا يشعر بها أحد سواه.. أخذ ينظر إليها، بينما هي في

عالم آخر من الحزن والقلق تراقب والدها المحطم وأخاها المصدوم من كل شيء، وهي تلوم نفسها..

فمد يده ووضعها على يدها وشد عليها محاولًا بث الطمأنينة لها، فلا ذنب لها مما حدث سوى أنها أحبته.. نهض محاولًا تناسي آلام جسده وجذبها بين ذراعيه مستجيبًا لرغبتها في البكاء، جاعلًا إياها تفرغ كل تلك الرغبات المتناقضة، وجعلها تطلق العنان لِما في قلبها.. وعندما هدأت قال هامسًا: سأقوم بحمايتكِ، لدي صديق سيقدم لنا المساعدة، ولكن لديه سر ما؛ عليكِ محاولة استيعابه!

فمسحت دموعها وقالت: وما هو ؟!

فنظر إليها قليلًا وقال: إنه مصاص دماء.. يدعى نيكلاوس..

وقبل أن يكمل قالت بدهشة: ماذا ؟!

فابتسم لها وقال: هل تصدقين وجودي وكل شيء حولين ولا تستطيعين تصديق مصاصي الدماء.. سأدعكِ تكتشفين كل شيء عندما نصل.. أخبري والدك وتميم أننا سنذهب إلى منزل آمن.

فسارت نحو والدها الذي لا يزال ينظر إلى جثمان سلوى في ألم، وقالت محاولة السيطرة على شعورها الغريب في تدمير كل شيء: أبي.. أدهم سيساعدنا على الهرب إلى منزل آمن.

فقال وهو يحاول التخفيف عنها؛ فهي لا ذنب لها بما حدث: حسنًا صغيرتي..

فاقترب منها تميم وقال: أدهم.. ليس بشريًا، أليس كذلك؟

كانت رحيق تنظر إلى جثمان أمها ولا تستطيع إبعاد نظرها، وعندها ظهرت أجنحتها النارية وانتشرت النيران في القبو سريعًا.. فحمل أدهم تميم ومراد

ونقلهما إلى خارج المنزل، وعاد مرة أخرى إلى رحيق ليجدها داخل هالة عملاقة تتمثل في شكل طائر الفينيق.. سمع صوت الطائر يصرخ متألمًا لتسقط رحيق أرضًا.. فاقترب منها سريعًا وانتشلها من النيران وخرج بها سريعًا..

والدها يقف مذهولًا من الصدمة!! كيف لابنته أن تظهر لها تلك الأجنحة العملاقة؟! وكيف تضطرم حريقًا من لا شيء!!

قال أدهم: لدي صديق سأنتقل بكم جميعًا إلى منزله، سيساعدنا على الاختباء..

فقال تميم: ماذا يحدث لرحيق؟ هل جَعلتها غير بشرية مثلك؟!

فقال بألم: لا... أنا نتيجة تجربة بشعة أنا الوحيد الناجي منها.. رحيق بها شيء ما غير طبيعي، لكن لا أعلم ما هو حقًا.. أنا حقًا لم أرَ شيئًا مماثلًا لذلك من قبل!

فقال مراد: كيف سنعالج رحيق إذا؟!

فقال أدهم وهو يضع رحيق بين ذراعي مراد: صديقي قد يعلم تفسيرًا لحالة رحيق!

ثم أمسك بيد تميم وركز طاقته وانتقل إلى بهو المنزل الخاص نيكلاوس، ليجده يقف مع فتاة رآها قبلًا، تبدو صِبيانية رغم نظراتها الوقورة، فاقترب نيكلاوس إليه وقال: مرحبًا بك صديقي.. مرحبًا بكم.. يمكنكم الدخول لنتحدث بعد ذلك.

فاقتربت سارة وحملت رحيق من مراد قائلة: اتبعوني..

فتبعها مراد وتميم بينما ظل أدهم واقفًا مع نيكلاوس، وقال: من هذه؟!

فابتسم ثم قال: إنها مليكة قلبي.. سارة.. لا تقلق أنا الجيد الآن ولست الشرير.

فضحك أدهم بضعف وقال: إذا لقد حدث... نيك الجبار وقع في الحب دون رحمة، أليس كذلك؟!

فضحك قائلًا: يبدو ذلك... أخبرني.. هل هذه هي رحيق؟

-أجل.. ولكن هناك أمر ما لا أستطيع تفسيره... البارحة أحرقت منزلها عندما ماتت والدتها، واليوم أحرقت منزلي وانهارت.. ليست مجرد طاقة كامنة استيقظت داخلها.. لقد سمعت صوت طائر يصرخ.. نبض سريع إلى جانب نبضها، يصدر عن قلب ضخم.. هناك شيء ما بها!

-لا تقلق، لا بد أن سارة الآن تحاول جعلها تفيق؛ لديها القدرة على التخلل داخل الجسد والعقل بسهولة.

-لا تخبرني أنها تلك الصائدة التي كنت تريد قتلها والاستيلاء على قدرتها!!

-إنها هي... ألم أخبرك أني أنا الجيد الآن!

وعندها سمع صوت صراخ سارة؛ فركض نيكلاوس إلى الغرفة التي بها ، ليجدها تقف أمام رحيق التي تطوف داخل طائر فينيق عملاق، تحاول أن تلتهم نيرانها الغرفة.. بينما تحاول سارة احتواء النيران بطاقتها وهي تصرخ متألمة، فصاح أدهم بها سريعًا: رحيق... إنه أنا!

وحاول الاقتراب منها قائلًا: اهدئي.. عزيزتي إنه أنا!

فنظرت رحيق إليه قليلًا لتسقط أرضا ويختفي كل شيء.. فركض نيكلاوس نحو سارة ليجد أن حروقًا قد أصابتها، وجسدها يحاول الاستشفاء، فحملها عن الأرض وسار بها إلى غرفتها قائلًا: سأعتني أنا بها، حاول جعل

رحيق هادئة بينما نصل إلى ماهية ما هي عليه!

فتقترب تميم من أدهم وقال: هل جميعهم غير بشريين مثلك؟

فأنام أدهم رحيق على الفراش وقال: إنهم مصاصي دماء، غيرى تمامًا. ولكن الشيء المشترك هو القدرات الفريدة التي يحملها كل فرد.. نيكلاوس يستطيع التحكم بالكهرباء وإنتاجها من لا شيء، وسارة قادرة على استشعار كمية الضوء والظلام داخلك وإصلاح ما بداخلك..

إخوة نيكلاوس لا يملكن أية قدرات خاصة، ولكنهم العائلة الوحيدة القادرة على التغلب على الشمس والظهور والتجوال تحتها كالبشر..

رحيق بها شيء مميز منذ صغرها، ولكنها بشرية مثلك تمامًا.. شيء قد يستطيع حمايتنا أو إبادتنا في غمضة عين.. سأحاول اكتشاف الأمر لا تقلق!

فقال مراد وقد خرج من صدمته أخيرًا: الفينيق... إنها.. إنه.. داخلها الفينيق المتمرد!!

فاقترب منه أدهم محاولًا فهم ما يرمي إليه، فقال مراد وهو ينظر إلى رحيق: قبل ولادتها كانت لدي مخطوطة من عملي السابق بين أغراضي، كانت سلوى تحب قصتها، وكانت لدي تلك القلادة الغريبة التي كانت مرسومة داخل القلادة... إنه داخلها.. إنه حقيقة.... لا أصدق كيف تتحول الأساطير إلى حقيقة!!

فقال تميم: أبي... هل؟ هل تعلم حقًا ماذا حدث لرحيق؟!

فقال بحيرة: لا أعلم حقًا.. لا أتذكر كل شيء، إنها مجرد حكاية وقلادة غريبة لا أكثر!

فقال أدهم: قد يكون هذا هو الحل.. حاول التذكر!

وعندها استيقظت رحيق وقالت: أين أنا؟!

فاقترب مراد منها وقال بألم: صغيرتي.. هل أنتِ بخير؟

كانت رحيق لا تتذكر كيف جعلت والدها قلقًا عليها، وكانت مشتتة مع تلك الترانيم الغريبة إلى سمعتها قبل أن تفيق مباشرة.. نظرت قليلًا حولها لترى تميم ينظر إليها وعلى وجهه علامات القلق والتوتر، بينما يقف أدهم مترقبًا.. فأخذت نفسًا عميقًا وزفرته قائلة: ماذا هناك؟

وعندها دخلت سارة وقد تعافت تمامًا من آثار الحروق التي أصابتها، وقالت: لا شيء حقًا، فقط أنتِ مميزة بطريقة ما... مرحبًا بكِ.. أنا..

فقاطعتها رحيق قائلة: أنتِ حقيقية.. أقصد..

فضحكت سارة بضعف قائلة: يبدو ذلك.. هل تسمحين لي؟!

ثم وضعت يدها على رأس رحيق وقالت: أدهم.. عليكَ مساعدتي لإبقائها هنا ولا تجعلها تغيب عن الوعي مجددًا.

كان نيكلاوس ينظر إلى سارة مبهورًا! لم يرَها من قبل وهي تنقذ أو تعالج أحدًا، تقوم فقط بالقتل السريع.. كانت صامته رغم شدة إصابتها، لم تعقب بكلمة واحدة منذ أن قص عليها أن هناك صديق يحتاج للمساعدة، وتعاملت بتلقائية كأنها المسؤولة الوحيدة عن إنقاذ الجميع..

حررت سارة قواها بصور سريعة في هجوم مباغت لعقل رحيق، لتجد أنها أمام عقلين وليس عقلًا واحدًا.. كان أدهم مذهولًا من تغير لون عين رحيق للخليط الغريب الذي يطغى عليه الأرجواني، بدلًا من اللون الفضي الصافي.. أمسك يدها وجلس أمامها، وعندها وجدت سارة نفسها تقف أمام طائر جميل للغاية بألوانه الزاهية، مقيد بسلاسل عملاقة نظرًا لحجمه،

وجدت صوت كالغناء يقول: من تكونين؟

فقالت سارة وهي تقترب: أنا صديق يمكنك الوثوق به.. أخبرني.. من تكون أنت؟

فضحك بخيلاء وقال: كلاوس... كناية عن الفوضى.. أنا طائر الفينيق الذي لم يعترف برع كإله له وتمرد عليه..

ثم ضحك بتهكم وقال: أنا مسجون هنا منذ قرون عديدة، لكنني شعرت بالحرية أمس لسبب ما..

فقالت سارة محاولة الوصول إلى معلومات أكثر: ولكنك الآن داخل فتاة في مقتبل عمرها... كيف دخلت إليها؟!

فقال متعجبًا: كيف أكون داخل جسد أحدهم؟! هل تهزئين بي؟

فاقتربت منه وقالت: هل تستطيع الدخول إلى عقلي وجعلي أرى كيف أصبحت هنا في بادئ الأمر؟

نظر إليها قليلًا.. كان يراها ضوءًا، رغم أنها تقف أمامه فقد ظنها إحدى الآلهة تحاول مساعدته، ولم يكن يعلم أن زمن خرافات الآلهة قد انتهى وما هي سوى مخلوق لا يعد ببساطة بشريًا...

حرك أحد جناحيه تجاهها؛ لتجد نفسها تقف داخل معبد قديم يبدو فرعونيًا، يحتوي على بهو واسع.. كانت مسحورة بكل شيء إلى أن هبط فينيق عملاق داخل البهو، ونظر إلى تماثيل رع بسخرية، ثم احترق سريعًا ليتحول إلى رماد.. وفي دقائق نشبت نيران داخل الرماد لتتحول إلى طائر فينيق آخر أكثر خيلاءً وجمالًا، وقبل أن يحلق بعيدًا وقف أحد الكهنة أمامه وقال بشكل آمر: كيف لا تؤدي احترامك إلى الإله رع؟!

فقال بصوته العذب كالغناء: لم أفعل، وعدت مرة أخرى، لا يوجد شيء يدعي رع، إنه تمثال من حجر لا يمثل لي شيئًا.

كان صوته رنانًا مما جعل الكثير من الكهنة يقتربون بغضب منه.. وما هي دقائق حتى بدأت ترانيمهم تتعالي لتفهم أنها تعويذة ما؛ قال الفينيق بغضب: كيف تجرؤون؟ كيف تعلونني؟!

كان يحاول التحليق بعيدًا، ولكن سريعًا ما وجد نفسه مقيدًا واختفت تلك الجوهرة العملاقة التي تزين عنقه؛ ليتحول كل ما حوله إلى لونها الأحمر من العقيق، ثم قال بصوت حزين: لقد تم سجني داخل حجر قوتي، وتحولت إلى قلادة مقدسة تلتهم روح من يحاول أن يعبث بها... لكن أن أكون داخل جسد بشرية فأنا لا أجد إجابة لذلك!

فاقتربت منه وقالت بحنان أحبَه: لا وجود للآلهة القديمة، ولكن السحر موجود.. لا بد أن تلك القلادة وصلت بطريقة أو بأخرى إلى عائلة رحيق.. سأقوم بتحريرك، أعدك بذلك.

فقال متسائلًا: رحيق؟! أشعر أنني أعرف من تكون بطريقة ما!

فقالت سارة مودعة إياه: إنها من تسكن داخل جسدها.. سأعود إليك مرة أخرى... وداعًا.

وعندما عادت سارة وجدت أدهم ينظر إليها بريبة وقال: كيف لم أشعر بكِ داخل عقلها؟!

فقالت بجد: لأنني لم أكن داخل عقلها هي.. والآن سيد مراد.. هل لي بمحادثتك قليلًا؟

فقال أدهم معنفًا إياها: لا تتجاهليني... أخبرني بما حدث؟

فوضعت يدها على يده وحررت ذاكرتها، ثم قالت: علينا البحث عن هذه القلادة أولًا.. سيد مراد، هل تسمح لي؟

فقال نيكلاوس مهدئًا: لا تقلق.. ستجد حلًا.

فقال أدهم شاردًا: إنها فريدة من نوعها، لقد أعطتني الإجابة رغم أنها أظهرت تجاهلها، لم ترغب باستجواب مراد وحده... تلك القلادة في عنق رحيق دومًا منذ صغرها..

وقبل أن تتجه سارة إلى الخارج التفتت إلى نيكلاوس وسألته: هل تدري أن ما بداخلها يملك نصف اسمك.. كلاوس؟!

فضحك نيكلاوس وقال: إنه اسم قديم للغاية، في زمني كان منتشرًا للغاية بسبب قصة قديمة عن مخلوق مقدس للمدينة، كان يدعى بهذا الاسم.

فوقفت سارة مكانها وقالت: إنه نفسه على ما أعتقد!

فقال أدهم: لنتحدث جميعا إذن..

فقال تميم: أجل، لنحاول فهم ما يجري معًا.

كانت سارة تشعر بالتوتر المنبعث من الجميع، ولكن تميم كان هادئًا نوعًا ما من داخله رغم قلقه، كان يحاول استيعاب كل ما يجري.. نظرت إلى رحيق وهي شبه واعية، تحاول التقاط الحقائق من بين الكلام المتناثر.. وأدهم مشتت بينها وبين كل شيء، يحاول جعلها واعية بأي طريقة، فاقتربت سارة من رحيق وجلست في مقابلها، ثم قالت: هل لي أن أرى قلادتك؟

فوضعت رحيق يدها على عنقها وسحبتها من أسفل ملابسها.. كانت طويلة نوعًا ما، وتحمل هيئة قرص الشمس داخلها حجر من العقيق الأحمر، فأمسكتها سارة لتشعر بالحرارة في يدها؛ فتركتها سريعًا لتجد أثر القلادة

على يدها يشفي سريعًا.. فحررت جزءًا من طاقتها في يدها لتكون كالعازل وأمسكتها مرة أخرى، ونظرت في ظهر القلادة بحثًا عن أثر للطلسم الذي يحفظ التعويذة التي وضعها الكهنة، فلم تجد شيئًا..

ظلت صامتة قليلًا بينما يراقبها أدهم، كان تحت تأثير الإعجاب الذي تضعه في نفس كل من تكون أمامه غير مدرك له، يحاول فهم ما تحاول الوصول إليه، ثم قالت: سيد مراد.. كيف وصلت هذه القلادة إليك؟

فقال محاولًا تذكر كل شيء: كنت أعمل في مصر باحثًا في الآثار المصرية القديمة، قبل ولادة رحيق تمت مكافأتي بعد اكتشاف موقع جديد لمعبد قديم بتلك القلادة، مع مخطوطة قديمة كانت محفوظة في المعبد، لأضَعها في مجموعتي من الآثار والتحف التي احتفظ بها.. على ما أعتقد أن المخطوطة ما تزال في منزلي المتواجد في مصر مع التحف المتبقية هناك... كانت إحدى جواهر الكهنة أو ما شابه.

فقال تميم: أبي.. لِمَ قلت إن الفينيق داخلها؟ كيف علمت ذلك؟!

فقال مفسرًا: بني.. تلك المخطوطة التي أتحدث عنها بها قصة قديمة عن طائر فينيق متمرد على الآلهة، وعند انبعاثه الأخير تم معاقبته من الكهنة، ليَظل حبيسًا داخل القلادة ولا يحرر مرة أخرى، ويستخدمون طاقته في خدمة الآلهة ليجبروه على الطاعة والإيمان بهم.. كانوا أحيانًا يستخدمون القلادة في التحذير والوعظ، لكن لم تتحد القلادة مع أي شخص قبلًا، ولم يستطع أحد استخدام طاقتها، فقال البعض أنها تتحد مع البشر المميزين عن غيرهم، ولم يُذكر أي شيء آخر على ما أذكر...

كانت سلوى زوجتي تحب تلك القلادة كثيرًا؛ فقمت بإهدائها إليها، كانت تضحك وتقول إنها لا تمرض بسبب القلادة كأنها تميمة من نوع ما.. وعند ولادة رحيق لتتويجها كأميرة في مزحة خاصة بنا وضعنا لها القلادة، ولم أكن

أعلم أنها ترتديها دائمًا إلى الآن!

فقال نيكلاوس: إنها نفس القصة! ولكن بطريقة أخرى.. كانوا قديمًا يعتبرون الفينيق كائنًا مقدسًا أو أحد الآلهة، لذا عندما انتشرت الشائعات أن هناك أحد تلك الطيور تم خدعته والإيقاع به لاستغلال طَاقته في الشفاء السحري، قام كهنة أبولو بصنع قلادة أخرى لتحرير ذلك الطائر، عن طريق شخص مميز يستطيع استشعار صوت الفينيق.. على ما أعتقد أنها قلادة مصنوعة من الفضة، وبها حجر القمر الأزرق، ومختوم عليها طلسم مضاد... كانت تلك القصة متداولة بشكل كبير قديمًا، وبعدها انتشر التيمن باسم كلاوس.

فقال تميم منبهرًا: هل تريد إخباري بأنك استطعت البقاء كل هذا الوقت على قيد الحياة؟!

فضحك نيكلاوس وقال: أنا مصاص دماء.. أظن أن هذا هو السبب.

فقال تميم: كيف لا تكون حاكمًا أو ما شابه.. مثل الكونت دراكولا.. لحظة.. هل هو على قيد الحياة أيضًا؟!

فضحك أدهم وقال: لا، إنه أفضل الخرافات من اختراع البشر.

نسي الجميع كل شيء وضحكوا من كلام تميم المخلوط بالبراءة والسذاجة معًا..

قالت رحيق بشيء من الاستيعاب: هذا يعني أن علينا البحث عن تلك القلادة المضادة التي تحدثت عنها!

فقال أدهم: لا تقلقي، سنجدها بالتأكيد.. استريحي اليوم ونواصل كل شيء غدًا.

فقالت سارة: نيكلاوس.. دعنا نتركهم قليلًا.

ثم ابتسمت له وغادرت، ليبتسم ردًا عليها ويتبعها كالمسحور؛ فضحك أدهم بضعف وقال هامسًا: لقد غرق أخيرًا.

فقال تميم: أبي.. تمدد على الفراش قليلًا؛ أنت لم تنم جيدًا منذ البارحة!

فنظر مراد للغرفة قليلًا، وجد بها أريكة وفِراشين؛ فقال: سأظل أنا على الأريكة، اذهب أنت.

وعندها دخلت سيليست قائلة: مرحبًا بكما.. أنا شقيقة نيك الكبرى.. أدهم كيف حالك؟

فقال أدهم ناظرًا بتعجب: بخير.. وأنتِ؟

كانت سيليست دائمًا دموية بطريقة جعلت أدهم يبتعد عنها ولا يتحدث معها عندما كان بصحبة نيكلاوس قبلًا، وكانت رائحة الموت تنبعث منها دائمًا، ولكنها الآن بطبيعتها الفارهة في الملابس دون بقع الدماء أو تلك الرائحة الكريهة..

فقالت مبتسمة: بخير... أنا في الغرفة المجاورة إذا احتجتما إلى أي شيء.. وهناك غرفة أخرى لك أنت وذلك الصغير..

فقال تميم: هل يمكننا البقاء جميعًا معًا؟

فابتسمت قائلة: بالطبع أيها الصغير.. افعل ما يحلو لك.. اعتبر نفسك في منزلك.

ثم سارت مغادرة إلى غرفة سارة؛ لتجدها قد بدلت ملابسها وتستعد للذهاب إلى الخارج، فقالت: هل ستذهبين إلى مكان ما؟!

فقالت ضاحكة وهي تلتقط مفاتيح سيارتها: سأذهب لإحضار بعض الطعام لهم، إنهم بشر يحتاجون إليه ليسوا مثلنا!

فقالت مستاءة: لا أحب التسوق للطعام.. متى سنذهب للتسوق والترفيه معًا؟

فقال نيكلاوس وهو يسحب المفاتيح من يد سارة سريعًا: عندما نقوم بإتمام مهمة الإنقاذ هذه.

فقالت سيليست متعجبة: هل أنت أخي نيك حقًا؟! نيك يقوم بالإنقاذ.. لا أصدق ذلك!

فضحك قائلًا بينما ينظر إلى سارة: أظن أنني سأفعل ذلك من اليوم.

وعندما صعدوا إلى سيارته قالت: لِمَ لم تدعني أذهب بمفردي؟ عليكَ البقاء مع صديقك قليلًا!

فأدار المحرك قائلًا: لا أريد تركك بمفردك أبدًا.. ألم أعدكِ بذلك؟

فابتسمت ولم تعقب وهي ترى ذلك الضوء الذي يزداد بداخله...

***

وفي تلك الأثناء كان عمر قد وصل إلى مطار سان فرانسيسكو، بعد أن ترك أسرته العائدة إلى مصر، وقاد سيارته نحو الخليج وصولًا إلى جزيرة ألكتراز، أو ما تعرف بجزيرة الصخرة، للوصول إلى مقر المنظمة التي يعمل بها..

كان يفكر مشتتًا بين تجاربه، وقربه من القبض على تلك التجربة الهاربة، وبين رحيق التي فتحت له الأبواب واختفت مرة أخرى، كيف تختفي عائلة بأكملها، ويحترق المنزل؛ ليتحول إلى رماد دون فرصة لإنقاذه! كان يحاول

التمسك بأنها على قيد الحياة، بينما يعلم أن أخاه بدأ في توديعها بالفعل..

عاد بفكره إلى موضوع التجربة الهاربة.. لقد قال المسؤول عن المجندين أنه توصل إليه مرة أخرى بعد محاولة لندن الفاشلة في نيويورك.. كيف يتزامن وجود ذلك الشخص مع وقت اختفاء بعض المجندين، واحتراق منزل عائلة مراد عن بكرة أبيه وتحوله لرماد؟ ليكون التفسير أن العائلة تحولت لرماد...

تنهد قليلًا بينما يترجل من سيارته داخل المرأب، ليدخل إلى تلك الجزيرة المغلقة التي تحولت إلى مكانًا سياحيًا منذ سنوات عديدة، واختارت المنظمة أن يكون مقرها أسفل السجن الأسطوري القديم..

كان يعلم أن كل شيء يقام بالداخل مخالفًا للأخلاق الدولية والعامة والطبية، تلك التجارب التي لا يستطيع العلم مواكبة التطورات التي تشهدها تلك المنظمة..

ذلك الشاب الهارب منها منذ وقت طويل حتى الآن، هو الوحيد الذي نجى، واستطاع الحياة بعد عمليات التهجين الوراثي العديدة التي أجريت عليه، كان مصدر جدل.. جسده الذي ظل محفوظًا عاد للحياة بعد سنوات من السبات، مقاومًا التخدير الذي كان تحت تأثيره..

تزامن ذلك مع قضية مصاصي الدماء التي تفجرت منذ سنوات عديدة ولم يعد أحد يتذكرها الآن، عندما قبضت المنظمة على بعض منهم..

كان يحب قصة السجن المسمى باسم الجزيرة الآن على سطح تلك الجزيرة المنعزلة.. كانت الجزيرة ألكتراز جزيرة مهجورة حتى اشتراها الحاكم العسكري لكاليفورنيا من الحكومة المكسيكية عام ١٨٤٧م، وفي عام ١٨٥٤م أقيمت بها منارة تعد أول منارات ساحل الباسيفيك، وفي نفس الفترة تقريبًا بدأ الجيش في استخدام الجزيرة كحصن وكثكنات، ثم كسجن حربي.

وفي عام ١٩٣٤م انتقلت الإدارة من وزارة الدفاع إلى وزارة العدل، وصارت الجزيرة بمبانيها لمدة تتعدى التسعة والعشرين عامًا تقريبًا مركزًا لسِجن فيدرالي، منذ ١٩٦٣م حتى ١٩٧٧م تقريبًا، وتم تحويله لاحقًا لمزار سياحي، وهي تُعد إلى الآن مقرًا للمنظمة التي لا يعلم عنها أحد تحت الأرض في الجزيرة..

ضحك متهكمًا من عقله الأشبه بالحاسوب، ودخل إلى مكتبه محاولًا التركيز على الحقائق الجديدة للوصول سريعًا إلى موضوع التجربة الهارب...

***

في المساء كان الجميع قد ذهب للنوم تقريبًا، لكن سارة كانت ما تزال مستيقظة؛ كانت تجربتها في الدخول إلى عقل ذلك الطائر تؤثر عليها بطريقة أو بأخرى.. صوته به شيء ما يترك في نفس مستمِعه الهدوء، وكذلك الرهبة! ذلك التناقض الذي جعلها تفكر.. شعرت برغبة في الدماء؛ فتركت غرفتها واتجهت إلى الأسفل نحو المشرب الطويل لتجد نيكلاوس جالسًا يحتسي الشراب وحيدًا.. وقبل أن تتجه نحوه وجدت أدهم يقترب منه ويقول: إذا كيف وقعت في شباكها إذا كنت تخطط لقتلها؟

تراجعت بضع خطوات لتسمعه يقول: كنت أرفض وجود صائدة محترفة تقضي على جنسنا! لقد قتلت كل صائد ظهر أمامي، لكن وجدت نفسي وقد بدأت أراقبها بدلًا من قتلها على الفور، الجميع يلتف حولها كأنها الشمس أو محور الكون!

أصبح لدي فضول.. وجدتها وحيدة رغم وجود العديد حولها، ترسم العديد والعديد من الحصون.. سافرت إلى مصر وعادت ومعها شاب ووالدته، ظننت أنها تحبه أو ما شابه، لأرى أنه مجرد صديق.. نسيت هدفي وقمتُ باحتجازها لإظهار ضعفها لها، لعلها تترك كل شيء.. لأجد نفسي أتقرب لها

وأحاول الوصول إلى قلبها!

الأمر معقد بعض الشيء، لا أعلم أي قدر جعلها هكذا، ولكنني أصبحت أريد مشاركتها ذلك القدر..

فضحك أدهم وقال: إذا لقد حدث بالفعل.. أنت واقع في الحب حقًا!

فضحك بضعف وقال: أريد فقط جعلها تشعر بنفس الطريقة تجاهي.. أنت تعلم.. لا أريد الخسارة بعد أن أصبحت الضحية!

-ستكون كذلك مع الوقت، لا تقلق.. إنها عنيدة نوعًا ما، لكنها تشبه البشر، ومشاعرها ليست جامدة مثلنا تتحرك بصعوبة!

فشرب نيكلاوس كوبه دفعةً واحدة وقال: أتمنى..

فربت أدهم على كتفه مشجعًا، وقال: سأذهب للاطمئنان على رحيق..

ليختفي من جانبه، فهمس نيكلاوس: أتمنى..

ثم ضحك بضعف ساخرًا وهو يصب لنفسه مرة أخرى..

فاقتربت سارة منه وجلست إلى جانبه؛ لينظر إليها قليلًا، ثم قال: أنا ثمل للغاية! ها أنا أراكِ أمامي ولم أشعر بكِ قبل ذلك... أخبريني.. هل حقًا تشعرين بنفس الطريقة تجاهي؟ أنا مغفل كبير للغاية، أتعلمين ذلك؟ لقد وقعتُ بالحب قبلًا، لكنني أقسمت على عدم تكرار ذلك، هل تعلمين كم مضى من الوقت دون أن ينبض قلبي من أجل أحد؟! إذا خسرت هذه المرة قد.. قد.. آه.. لا أعرف حقًا! أنا لا أدري ماذا سيحدث، ولكن لا أريد خسارتك..

فابتسمت إليه ومدت يدها نحوه في تردد، ووضعتها على خده قائلة: لن

تفعل!

فسحبها إليه وعانقها لدقائق ولم يشعر برغبة إفلاتها مرة أخرى..

شعرت به بين ذراعيها ضعيفًا ومرهقًا.. كلماته جعلت قلبها ينبض بعنف.. شعرت برغبة الوجود إلى جانبه، والتخلي عن وحدتها، والاندماج معه..

أفلتها على مضض وأخذ ينظر إليها.. فشدت يده وقالت: عليكَ الراحة قليلًا؛ تبدو مرهقًا.. هيا..

فقال بصوت هادئ: لا أريد الابتعاد عنكِ.

فابتسمت له وشدت ذراعه؛ ليقف وقالت: لن أبتعد.. أعدكَ بذلك..

فسار معها إلى غرفته؛ لتدرك أنها تدخلها للمرة الأولى.. كانت باهتة نوعًا ما ومليئة بالكتب والمجسمات الغريبة قليلًا.. سارت معه نحو الفراش وساعدته على التمدد عليه، وقبل أن تلتفت مغادرةً أمسك يدها وقال: ابق معي لبعض الوقت..

فسحبت كرسيًا وجلست عليه قائلة: ماذا هناك؟

فابتسم لها وقال: قد يكون هذا ليس مهمًا ولكنني.. أنا.. أنا أشعر أنني كنت أبحث عنكِ منذ فترة وأنا لا أدري.. لا أعلم كيف أصيغ هذا لكِ، ولكنني حقًا لا أريد خسارتك مهما حدث فيما بعد..

نظرت إليه مطولًا.. لم يكن في حالته الطبيعية؛ كان ثملًا يخرج كل ما في قلبه أمامها.. عيناه اخترقت جسدها وأخذ ينظر إلى روحها منتظرًا إجابتها، ارتبكت ولم تجد سوى النظر إليه إلى أن غلبه النعاس وهو يقاوم منتظرًا سماع ردها.. أخذت تراقبه إلى أن جافاه النوم....

وفي الصباح الباكر استيقظ نيكلاوس يشعر بالصداع من إثر ثمالته.. مطّ جسده بشيء من الكسل ناظرًا حوله لا يتذكر كيف صعد للغرفة، ليجد سارة تجلس نائمة على الكرسي إلى جانب الفراش.. أخذ ينظر إليها مندهشًا لدقائق...! لتبدأ ذاكرته بالانتعاش شيئًا فشيئًا..

وعندما تذكر ما حدث شعر بالدماء تتدفق إلى وجهه من الخجل، لينظر إليها مرة أخرى؛ ليجدها تحاول كتم ضحكتها بينما تنظر إليه ناعسة، فنظر إليها ثانية ثم ضحك لتشاركه ذلك، وتوارد لديهما شعور متماثل.. ليت لتلك اللحظة أن تظل للأبد....

ثم نهض متثائبًا وقال: لدينا يوم طويل للغاية.. أتمنى انتهاء كل شيء من الآن..

فابتسمت إليه وهي تشعر بالدوار وتريد المزيد من النوم، فوقف أمامها وسحب يدها قائلًا: سأذهب لإحضار المزيد لطعام الفطور.. هل ترغبين بكوب من القهوة في الطريق؟

فقالت بكسل: أجل.. سئمت تلك القهوة التي تحضرها.

ثم غادرت ضاحكة لتجد رحيق تقف أمام باب الغرفة الخاصة بها مترددة؛ فلمست كتفها وقالت: لا داعي للتردد.. ماذا هناك؟

فاستدارت لها وقالت: هل أنا خطر على الجميع؟ لقد ألحقت بكِ الأذى بالأمس.. أنا آسفة.. أعني.. أنا بالطبع لم أكن أقصد ذلك!

فأسكتتها قائلة: اهدئي... دعيني أقصّ عليكِ شيئًا..

ثم أدخلتها الغرفة وقالت: استرخِ قليلًا.. لا شيء يدعو للقلق، أنا نوعًا ما خالدة وأتعافى سريعًا، لذا لن أصاب بالأذى سريعًا... أيضًا أنا محظوظة لمقابلتكِ..

فنظرت رحيق لوجه سارة الهادئ.. تلك الملامح رأتها في حلمها تبكي بحرقه كبيرة وهي تمسك جسد شاب ميت، غير نيكلاوس صديق أدهم، وكان هناك شاب آخر يحاول مواساتها... كانت شخصًا آخرًا أكثر هشاشة.. فقالت: وكيف ذلك؟!

فابتسمت إليها وقالت: أتعلمين طائر الفينيق الذي بداخلكِ أخذ مني شيئًا ما بينما كنت أتحدث معه.. كأن هناك ما سُرق مني دون أن أشعر.. ما زلت لا أدري ما هو، ولكن بدأت أشعر بآدميتي قليلًا.. قد يكون كلامي هذا غير منطقي، ولكن هذا ما أشعر به!

فقالت رحيق مفكرة: ذلك الطائر يبدو مجهولًا بالنسبة لي، أكاد لا أعلم عنه شيئًا!

-هناك بعض القصص حوله.. قد لا أكون أعلم عنه الكثير، ولكن يمكنني أن أريكِ إياه.

ثم اقتربت منها وحررت ذاكرتها؛ لتجد رحيق نفسها تقف أمام طائر كبير مقيد بسلاسل عملاقة حول عنقه وجسده، لون ريشه زاهٍ وخلابًا بين الأحمر والأرجواني بتناسق فريد من نوعه، مع عينين ذهبيتين بهما شيء من السحر.. ظلت مسحورة للحظات قبل أن تجد كل شيء يعود إلى طبيعته مع تزامن طرق تميم لباب الغرفة المفتوح؛ فالتفتت إليه قائلة: صباح الخير.

فابتسم لها وقال: صباح الخير.. أرى أنكِ بخير الآن.

وقبل أن تجيب كانت سارة قد ابتعدت لفترة عن البشر، ولم تكن قد حصلت على جرعتها من الدماء أمس، لاحظ تميم التدفق الأحمر كالنبض في قَرنيتها، فقال في صدمة: عيناكِ.. إنها..

فأغمضت عينيها سريعًا وتحركت بسرعة خاطفة إلى خارج الغرفة..

فقال بأنفاس مبهورة: إذا متى سترتدي بذلة الفلاش!

فضحكت رحيق بينما كان أدهم يراقب الموقف.. وعندها وجد سارة تقف أمام البار تشرب بعضًا من الدماء سريعًا وعلامات الندم والضيق تظهر على وجهها.. فهم أنها تمر بعتاب للنفس بسبب ما حدث؛ كان عليها التصرف بطبيعية أكثر...

فقالت رحيق: ما زلت أفكر في ذلك الطائر.. كيف سنستطيع إخراجه؟!

فقال تميم بجد: لقد بحثت قليلًا في الأمر حول المكان الذي قد تتواجد فيه القلادة... أتعلمين.. في اليونان القديمة وروما ارتبط الطائر بمدينة فينيسيا، وهي حضارة مشهورة بإنتاجها الصبغ الأرجواني من قذائف المحار..

وبناء على ذلك فإن الأصل للكلمة قدمها رئيس الأساقفة إيزيدور إشبيلية في القرن السادس عشر والسابع عشر، تستمد من اسم الطائر.. من هويته الأرجوانية والحمراء؛ لأن صبغ الأرجوان مكلف من فينسيا كان مرتبطًا بالطبقات العليا في العصور القديمة، وفي وقت آخر مع الملوك في فترة القرون الوسطى.. وكان طائر الفينيق يعتبر الطائر الملكي...

لذا أعتقد أن المكان قد يكون هنا.. أليس ذلك رائعًا؟ سنذهب في رحلة إلى إيطاليا!

ضحك أدهم بينما يدخل للغرفة وقال: لا تقلق، ستحصل على جولة سياحية هناك.

وفي ذلك الوقت كان نيكلاوس يراقب سارة وهي تسرف في شرب الدماء للمرة الأولى منذ أن بدأ في مراقبتها؛ فنظرت إليه قليلًا وقالت: هل ستستمر في مراقبتي؟ تعال وانضم إليّ!

فابتسم لها واقترب آخذًا الكوب منها، ولم يبحث هذه المرة وشرب الدماء سريعًا مستقبلًا طعم التوت البري مع الدماء النحاسية، ثم قال: لنكمل في الطريق.. أنا قلق نوعًا ما عليكِ!

فنظرت إليه قليلًا ثم نهضت إلى الخارج قائلة: دعنا لا نتأخر.. لدي خطة ما أفكر بها.

***

كان عمر غارقًا بين التقارير الأخيرة عن موضوع التجربة الهارب، ليتفاجأ باسم الشركة التجارية التي ضبط بها، فأخذ يراجع كاميرات المراقبة؛ ليتأكد أن أدهم الذي قابلة في منزل رحيق هو نفسه موضوع التجربة!

أخذ يبحث في السجلات عن رحيق؛ ليجد مشهدًا حيث كان أدهم جريحًا وأخرج جناحيه أمام رحيق كأنه يعلن حقيقته أمامها.. نظر إلى تاريخ اليوم ليجده نفسه! ... رحيق تعلم حقيقته أدهم وجعلته يرافقها إلى المنزل! تأكد يقينًا أن مصادفة احتراق المنزل واختفاء العائلة له علاقة بالمهمة الأخيرة للجنود..

غرق حينها في مشاعر الندم والحيرة والغضب.. إذا كان هو مسؤول عن المهمات الأخيرة فهو بلا شك الآن المسؤول عن موت عائلة بأكملها وليست أي عائلة.. إنها عائلة الفتاة التي تسكن قلبه منذ الصغر والوحيدة التي يتمناها.. تعاظمت مشاعر الغضب داخل صدره.. أدهم.. لا بد أنه نجى من كل هذا؛ فتوعد بالإمساك به مهما كلفه الأمر! ولكن وجد نفسه أمام حائط مسدود، كيف استطاع الاختفاء فجأة؟ لم يدمر أي مكان من قبل.. لِمَ أحرق منزل عائلة مراد؟!

***

في منتصف اليوم كان نيكلاوس جالسًا مع أدهم يحاولان التوصل إلى المكان الذي يمكن أن تتواجد به القلادة...

وأثناء ذلك كان مراد شاردًا ينظر إلى طفليه في ألم، كان غارقًا في ذكرياته التي حفرت في قلبه مع مليكته.. لم يظن يومًا أنه قد يخسرها أولًا، كان دائمًا يرى أنه سيرحل قبلها..

وحينها جلست سارة إلى جانبه وقالت: إنه أمر ليس في يدك.. لا تلُم نفسك مرارًا؛ فلن تعُد للحياة إذا فعلت ذلك!

كانت كلمتها قاسية، ولكن حيرتها كانت بادية.. فقال مراد: ما الأمر بنيتي؟!

فنظرت إليه قليلًا، ثم قالت: منذ ما يقارب نصف قرن لم أسمع تلك الكلمة... لا أعلم لِماذا أشعر أنني أفتقد شيئًا لا أتذكره؟ لا تشغل بالك بي.. الجميع يعمل على إيجاد حل لتحرير ذلك الطائر من داخل جسد رحيق.. وبعدها أستطيع منحكم حياة جديدة هنا بهويات جديدة.. أنا معتادة على ذلك نوعًا ما.

ثم ابتسمت بسخرية من كلمتها الأخيرة، ونهضت نحو رحيق وقالت: أتسمحين لي.. أرغب بمحادثة كلاوس مرة أخرى..

فنظرت إليها قليلًا ثم التفتت إلى أدهم الذي شعر بالقلق والتوتر، وقالت شبه هامسة: لا أعتقد أنني أستطيع الرفض!

فابتسمت لها سارة وسرعان ما استطاعت الدخول إلى وعي كلاوس؛ ليستقبلها بصوته الموسيقي: لقد عُدتِ مرة أخرى!

فنظرت إليه قليلًا، وقالت: كلاوس... ما الذي سرقته مني؟

فضحك وقال: لا داعي لشكري.. لقد أزلت الآلام بداخلك.

فاقتربت منه وقالت: لِمَ فعلت ذلك؟ أشعر بأن هناك جزءًا مني غير متواجد، كأنني أتحطم إلى ذرات الغبار.. أنتَ لم تساعدني، لقد جعلتني تائهة!

فصاح بها معاتبًا: أنتِ لا تفقهين شيئًا، أنتِ تقومين بقتل كل شيء بداخلك، أراهن أن المدعو نيكلاوس بدأ في التأثير بقلبك أكثر خلال تلك الساعات!

وعندها تحول الطائر العملاق إلى بشري في هيئة عمرو، وتحدث بنبرة صوته تمامًا قائلًا: مضى الكثير منذ أن اتخذتِ صديقًا منذ أن شعرتي بالأمان للحظات.. لن يعُد مرة أخرى ألا تفهمين! ذلك البشري لم يعد موجودًا لكي تجعلي نفسك معذبة للأبد!!

اقترب منها وهي تحت تأثير الصدمة والذهول؛ لم تكن تستطيع تصديق أنها استطاعت رؤية عمرو مرة أخرى يتحدث أمامها! ووضع يده على خدها ليتحول إلى هيئة بشري لم تتعرف عليه بشعر أحمر به خصلات أرجوانية، وعينين ذهبيتين تخترقان روحها، ثم قال بصوته العذب كالغناء: لن أستطيع ترك منقذتي تتألم بسبب الماضي.. ستجدين ما تبحثين عنه في تلك الغرفة التي ينام فيها نيكلاوس.. أشعر بهَالتها عليكِ.

لتجد سارة نفسها عادت إلى وعيها، وضعت يدها على خدها مكان يد كلاوس وهربت دموعها؛ فاقترب منها نيكلاوس وقال بقلق: ماذا هناك؟ ماذا حدث لكِ؟!

فنظرت إليه وأخذت نفسًا ومسحت دموعها سريعًا قائلة: أظن أن القلادة التي نبحث عنها هنا معك!

فنظر إليها غير فاهم؛ فقالت: كلاوس.. أحس بطاقتها حولي، أعتقد أنها في غرفتك.

فسحب يدها واصطحابها إلى غرفته وقال: لكِ حرية البحث، ولكن أخبريني ماذا حدث لكِ؟

فقالت هامسة: لقد سرقها مني.. جميع ذكرياتي.. أخذ كل شيء.. هذه المرة لم أعد أتذكر من كنت أحب قبلًا.. مجرد اسم وحقيقة موته.. مشاعري وكل شيء أخذه مني.. أشعر أنني فارغة من الداخل!!

كادت تبكي لكنه سحبها بين ذراعيه، شعر بها تبتعد ليمسك بها بقوة وقال بحنان لم يكن يعلم أنه بداخله: لا بأس.. أنا هنا... سأقوم بحمايتكِ.. سأقوم بملء كل ذرة فراغ داخلكِ.. لن أتركِ وحدك.. أعدكِ بذلك.. لا بأس..

شعرت بالضوء يسيطر على هالة نيكلاوس وكاد يبتلعها.. شعرت لأول مرة منذ سنوات عديدة بالرغبة في البقاء إلى جانب كل هذا الضوء...

فتمتمت قائلة: كيف لكَ أن تفعل ذلك؟ كيف استطعت اختراق كل شيء هكذا؟

فضحك بضعف وابتعد ليرى وجهها، وجده خجلًا والدماء تتدفق إليه فقال: أخبريني أنتِ ماذا فعلتي بي؟

فابتسمت له وقالت: ما نوع القلادة التي تمتلكها؟

فنظر إليها بشيء من المشاغبة وقال: أنتِ تهربين... أملك العديد من التحف القديمة، لا أعلم حقًا ما هي تحديدًا.. دعينا ننظر أيّهم سيتفاعل معها..

فضحكت وهي تتفحص المخطوطات القديمة وقالت: هل تملك متحفًا هنا؟

فسار نحو باب سري في أحد جدران الغرفة وقال: أنتِ لم تر شيئًا بعد!

فذهبت إليه ودخلت وراءه؛ لتجد العديد من التحف والمجوهرات والأحجار

الكريمة معروضة، كأنها داخل معرض أو معبد قديم، وذلك لتصميم الغرفة الفخم، أخذت تتأمل كل شيء وقالت: أيّهم يحمل حجر القمر الذي يحمل الطلسم؟

فأشار إلى زاوية تحمل العديد من الأحجار الكريمة وقال: أملك ثلاث قلائد يحملن حجر القمر الأزرق هنا في تلك الزاوية.

فاقتربت منهم ولمست واحدة منهم.. كانت على شكل القمر الحقيقي وبها نقش لقرص الشمس، فحملتها بين يدها لتجد نفسها داخل مكان شاسع مكون من الجبال الجليدية، وقرص الشمس ظاهر، والقمر في مقابلتها كأن السماء انقسمت إلى النهار والليل معًا!

سارت بضع خطوات لتجد ترانيم مشابهة لتلك التي سمعتها في ذكريات كلاوس بلغة أخرى ونغمة أخرى؛ لتجد نفسها تشعر بالاختناق وتغيب عن الوعي بعدها... وأثناء ذلك كان نيكلاوس يشعر بالذعر لإخفاء جسد سارة من أمامه، والبريق الذي يصدر عن القلادة الساقطة مكانها! فأمسكها سريعًا وركض إلى الأسفل نحو الجميع، وقال بصوت هيستيري: رحيق.. ارتدي هذه القلادة سريعًا.. سارة.. لقد اختفت ما أن قامت بحملها!!

فأمسكتها رحيق لتشعر بالألم في صدرها، وبدأ قلبها ينبض بشدة، مما جعل أدهم يمسك كتفيها قائلًا: تحملي قليلًا.. أنا بجانبكِ!

لتظهر هالة الفينيق حولها للجميع، لا تحرق شيئًا، ولكنها حالت بينها وبين أدهم..

سقطت أرضًا فاقدة للوعي؛ ليظهر خلفها شاب حنطي البشرة، بعينين ذهبيتين وشعر أحمر اللون يتخلله بضع الخصلات الأرجواني، وقبل أن يستطيع أحد التحرك أو التحدث.. انحنى نحو قلادة القمر وأمسكها قائلًا: مرحبًا نيك.. وداعًا نيك..

ليحرر أجنحة نارية عملاقة ويحلق بعيدًا مخترقًا الحائط كأنه ليس موجودًا!

ركض أدهم نحو رحيق التي بدأت تفيق قائلًا: هل أنتِ بخير؟!

فقالت كالتائهة: لقد شعرت به يخترق جسدي!

وضعت يدها حول عنقها بحثًا عن القلادة.. لتجدها تتحول لرماد حالما لمستها.. حملها أدهم واتجه بها نحو الأريكة بينما نيكلاوس جامدًا مكانه تحت تأثير الصدمة التي تعرض لها، جراء اختفاء سارة فجأة وذهاب كل شيء أدراج الرياح..

قال تميم: هل قام للتو باختراق الحائط؟! هذا مثير للغاية!!

فنظر إليه مراد لهدأ؛ ليجد نيكلاوس يجلس مكانه أرضًا كأنه يسقط ويقول: كيف حدث ذلك؟ لقد كانت أمامي للتو!!

وفي تلك الأثناء كان كلاوس يراقبهم من السماء، وينظر نحو قلادة القمر وإلى حجر العقيق الأحمر الذي عاد ليزين صدره.. لقد كانت المفتاح لكل شيء.. لم تكن مجرد قلادة هي المفتاح.. تلك الفتاة كانت منفذة للجميع، ولم يستطع أحد إنقاذها.. والآن أصبحت سيدة له لأنها قامت بإنقاذه..

حالما يساعدها على الخروج من القلادة إذا لم تستطع الخروج بمفردها سيكون سجينًا لديها، أي أنه لن يتحرر كما اعتقد.. ليسمع صوت قلبها داخله ينبض بعنف، فأغمض عينيه؛ ليجدها تركض نحو الظلال التي يصنعها الحجر لها..

كان يعلم أنها ستعاني داخله؛ فتنهد وارتدي القلادة وأغمض عينيه ليسقط كالملاك الساقط تحت تأثير الطلسم.. وقبل أن يلمس الأرض وجدها بين ذراعيه فاقدة للوعي، وقد حصلت على وشم في عنقها لقرص الشمس مع

القمر، دليلًا على سيادتها عليه، فابتسم وقد وقف أرضًا منتظرًا إياها تستيقظ..

لم يكن يدري لِمَ هو هادئ حول عبوديته لها، وقدرتها على إخضاعه لها، أم أنه لم يعد يهتم لحريته بعد الآن..

وبعد لحظات شاهده أدهم من الشرفة الكبيرة المطلة على الباحة؛ فقال بعصبية: نيك.. انظر.. إنهما هناك.. سارة!

فنهض نيكلاوس سريعًا ملتفتًا إلى حيث يشير، وحين رآها بين ذراعي كلاوس ركض سريعًا للخارج متجهًا إليه، وعندما وصل قال: ماذا حل بها؟ لِمَ لم تستطع النهوض؟!

فقال كلاوس وهو لا يرفع عينيه عنها: لا بد أنها ما تزال تحلم.. سأرجعها إلى حيث تنتمي، لن تكون أسيرتك بعد الآن.. عليها أن تقرر أولًا!

وقبل أن يقول شيئًا أخرج كلاوس جناحه الناري؛ ليتحول إلى ريش طويل أحمر اللون مع الذهبي والأرجواني، وحلق مبتعدًا ولم يترك مجالًا لنيكلاوس لمحاولة إيقافه..

ليجد تميم يقف جانبه يقول: أظن أنه عاد بها إلى منزلها... أليس سريعًا نوعًا ما؟! أظن أن عليه ارتداء بذلة فلاش بدلًا منكم.

فنظر إليه نيكلاوس ولم يعقب، وسار نحو المنزل ليجده يقول: ستعود إليك مرة أخرى.. لدي شعور بذلك!

فتمتم نيكلاوس قائلًا: لن أنتظر إلى أن يحين ذلك!

ولج إلى سيارته سريعًا مشغلًا محركها بعصبية وقادها سائرًا إلى منزل سارة...

بينما كان كلاوس جالسًا على كرسي بالقرب من فراشها منتظرًا إياها مستمعًا إلى صوت أنفاسها المنتظمة.. وبعد دقائق فتحت عينيها وهي تشعر بالرغبة العارمة في القتل والحصول على الدماء، كان العطش يلتهم روحها كأنها تحولت للتو!

جلست مكانها محاولة الهدوء؛ لتسقط عيناها على كلاوس، وعندما أدركت أنها في منزلها قالت: ماذا حدث؟

فنظر إليها متسائلًا حول عدم قفزها نحوه لقتله؛ كان يعلم بتلك الرغبة المنعكسة في قرنيتها، وقال: لقد ساعدتِني على التحرر من طلسم العقيق الأحمر لأعلق بجانبك.. لقد أحضرتكِ إلى هنا..

فنهضت وسارت مبتعدة وقالت: سأحصل على الدماء أولًا.. ونكمل بعدها..

فسار خلفها ليجدها تمسك أحد أكياس الدماء وتشرب منه مباشرة لتبدأ بغيره.. كان مسحورًا لسيطرتها، لو كان مكانها ما توانى عن قتلها في الحال.. وعندما هدأت قليلًا التفتت إليه قائلة: كيف تركك نيك تحضرني إلى هنا؟

فابتسم لها وقال: لقد أحضرتكِ هنا دون التفكير في رده.. أعلم أنكِ تشتاقين لعملك وللمنزل ومللتِ الجلوس الأيام الماضية..

كانت تعلم أنه اخترق وعيها أثناء اختراقها لوعيه، ما كانت تناقشه في كلمة مما قاله، ولكن نيكلاوس لا بد أنه قادم في الطريق إلى هنا..

أسبوع ليختفي كل الهدوء والروتينية في حياتي.. ابتسمت في سخرية، وشردت في كل ما حدث خلال تلك الأيام.. تذكرت جيمس الذي قد يصعق إثر الصدمة إذا علم أنها بكل بساطة فتحت قلبها إلى أحدهم...

للحظة تذكرت كل ذلك الجليد الذي كان يحيط بها.. غرقها داخل الهواء

الثقيل البارد لتنظر إلى كلاوس.. لقد أنقذها من ذلك، ولكنها رأته يسقط يحترق متناثرًا إلى رماد.. هل ولد من جديد يا ترى؟

وعندما وجدها تطيل النظر إليه؛ ابتسم لها لتُشيح بنظرها، فقال: حسنًا.. كفاكِ شرودًا إلى الآن وأخبريني.. ماذا هناك؟

فقالت حائرة: ماذا حدث لي كي تستطيع التحرر؟

فأمسك معصمها وقال: ما رأيك بالجلوس أولًا؟

فسارت معه خارج القبو.. جلست على الأريكة المتواجدة في بهو المنزل ناظرة إليه في انتظار إجابته، فجلس في مقابلها وقال: طلسم القمر الأزرق مصنوع لحمايتي وتحريري من طلسم العقيق الأحمر، لذلك قام باحتجازكِ لضمان تحرري.. ذلك الحجر يعكس ما بداخلك من تجمد في قلبك.. لقد ظللتِ فترة طويلة للغاية لا ينبض قلبك سوي لضخ الدماء داخلك.. كان عليّ السقوط وإبداء شكري لكِ للخروج من هناك، وكهدية من الكهنة الآن تملكين خاتمًا على جسدكِ يجعلك قادرة على إخضاعي لكِ..

ثم ضحك قائلًا: بالطبع ذلك الختم مصمم للبشر، وليس لكائن خالد مثلك!

فقالت محاولة استيعاب كل شيء: وإذا لم أرغب بذلك.. ماذا سيحدث؟

فنظر لها متسائلًا! كيف لها أن ترفض سيادتها على كائن أسطوري خارق القوي مثله، لِمَ ليست مثل الجميع تبحث عن القوة والسيطرة الكاملة، ثم قال: عليّ فعل ما أفعله دائمًا.. تحقيق رغبة دفينة لديكِ.

فقالت تائهة: لا أعتقد أنني أملك شيئًا مماثلًا.

كان يعلم تمامًا أنها على حق، كل ما تفعله خلال تلك المدة هو إنقاذ الجميع، لكن الحب طرق بابها الآن، وهي لا تستلم في النهاية له فقال: وماذا الآن؟

فقالت بثقة: افعل ما يحلو لك، ليس عليكَ البقاء هنا، لقد ظللتَ سجينًا لفترة طويلة.. ارحل عندما تريد ذلك.. لدي ما سأقوم به.

نهضت مفكرة في والدة آدم.. لقد اشتاقت لها خلال تلك الأيام فذهبت نحو منزل آدم، لم تنتظر كثيرًا لتجدها تفتح لها الباب محتضنة إياها.. دائمًا ما تجد بها حنان والدتها؛ فلم تشأ إفلاتها.. بينما كان كلاوس يفكر في البقاء برفقتها أكثر..

***

في تلك الأثناء كان عمر قد توصل لمكان أدهم من خلال كاميرات المراقبة عن طريق الأقمار الصناعية، كان شاكرًا أن المنظمة قادرة على الولوج إلى جميع الموارد الحكومية، وكان متفاجئًا من تجمع كل تلك الكائنات غير البشرية في مكان واحد!

وشعر أنه استطاع انجاز أمر ما، أو أنه ببساطة ضرب عش العصافير في مرة واحدة بحجر واحد، والتقط ملامح سارة عندما حلق بها كلاوس، وتوصل إلى بعض المعلومات عنها، فأمر المجندين بمحاصرة منزلها والقبض عليها، ونفس الأمر مع منزل نيكلاوس..

وفي منتصف اليوم كان المجندون قد حاصروا المنزلين بالفعل.. كان كلاوس يرغب في الإطاحة بهم لولا أن سارة طلبت منه عدم فعل ذلك، وظلت جالسة داخل منزلها.. كانت تعلم جيدًا أن لا أحد قادر على إيذائها، ولكنها كانت قلقة على آدم ووالدته، ولم تكن تريد كشف منزل جيمس وإخوته..

أما في منزل نيكلاوس.. كان هناك الكثير من المجندين للقبض علي آدهم ، بينما رحيق برفقة والدها وشقيقها يحتمون في قبو المنزل..

وبعد ذلك بساعات كان نيكولاس قد وصل إلى منزل سارة.. وعندما تفاجأ

أن منزلها محاصر هرع نحو منزلها سريعًا في جزء من الثانية؛ حتى لا ينتبه له أحد..

وجدها جالسة على الأريكة تحاول جاهدة عدم الالتفات لهؤلاء المجندين، وكلاوس في حالة تجسده يجلس مقابلها متحفزًا.. نظر الاثنان له سريعًا ليسترخي كلاوس في مكانه، بينما نهضت سارة إليه سريعة الخطى، وكادت تحيطه بذراعيها لقلقها عليه، ولكنها أمسكت نفسها؛ فتدفقت الدماء إلى وجنتيها سريعًا وقالت: هل أنت بخير؟ هل استطاع أحدهم رؤيتك، أم استطعت الدخول سريعًا؟ هل أدهم ورحيق بخير؟ هل أصابهما مكروه؟

فضحك لكثرة أسئلتها وقال: لقد قدت السيارة إلى هنا سريعًا قبل وصول أحد، لا أعلم شيئًا عنهما للآن، سأحدث أدهم.. لا تقلقي، كل شيء سيكون على ما يرام..

كان مسرورًا لقلقها عليه، وقلقًا من أن يقوم أحدهم بإيذاء أدهم أو أي فرد منهم، لقد كان عليه حمايتهم وليس ما فعله!

أخرج هاتفه وحاول الاتصال بأدهم، لتجيبه رحيق قائلة بصوت مهتز: مرحبًا.. نيك هل وجدتها؟

فقال بقلق: أجل، في منزلها.. هل كل شيء على ما يرام؟

-لا.. أدهم يقاتل المجندين بالأعلى، نحن في القبو ولا أثر لإخوتك.. ما زال صوت الرصاص موجودًا.. لقد مر الكثير من الوقت!

-اهدئي.. أعطِ الهاتف لوالدك..

وقبل أن تفعل صرخت لينقطع الاتصال.. فأغلق نيكلاوس الهاتف وقال: كان عليّ حمايتها.. علينا الذهاب في الحال!

فقال كلاوس: أظن أن هذه المهمة ستكون عليّ... هل تسمح لي؟

وما أن قال ذلك عاد إلى هيئته الحقيقية بحجم الطاووس، وما أن فرد أجنحته ظهرت حلقة نارية حولهم وفي ثوان كانوا أمام منزل نيكلاوس ....

بينما كان المجندون في طريقهم لمقر المنظمة في جزيرة ألكتراز بعدما ألقوا القبض على أدهم ورحيق..

كان تميم مغشيًا عليه في القبو ومراد جريحًا.. تقدمت سارة سريعًا نحو مراد وحررت طاقتها لمساعدته على الاستشفاء سريعًا، بينما تفقد نيكلاوس نبض تميم ليزفر في راحة قائلًا: كيف سنعثر عليهم؟

فقالت سارة في حزم: أظن أن هذا سيكون سهلًا إذا عدت إلى مقر الأف بي آي في المدينة؛ لدي صديق هناك سيساعدني.. كلارك حفيد كاميليا وألفريد.. أعمل هناك منذ قرن تقريبًا..

فقال كلاوس: هل نسيتي أنه يمكنك ببساطة الاعتماد عليّ؟ أنا في جسد تلك الفتاة منذ ولادتها، سيكون سهلًا محاولة اقتفاء أثرها.

-هذا ليس قتالك كلاوس.. ليس عليك التورط أكثر.. لا أستطيع حماية الجميع!

-هل أشم رائحة الخوف هنا؟

-أنا لا أمزح كلاوس.. سأجعل فريق الأف بي آي الذي تحت إمرتي يجد إحداثيات المكان.. سأذهب وحدي إلى هناك، لا أنتَ ولا نيك يمكنكما المجيء!

فقال نيكلاوس منفعلًا: هل تمزحين؟ لن أسمح لكِ بالذهاب وحدك مهما حدث.. لا مجال للنقاش!

فقال كلاوس: استرخي قليلًا، ليس عليكِ دائمًا إنقاذ الوضع وحدك، نحن إلى جانبك.

وما أن قال ذلك أكد نيكلاوس على رأيه ممسكًا يدها قائلًا: ليس عليكِ حماية الجميع، دعيني أقوم بحمايتكِ!

لم تستطع إيجاد مهرب يمكنها به فعل ما ترغب به؛ فقالت مستسلمة: حسنًا.. كيف سنقوم بالأمر؟

فقال كلاوس: سأقوم بالتحليق في الأرجاء، لا أظن أنهم خارج الولايات.. سأكون قادرًا على ذلك خلال دقائق أسرع من الفريق الخاص بكِ.

فقالت حائرة: أظن أننا نحتاج عددًا أكبر لمواجهة كل هذا العدد إذا كنا سنذهب إلى هناك.. سأحدث جيمس وإخوته، لن يتأخر إذا طلبت منهم المساعدة.

فقال نيكلاوس: سأحدث سيسي لتقوم بالعودة.

فقالت سارة بحزم منهية النقاش: اترك الفتاتين خارج المعادلة؛ ليستا معتادتين على القتال!

فانطلق كلاوس خارجًا وقال: سأعود سريعًا.

أخرجت سارة هاتفها وقامت بمهاتفة جيمس ليجيبها سريعًا في قلق: أين أنتِ؟ لِمَ كل هؤلاء الحمقى خارج منزلك؟!

فأخذت نفسًا وقالت: سأشرح لك كل شيء.. أنا بحاجة للمساعدة! سأبعث لك العنوان، حاول القدوم سريعًا.. أحضر إيان وليديا أيضًا.

-سأنتظر تفسيرًا لكل ذلك.. لن أتأخر.

وبعد أن قامت سارة ببعث الرسالة لجيمس، لم تمر دقيقة ليظهر أمام المنزل ممسكًا يد شقيقه إيان وشقيقته ليديا، التي سارعت باحتضان سارة سريعًا قائلة: لقد اشتقت إليكِ.. ماذا حدث؟

فابتسمت لها وقالت: أنا بخير.. هناك فقط من يحتاج للمساعدة، وعلينا إنقاذه.. أقدم لكم.. نيكلاوس بينجيمين..

ثم أشارت إليهم قائلة: نيك.. هؤلاء عائلة مايكلسون.. ليديا، إيان، وجيمس.

فابتسم لهم قائلًا: تشرفت بمعرفتكم جميعًا.. جيمس.. تقابلنا من جديد.. كيف حالك؟

كان جيمس مشتتًا بسبب الخاتمين المماثلين في يد كل من سارة ونيكولاس، وكان يعلم جيدًا أن نيكلاوس لا يعد من الأخيار المماثلين لها، كان يجد ذلك معقدًا رغم بساطته.. فأجاب شاردًا: بخير.. على ما أظن..

كان نيكلاوس يعلم جيدًا حقيقة مشاعر جيمس نحو سارة، فهو لم يتخطى ذلك إلى الآن منذ أن قابلها أول مرة.. فقال محاولًا تناسي هذا التشتت: هناك منظمة سرية كانت تابعة لوزارة الدفاع منذ عام ١٨٤٧م تقريبًا، ولا أعلم إذا كان ذلك إلى الآن، كانت تقوم على إجراء التجارب التهجينية والجينية لأغراض عسكرية، لتتحول إلى أغراض طبية في النهاية..

تم القبض علّي أثناء انتشار خبر وجود مصاصي الدماء في أنحاء العالم، القضية التي كانت سارة طرفًا بها وهربت بعدها بمساعدة صديق كان محتجزًا هناك لفترة طويلة للغاية، وهو كان التجربة الناجحة الوحيدة للعديد من التجارب.. كل ما أعلمه أننا كنا في مكان ناءٍ، وتم جرفنا مع التيار بعيدًا، وعندما أفاق كل منا كنا في عرض البحر، وبسبب التهجين الذي حدث بجسده استطاع امتلاك أجنحة حلق بي عندها عائدًا بي إلى المنزل..

منذ ذلك الحين وهو يعد هاربًا منهم وملاحقًا دائمًا باستمرار.. أقام حياة سرية لنفسه وتكيف على هذه الحقيقة، إلى أن استطاعوا الوصول إليه!

حاليًا ما زلنا لا نعرف المكان تحديدًا، ولكن في القريب العاجل ستتوفر هذه المعلومة.. المنظمة تملك العديد من المجندين، وكنا نرغب بمساعدتكم لاقتحام المكان.. علينا إنقاذه وإنقاذ الفتاة التي يحبها، لقد تم القبض عليها أيضًا..

فنظر ثلاثتهم إلى بعض ثم إليه، فقال إيان: لا تقلق، نحن نقف إلى جانب أصدقائنا.. بما أن سارة تثق بك فنحن كذلك.

***

وفي تلك الأثناء كان عمر في استقبال السيارة التي تحمل أدهم، وكان قد أعد غرفة لبقاء رحيق بها.. كان لا يصدق أنها تحمل صفات غير بشرية داخل جسدها.. كان لا يصدق أنها على قيد الحياة.. كان لا يصدق أنها قادرة على استحضار الجحيم إلى الأرض...!

وعند وصول السيارة دخل سريعًا إلى المختبر؛ ليعد المخدر الذي أوصي به الطبيب الذي كان يشرف على التجربة في مذكراته، وأضاف عليه نوعًا آخرًا ليجعله أكثر فاعلية..

ما كان يريد له الهرب مجددًا كما فعل في لندن.. كان يظن أنه عندما يتجرد من جناحيه سيكون أقل مقاومة وقوة، ولكنه تفاجأ من صموده حينها! لذا قرر أنه هذه المرة سيكون خارج وعيه بالكامل، ويستخلص مباشرة جميع الخلايا التي يريدها..

كان رأسه مليئًا بالأسئلة التي يعلم أنه على حافة معرفة إجابتها جميعًا، ولكن ظهرت العديد من الأسئلة حول رحيق التي لن يعرف إجاباتها سريعًا..

قطع شروده صوت مقامة أدهم الواهية لتأثره بالمخدر، وكلمَته غير المفهومة، فقال عمر بصوت يتسم بالنصر: لا تقلق سنحسن معاملتك هنا.. لا مجال للهرب مجددًا! ثم حقن رقبته بجرعة المخدر التي أعدها ليضمن تخدره تمامًا...

كانت رحيق تتحرك ذهابًا وإيابًا في الغرفة بتوتر وشبه مسيطرة على طاقتها.. كانت قد ألحقت العديد من الأضرار لكل من حاول لمسها، أو الاقتراب منها.. كان عليهم نقلها في حاوية تستطيع تحمل النيران المنبعثة منها بتهور.. كانت في حالة من القلق على الجميع، ولا تدري ماذا حدث، أو كيف ستخرج من سجنها المضاد لها!

تملكها الغضب لتثور طاقتها وتحرق جميع المتعلقات بالغرفة، ليبدأ جرس الإنذار بالعمل، وتبدأ المياه بالانهمار من السقف،

ولكنها سرعان ما كانت تتبخر غير مؤثرة! بدأ بخار الماء بالتكثف بكثرة داخل الغرفة، مما أدى إلى فقدانها للوعي!

كان كل شيء سريعًا، فدخل عمر إلى الغرفة وأخرجها سريعًا متحسسًا نبضها.. فتحت عينيها بإرهاق محاولة تدارك ما حدث.. لتفاجأ بعمر أمامها؛ فنهضت عن الأرض سريعًا وقالت: ماذا يجري؟ أين أنا؟؟ لِمَ أنت هنا؟!

فقال عمر بهدوء استفزها: أنا طبيب مسؤول هنا.. لم أكن أعلم أنكِ ستكونين يومًا أحد سجنائي.. أنا آسف للغاية.. لقد ألحقتِ الكثير من الأضرار مما جعل الأمر معقدًا.. لن أستطع إخراجك بكل سهولة الآن!

كانت رحيق تحت تأثير الصدمة، لا تعلم كيف تتصرف.. عجز لسانها عن التحرك، حاولت استدراك الأمر.. ولكن بلا جدوى!

***

بينما كان كلاوس يحلق في السماء سريعًا في الأرجاء استشعر قلب رحيق القلق بالقرب من خليج سان فرانسيسكو؛ فعاد أدراجه سريعًا وهبط أمام المنزل بصورته المتجسدة.. شعر بزيادة العدد بالمنزل، أحب للحظة تلك القلوب المنسجمة، كان ذلك ما يسحره بالبشر دائمًا، لكنه الآن يراه في غيرهم، كان يعلم العامل المؤثر جيدًا..

ابتسم ودخل إليهم؛ ليجد تميم يجلس متعجبًا يراقب الجميع، بينما يحاول مراد فهم الخطة التي يحاول نيكولاس وضعها مع سارة والرفاق الجدد، فقال قاطعًا حديثهم: إنهم في جزيرة ألكتراز في قلب خليج سان فرانسيسكو... على بعد حوالي ميل وربع من مدينة سان فرانسيسكو، ويمكن الوصول إليها في رحلة قصيرة من خلال المعديّات، التي تنقل السياح من مرفأ مخصص بالمدينة إلى مرفأ الجزيرة.

فقال تميم: هل سنذهب إلى كاليفورنيا؟ هل يمكننا المرور بجسر البوابة الذهبية وقصر وينشستر أيضًا؟

فضحكت سارة قائلة: يمكننا بالطبع، ولكن فيما بعد.. حاليًا ستبقى هنا أنت ووالدك بصحبة ليديا.

وحينها قال هو وليديا معًا في آن واحد: ماذا؟؟ لماذا؟

فقال جيمس مازحًا: ليديا تحب قصص الأشباح، يمكنك تعريفها بقصص القصر إذا شعرتم بالملل.

فقال إيان: جيمس.. أظن أن عليك نقلنا للجزيرة الآن!

فابتسم جيمس وقال: هل أنت مستعد لقليل من القتل؟

فقال إيان وهو يبادله نفس النظرة والابتسامة: بكل تأكيد.

وما أن قال ذلك نقلهم جيمس أمام مدخل الجزيرة وقال: ماذا الآن؟

فقال كلاوس: إنهم تحت الأرض أسفل مبني السجن القديم، أستطيع الشعور بهما هناك، أدهم في شمال المبنى ورحيق في الشرق.

فقال إيان: من أنت مجددًا؟

فقالت سارة بجد: علينا التفرق.. جيمس وإيان إلى الشمال، وأنا ونيك إلى الشرق.

فقال كلاوس: سأقوم باحتواء رحيق وطاقتها المضطربة، لن تستطيعي أنتِ النجاة أمامها.. هناك العديد من المجندين أظن عليكِ التغلب عليهم أثناء ذلك.

فقال نيكلاوس: كلاوس على حق، لنقُم نحن بالتغطية عليهم..

فقام جيمس بإمساك يد إيان وقال: نحن سنذهب..

ليقوما بالانتقال إلى الداخل ليجدا نفسهما أمام العديد من الحراس للغرفة الزجاجية، بينما يقوم أطباء بإيصال الأسلاك والمحاليل بجسد أدهم.. تبادلا نظرة حماس وابتسامة.. انتقل جيمس إلى الداخل سريعًا، بينما قام إيان بمقاتلة الحراس بحركات سريعة وقوية جعلهم يفقدون الوعي..

وفي تلك الأثناء كان كلاوس في حجرة الاحتواء التي بها رحيق يمسك عنق عمر، بينما رحيق شبه واعية، فقال عمر محاولًا إنقاذ نفسه: لن تستطيعوا الخروج من هنا أحياء.. هناك دائمًا محاولًات سهلة للاقتحام، لكن لن يستطيع أحد الخروج..

شعر كلاوس أن هذه كانت خطة عمر من البداية.. احتجاز البعض؛ ليكون الجميع في قبضته دون عناء، فقالت رحيق بضعف: عليكم الذهاب سريعًا..

إنه يسعى للقبض عليها!

وفي تلك الأثناء كان نيكلاوس منشغلًا بتخدير المجندين بالكهرباء السكنة التي تصدر عنه، غير منتبهًا لسارة التي اختفت بعد ثوان من الاشتباك...

كانت قد تبعت صوت دقات القلب التي تعرفها جيدًا، كانت لا تستطيع التصديق أنها تسمعها مجددًا تنبض هادئة، كأنه يغط في نوم عميق.. تملكتها الذكريات.. تملكها الألم والاشتياق.. كان الصوت واقعيًا لدرجة أنها لم تفهم أنه مجرد فخ يستخدمه عمر من أجل احتجازها وحدها..

بعد مرور ثوان من تحدث رحيق قرر كلاوس تدمير كل شيء ولا داعي للمعاملة الرقيقة أكثر من ذلك، فتحول إلى صورته الطبيعية بحجمه الكامل، وأحاط رحيق وعمر بكرة من طاقته حتى لا يسقط عليهم الحطام إثر تحوله وأخرجهم خارجًا..

وكان جيمس وإيان بانتظارهم بالخارج بصحبة أدهم الذي ما زال تحت تأثير المخدر، وعندما نظرا إليه كانوا لا يصدقون أنهم ينظرون إلى طائر الفينيق الأسطوري حقيقيًا أمامهم، فالتقَطوا منه رحيق وعمر، وعندها قال بصوت رنان غاضب: أين هي؟ أين نيك؟

فقال جيمس قلقًا من السؤال: لقد عاد مجددًا إلى الداخل عندما لم يجدها هنا معنا!

فحلق سريعًا عاليًا وطفق بجناحيه بقوة مبعثرًا البناء كحبات الغبار، كأنه لم يكن يومًا موجودًا.. لتظهر الأرض عارية أمامه.. شعر بها وسمع صوت أنفاسها المختنقة، وكان نيكلاوس تائهًا بالداخل لا يعرف مكانها، فصاح بجيمس لأخذ نيكلاوس من غرب المبنى، بينما هو يتجه إلى قلب المبني كالسهم المنطلق من عنانة مخترقًا كل شيء إلى الغرفة التي احتجزت بها..

ليجدها جاثية تسعل بقوة ورائحة الدخان تملأ المكان، فعاد إلى هيئته المتجسدة واقترب منها، وجدها تنظر بخوف إليه.. فتتدارك أنها تحت تأثير عبق الدخان، لهيبه الذي يسبب الهلوسة؛ فأمسك بيدها سريعًا مخرجًا جناحيه.. حلق بها عاليًا، وحالما وصل إلى السماء وقامت باستنشاق الهواء نظيفًا كفت عن السعال، ولكنها كانت كالتائهة، فقال كلاوس بحيرة: هل أنتِ بخير؟ يمكنكِ إغماض عينيكِ إذا رغبتي!

فلم تجب، واكتفت بإغماض عينيها.

هبط بها أمامهم وقال بغضب: يبدو أن الفخ الذي قام به هذا الأحمق للإيقاع بها قد أثّر بها، لنذهب من هنا قبل انفجار الجزيرة!

وما أن أنهي جملته قام جيمس بنقل الجميع أمام منزل نيكلاوس.. وعندما دخلوا إلى الداخل وجدوا ليديا تضحك بشدة برفقة تميم، بينما يقف مراد في الشرفة ينتظرهم قلقًا، فقال جيمس: هل قص عليكِ عن الأشباح أم ماذا؟

فقالت وهي تلتقط أنفاسها: لقد حاول إقناعي أن أتخيل سارة في مكان الأرملة سارة وينشستر.

فضحك إيان وهو ينيم أدهم على الأريكة، وقال: تلك المجنونة بعيدة تمام البعد عنها.

أنام نيكلاوس رحيق على الأريكة الأخرى، وقال: أليست تلك الأرملة التي سيطر عليها اعتقاد أن لعنة ما سقطت عليها وعلى عائلتها.. فأحضرت وسيطًا روحيًا من بوسطن نصحها ببناء منزل لها ولجميع الأرواح الذين قتلوا بسبب بندقية وينشستر...

كما أضاف أنها ستظل على قيد الحياة ما دامت أعمال البناء قائمة.. وفي

عام ١٨٨٤م اشترت بالقرب من سانتا كلارا مزرعة للتوسع تقريبًا.. وقد استمر العمل على مدار الساعة مدة ٣٦٥ يومًا في السنة لمدة ٣٨ عاما... وكانت جميع تصميمات القصر مصممة من قبلها، والتي كانت في كل ليلة تنزوي في غرفة خاصة، هي غرفة واحدة شاغرة بالقصر مخصصة لها فحسب؛ تدعو فيها الأرواح ليشيروا عليها بخطط العمل في التصميم الذي ينبغي القيام به كل يوم، ثم تودع مخطط التنفيذ في صباح اليوم التالي.. لكن أعمال البناء توقفت يوم وفاة سارة وينشستر في عام ١٩٢٢م.

فقالت ليديا ساخرة: المسكينة فقدت عقلها بعد موت زوجها وعانت من الهلوسة، واعتقدت أنها تتواصل مع الأرواح!

فقال تميم متعجبًا: ألا تجهلون شيئًا؟! كان عليكم إنشاء موقع مثل ويكيبيديا أو ما شابه.

فاقترب مراد من رحيق وقال: هل هي بخير؟ وأدهم؟

فقال جيمس: إنهما تحت تأثير المخدر، لقد أبقينا على حياة الطبيب الذي كان مسؤولًا تحسبًا لأي جديد.

فقال عمر بتكبر: كان عليكم قتلي؛ لن أساعدكم في شيء!

فتقدم نحوه مراد بغضب وقام بصفعه قائلًا: هل هكذا كنت تريد أخذ ابنتي مني؟ لقد فقدت ملكيتي بسبب جشعك وجشع تلك المنظمة المشؤومة.. كيف أمكنك؟ أنتَ لست بشريًا أنت.. أنت..

انهار مراد وابتعد عنه متجهًا نحو صغيرته التي يكاد قلبه ينفطر بسبب كل ما حدث معها، وربت على رأسها محولًا تعزية نفسه، فاقترب منه تميم وقال: لا تقلق أبي، ستكون بخير بالتأكيد.. ثم جلس إلى جانبه يسانده..

قال كلاوس: سأترك سارة في غرفتها.. نيك.. قيّد ذلك الأبله في أي مكان بعيدًا عنهم.

فنظر نيكلاوس إليه بحيرة.. كيف تم إلحاق الأذى بها! وكيف لم ينتبه إليها وهي تبتعد عنه، ثم قال: حسنًا.. سألحق بك.

فقالت ليديا: سأجعل المنزل غير ظاهر.. لمزيد من الحماية.

وعندما أنام كلاوس سارة في الفراش جلس إلى جانبها ينظر إليها متعجبًا من الدموع الساكنة بين جفونها، فقام باستخدام خدعتها وحرر ذرات وعيه ليخترق وعيها..

شعر بصعوبة الأمر.. كأنه يحلق عكس اتجاه رياح الإعصار! ابتسم بسخرية وظل يحاول ليجد نفسه أمام باب غرفة مغلقة، ففتحها ليجدها تقف أمام طاولة خاوية، ولكنه سمع صوت دقات قلب استطاع تمييزها من ذكرياتها التي قام بسرقتها.. كيف لنبض قلب أن يكون مؤثرًا بها بهذه الدرجة! فقال: لقد سرقتُ ذلك منكِ مسبقًا، ولن أتردد في فعل ذلك مجددًا!!

فقالت بصوت متكسر: لن أكون منصفة أبدًا مع نيك إذا كان قلبي يهرع دائمًا إلى ذكرى ماتت ودفنت داخلي!

فاقترب منها ووضع يده على كتفها قائلًا: عليكِ تصديق أنكِ لستِ سببًا فيما حدث، ليزول كل هذا الألم.. قلبكِ لن يحب نيك أو ينظر إليه إذا كان يحمل شخصًا داخله.. كل ما كان به مجرد آلام لا ذنب لكِ بحدوثها، كان عليكِ إدراك ذلك خلال كل تلك المدة!

ثم ابتعد قائلًا: سأحررك من ذلك الألم.. عليكِ محاولة العيش دونه!

ليعود إلى وعيه سارقًا آخر ما تبقى داخلها من ذكريات مؤلمة، جاعلًا وجود

عمرو بداخلها مجرد ذكرى سعيدة بلا آلام وتأنيب لا يتوقف... وعندها دخل نيكلاوس إلى الغرفة وقال: ماذا حدث لها؟

فقال كلاوس متنهدًا: قام باستدراجها، وبعدها تصاعد الدخان الناتج عن النيران التي أشعلتها؛ فاختنقت بها وعلقت داخل الهلوسة الخاصة بها.. لا تقلق، لقد عالجتُ الأمر، ستفيق بعد قليل.. أظن أن عليك البقاء إلى جانبها..

فقال نيكلاوس حائرًا: لِمَ تفعل كل هذا؟ أقصد لِمَ لم تتمتع بحريتك بعد أن حصلت عليها أخيرًا؟!

فابتسم قائلًا: كيف سأرد لها دَيني إذا؟ لقد قامت بتحريري من الطلسم القديم، ومن الحماية الإجبارية في الطلسم الآخر، لذا كنت أفكر في رد ذلك الدَين لها بشيء مماثل، وقررت المكوث إلى حين إيجاد ما يمكنني فعله لها يحقق ذلك..

فقال مستفسرًا: كيف قام باستدراجها؟ أنا أعلم كل شيء عنها تقريبًا.. كيف امتلك ذلك الغبي شيئًا ضدها؟

-لم يكن شيئًا ضدها.. على ما أعتقد أنه قام بأخذ أحد الملفات الطبية القديمة الخاصة بعمرو زوجها السابق، التي تحتوي على نبض قلبه، وقام بافتعال فخ كونه موجودًا.. لذلك أثرت الهلوسة عليها بشكل كبير.. أنت تعلم أنها تلوم نفسها على ما قام به إيدين كل هذا الوقت.. لكني عالجتُ الأمر.. لقد قمت باستخراج كل ذلك الألم والندم من داخلها.. بعبارة أخرى قمتُ بسرقة ذلك.. إنها أفضل حالًا الآن.

-سرقة! كيف يعد ذلك سرقة؟

فابتسم في تفهم وقال: تلك المشاعر السلبية كالنبيذ المعتق الممزوج بفئة

دم O سالبة بالنسبة لك.. لا ينبغي عليّ أخذها دون إخبار صاحبها بذلك، أو بالأحرى عندما يطلب صاحبها ذلك.

ثم نهض مغادرًا وقال: أظن أنها ستكون بحاجتكَ عندما تفيق.. ستكون مشوشة قليلًا..

وعندما خرج من الغرفة سار نيكلاوس نحو الفراش واقترب منها.. نظر إليها قليلًا ثم مسد على رأسها هامسًا: لقد كانت حياتكِ هادئة قبل أن أقوم بالتدخل بها.. ولكنني لستُ نادمًا على ذلك.. أشعر أنكِ أصبحتِ ملاذا لي.. قد أفقد عقلي إذا خسرتكِ بسبب أي شيء... لم أكن أخطط لإدخالكِ بكل تلك الفوضى..

فقالت هامسة: أحمق.. أنا دائمًا ما أكون وسط الفوضى!

فضحك وقال: هل كنت تستمعين لي كل هذا الوقت... مشاكسة.

فنهضت جالسة وقالت: نيك... أنا أجد نفسي دائمًا ما أساعد كل من حولي.. كل هذا يضفي للوجود الطويل نكهة من المغامرة أحيانًا يكون لا غني عنه، لذا أنا لا أندم حقًا على وجودي هنا معك وسط كل هذا... أخبرني.. هل الجميع بخير؟

فابتسم لها وقال: لا تقلقي، الجميع بخير.. سأحضر لكِ بعض الدماء، أعتقد أنكِ بحاجة إليها.

وقبل أن ينهض دخل جيمس قائلًا: كيف حالكِ الآن؟

فنظر إليه نيكلاوس ثم نظر لها مبتسمًا ونهض مغادرًا..

فقالت سارة معاتبة: ليس من اللطيف معاملته كأنه غير متواجد!

فقال متأففًا: ليس من العدل أن يسرقك الجميع مني دائمًا!

ثم جلس أمامها وقال: أعلم جيدًا أنني مجرد صديق لكِ، وسأظل كذلك لا تقلقي.. أخبريني فقط ماذا حدث؟ لِمَ رحلتي دون إخباري فجأة؟

فتنهدت قائلة: أنت تعلم أنك لست مجرد صديق، أنت أخ لي وعائلتي المتبقية، لذا كفاك كلامًا دراميًا.. الخلود أمر مزري وأنت تعلم ذلك!

فضحك قائلًا: حسنًا.. أخبريني الآن ماذا حدث؟

وقبل أن تجيب دخل نيكلاوس مقدمًا كوب الدماء إليها وقال: في الحقيقة لقد قمتُ باختطافها.

فضحكت سارة بينما قال جيمس مصعوقًا: ماذا؟ هل تمزح؟ كيف؟!

فقالت لاهثة: لا شيء مميز، لا تكن مُلحًا!

-سأفقد عقلي بهذه الطريقة.. لا أحد يستطيع الاقتراب منكِ، وتريدين إخباري أنه قام باختطافك بكل سهولة.. بهذه البساطة؟!

فضحكت ناظرة إلى نيكلاوس وقالت: جيمس.. قبل هذه اللحظة كنا أعداءً، لذا استخدم آدم للإيقاع بي.. كما أنه أقوى مما تتصور، ليس كما يبدو!

ثم شربت الكوب دفعة واحدة وقالت: أراد الوصول خلال طريق مختصر لا غير!

فقال نيكلاوس وهو يأخذ منها الكوب: وما زالت تقاوم رغم كل شيء.. متى يمكنني إقامة حفل الزفاف؟

فقال جيمس ضاحكًا: لقد وقع في الفخ إذا... هل ستبقين نيك معلقًا هكذا؟

فقالت مشاغبة: على ما يبدو.

ثم نهضت قائلة: سأذهب لمحادثة كلاوس.. عليّ التأكد من شيء ما..

وعندما نزلت إلى الأسفل وجدت الجميع ما عدا كلاوس.. نظرت قليلًا إلى رحيق بين أبيها وشقيقها وحبيبها يجلسون في دفء؛ شعرت بالغيرة والحنين لوالديها.. ثم نظرت إلى ليديا تضحك مع إيان، وتذكرت أن ثلاثتهم كانوا وما زالوا أشبه بعائلة لها.. رفعت يدها وضمت ذراعها إليها لتجد كلاوس يقول من خلفها: الوحدة مزرية، أليس كذلك؟

فالتفت له قائلة: أحيانًا.. كنت أبحث عنك.. سابقًا في الجزيرة...

فقاطعها قائلًا: أعلم.. لقد فعلت ما أراه صائبًا، لذا سرقت منكِ المزيد..

-لقد كنتُ أتحدث حول إنقاذكَ لي.. شكرًا لك.

فضحك وقال: في أي وقت... أخبريني ماذا ستفعلين الآن؟

-أخبرني أنت.. لِمَ أنت هنا؟ عليكَ التمتع قليلًا!

فتنهد مبتسمًا: ليس قبل إيجاد أكثر رغباتك احتياجًا لتلبيتها لكِ.

-ليس عليكَ فعل ذلك، أنا أعلم ما في نفسي أكثر منكَ، لا أملك تلك الرغبة التي لن أستطيع تلبيتها لنفسي.

-لا ضرر من المحاولة إذا.

-من الجيد أن الأمور عادت مستقرة مرة أخرى.

-ماذا ستفعلون مع ذلك الطبيب؟

-أظن وجوده سيكون تفسيرًا جيدًا للتحقيقات بسبب تدميرنا لجزيرة كاملة.

فضحك كلاوس وقال: أجل.. آسف بشأن هذا الشيء!

فابتسمت له وسارت نحو الخارج فتبعها، ليجدها تضع هاتفها على أذنها قائلة: كيف حالك كلارك؟

فاستند لأحد الأعمدة محاولًا سماع الجهة الأخرى من الاتصال، ليجده يقول: أين أنتِ بحق الجحيم؟؟

فضحكت قائلة: هذا حقًا لطف منكَ، هل قلقت عليّ؟

فقال بصوت مغتاظ: اتصلت بكِ مرارًا.. أنتِ قاسية للغاية!

فحاولت عدم الضحك وقالت: لقد كنت أقوم بعمل ما، والآن أريد منكَ المساعدة كي لا تكون هناك أضرار أكثر في المستقبل.

فقال غاضبًا: لا تخبريني بأنكِ المسؤولة عن التفجير الذي حدث بالقرب من خليج سان فرانسيسكو!

فعضّت على شفتها السفلية كيّ لا تضحك وقالت: ليس تحديدًا، لكن أجل.. لذا ما رأيك بطبيب مجنون يحاول تطبيق إحدى التجارب ودمر المكان عوضًا عن ذلك، بسبب وجود العديد من المواد القابلة للاشتعال؟

-يبدو جيدًا، لكن نحتاج دليلًا لذلك، كيف ستقومين بذلك؟

-لدي الطبيب المناسب لذلك، ويمكن إذعانه لضمان اعترافه بكل شيء، مع الشعور بالندم الشديد.

-يمكننا التخلي عن الندم؛ لضمان تعفنه بالسجن.

-هذا هو صغيري... أخبرني كيف حال الجميع؟

-في الحقيقة جددتي بالمشفى منذ البارحة، وجدي يجلس طوال الوقت إلى جانبها، لا يرغب في الراحة.. كنت هناك منذ دقائق، أنا عائد الأن إلى المكتب الرئيسي، سأحاول التصرف لمحاكاة قصتكِ.

-حسنًا.. سأكون هناك الآن، سأسلمك ذلك المعتوه وأذهب إلى كاميل بعدها.

ثم أغلقت الهاتف متوترة ناظرة إليه قليلًا، ثم دخلت متجهمة نحو الداخل صائحة: جيمس.. أين ذلك الطبيب الأحمق؟ علينا الذهاب الآن!

فاتجه إليها جيمس سريعًا وقال: ماذا هناك؟

فقالت محاولة الهدوء: كاميل بالمشفى.. سأستخدم ذلك الطبيب لتغطية الانفجار، لا أريد تسليط الأضواء على أدهم أو رحيق.. لذا علينا إذعانه وجعله السبب بكل ما حدث على الجزيرة.

-لكِ ذلك، سأهتم أنا بالأمر.. اذهبي أنتِ إلى كاميل، لا بد أنها بانتظارك.

فقال نيكلاوس وهو يدلي المفتاح من يده: أظن أنني من سيقود!

فابتسمت له واستسلمت لرغبته وسارت خلفه نحو السيارة، بينما قالت رحيق: إنها مميزة، لسبب ما، فالجميع يلتف حولها..

فقال أدهم بمشاكسة: لا تقلقي، أنا لا أفعل.. أنا ألتف حولكِ فقط.

فضحكت قائلة: الأمر لا يتعلق بك.. لا أتحدث عنك.

فأمسك يدها وقال: سيد مراد.. قد يكون الأمر غير ملائم، أو في وقت غير مناسب، ولكن أنا أحب ابنتك للغاية وأريد البقاء إلى جانبها دائمًا.. لذا هل تقبل بي زوجًا لها؟

فابتسم مراد وربت على كتفه قائلًا: لا أظن أنني قد أرفض... قد تحرق رحيق المنزل في نوبة غضب!

فضحك تميم قائلًا: لا، أرجوك.. لا أريد الموت عزبًا!

***

كانت سارة تعلم جيدًا أنها ستكون في ذلك الموقف مجددًا مرارًا وتكرارًا.. دائمًا ما ستكون حاضرة بينما جميع أحبابها سيغيبون مفارقين الحياة.. تاركين إياها وحيدة..

وقفت صامتة أمام فراش كاميليا بالمشفى لا تستطيع قول شيئًا أمام احتضارها.. راقبت ألفريد وهو يحاول التماسك بجانب زوجته ورفيقة دربه هامسًا بأنه لا يستطيع العيش لثانية واحدة من دونها.. امتلأت جفون سارة بالدموع منحبسة منتظرة قرار الإفراج عنها.. التقطت انفاسها الهاربة وغادرت الغرفة..

وقفت تحاول منع ذكريات الموت من ملاحقتها.. والديها وعمرو ووالدهن وجميع من حاولت إنقاذهم يومًا.. انهمرت دموعها وهي تسمع انقطاع أنفاس كاميليا واحتداد أنفاس ألفريد حزنًا.. لم تستطع الدخول ومحاولة مواساته..

لتجد نيكلاوس يقف أمامها ماسحًا دموعها مبتسمًا لها في حنان، وقال: لا بأس... عليك التماسك قليلًا.. أظن أن ألفريد سيكون بحاجتكِ إلى جانبه..

حاولت جمع شتات نفسها، ثم دخلت مجددًا نحو ألفريد؛ لتجده يبكي بحرقة لسكون كاميليا، وابنه الوحيد يحاول مواساته.. وعندها وصل كلارك، وعندما تدارك الموقف قال مصدومًا: لا! لقد كانت تستطيع المتابعة.. لقد قال الطبيب أنها ستواصل أكثر من ذلك!

فوضعت سارة يدها على كتفه وقالت: كلارك.. عليكَ التماسك من أجل جدك.. عليكَ البقاء قويًا من أجله؛ أنت تعلم أنه متعلق بك لأنك تشبهها كثيرًا، حاول إخراجه من هنا حتى لا نفقده هو أيضًا!

نظر إليها قليلًا، ثم اقترب من ألفريد قائلًا بصوت متقطع الأنفاس: جدي!

وعندما لم يجِبه وضع يده على كتفه وسحب ذراعه محولًا جعله يقف قائلًا: جدي.. تعال معي قليلًا.. هيا جدي، لا تكن صعب المراس الآن!

وبعد عدة محاولات نهض ألفريد معه للخارج وهو يسير مترنحًا.....

***

بعد ذلك اليوم بعدة أشهر كانت رحيق تقف في الشرفة تراقب شروق الشمس شاردة في كل ما مرت به لتحصل على سعادتها الحالية، كل ما كانت تتمناه يومًا، لكن دون مرافقة والدتها لها في تلك الرحلة.. أغمضت عينيها للحظة؛ لتجد أدهم يحتضنها من الخلف قائلًا: ما خطب زوجتي العزيزة يا ترى؟

فقالت هاربة: كأنك لا تعلم أو ما شابه!

فضحك قائلًا: عليكِ مجاراتي قليلًا.. أفسدتِ اللحظة!

فقالت بدلال: حقًا؟!

فقبل رأسها قائلًا: ليس عليكِ دائمًا التفكير فيما حدث، يمكنكِ دائمًا جعلها فخورة بكِ!

فوضعت يدها على ذراعه الملتف حولها وقالت: سأحاول فعل ذلك.

فهمس في أذنها قائلًا: أحبكِ.. مليكتي..

***

كانت سارة جالسة في فراشها شبه نائمة وتفكيرها مشوشًا؛ لقد تزوجت قبلًا، لكن هذه ستكون أولى حفلات الزفاف لها.. كانت الأفكار تتداخل والقلق يؤثر على هدوئها.. حاولت تخيل ماذا كان سيحدث إذا كان والديها على قيد الحياة إلى جانبها في مثل هذا اليوم، ولكن عقلها كان يتوقف ولا تستطيع استحضار أي أفكار تسعفها على الهدوء..

وعندها طرق أحدهم الباب، فنهضت وفتحت باب غرفتها لتجد سيليست وليديا يحملان حافظة ملابس بيضاء، وقالت ليديا: عليكِ ترك نفسك لنا اليوم..

فقالت سيليست: أظن أن يوم كوابيسك قد حان!

فضحكت سارة قائلة: لا أعلم كيف أخاف منكما أكثر من مجنون يحمل سلاحًا نوويًا؟

فأمسكتها سيليست وقادتها نحو الحمام وقالت: حان موعد أخذ حمام دافئ... حاولي الاسترخاء قليلًا..

وعندما خرجت سارة تجفف شعرها القصير؛ فوجدت فستانًا أبيض يتوسط فراشها، فاقتربت منه متأملة الزخرفة شبه الظاهرة به، والخيوط الفضية التي ترسم النقوش من الخصر إلى الذيل.. تحسست الفستان شاعرة بسعادة لم تكن تتخيل أنها ستشعر بها؛ ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيها، وحملته بين يديها لا تصدق أنها سترتدي هذا الفستان أمام جميع الحاضرين، فاقتربت منها سيليت وقالت: دعينا نحاول جعل المساحيق تنال شرف استخدامها على وجهكِ اليوم.

فضحكت قائلة: أنا لا أدري حقًا لا كيف تركتكِ تقومين بكل هذا؟ أخبريني أين هو نيك؟

فضحكت قائلة بدلال: ستكونان معًا في الموعد المحدد، لا تقلقي!

وبعد أن قامت سليست بمساعدة سارة على وضع بضع مساحيق التجميل التي لا تحتاجها، وصففت لها شعرها القصير بتاج صغير على جانب شعرها.. ساعدتها على تثبيت الوشاح الطويل على كتفيها معطيًا لها هيئة الملكات..

وقفت سارة أمام المرآة تتأمل الفستان عليها.. كان الدانتيل يزين الكتف غير الظاهر، مثبتٌ فيه الوشاح، ويبدأ بعقد من النقوش كأنه عقد من الأزهار الصغيرة، لينزل بمساحة خفيفة من الدانتيل غير المزين، ليبدأ برسم النقوش على محيط الصدر نزولًا إلى الخصر، ليتلاشى النقش ويتناثر على الذيل.. كان بسيطًا وأنيقًا جعلها تبدو في أبهى طلة..

ألقت نظرة أخيرة لتغادر الغرفة.. لتجد كلاوس يقف برفقة جيمس فاقترب منها قائلًا: حان وقت هديتي لكِ... أظن أنني أعلم جيدًا ما أنتِ بحاجة إليه الآن.

فابتسمت له ليبادلها الابتسام قائلًا: لن أخبركِ ما هي، ولكن عليكِ معرفة أنكِ لن تكون في حاجة للحصول على الدماء كمصدر أساسي لكِ بعد الآن، ونيك أيضًا.

فضحكت غير فاهمة وقالت: هل تريد إخباري أنني سأكون بشرًا؟!

فقال هامسًا لها: لا، ستكونان أول مصاصي دماء لا يحتاجان لشرب الدماء بعد الآن!

فنظرت إليه غير مصدقة أنها حقًا لن تحتَج للدماء مرة أخرى ناسية أن هذا ليس الجزء الوحيد من الهدية.. وبعدها ساروا نحو الباحة الخلفية للمنزل؛ لتجدها مزينة بزهور الأقحوان والتوليب واللافندر الأرجواني، ونيكولاس يقف منتظرًا إياها يحمل لها باقة من الزهور كالتي تزين الباحة.. فسارت نحوه بسعادة وقلبها ينبض بقوة فرحًا..

وعندما وقفت أمامه شعرت بنظراته تخترقها؛ قالت محاولة الهرب منه: لقد قمنا بالزواج أمس بمكتب البلدية.. أنتَ مشاغب، لِمَ كل هذا اليوم؟

فقال باسمًا: تلك مجرد إجراءات.. الزفاف الحقيقي اليوم.

ثم أمسك يدها ساحبًا إياها نحوه قائلًا: هل تسمحين لي باختطافكِ مجددًا؟

فضحكت قائلة: هل ستظل مجنونًا للأبد؟

فقبل جبينها قائلًا: سأظل مجنونًا بكِ دائمًا.. وأبدًا..

***

مع مرور الوقت كانت الأوضاع مستقرة.. كان أدهم ورحيق قد استقرا في الحي الذي حولته سارة لهم مع مرور الوقت بجانب الجميع.. وكان مراد وتميم في المنزل المجاور لهما..

آمنت سارة بأن العائلة قد لا تتوقف على العائلة الأصلية التي لا غنى عنها، ولكنها إذا اختفت فهناك دائمًا مساحة للمزيد والمزيد من الأفراد لتكوين عائلة أخرى كبيرة، بها كل ما قد يحتاجه المرء من العائلة... كان نيكلاوس وسارة دائمي الترحال من مدينة لأخرى.. كان يريد شغلها عن حماية الجميع ومحاولة الاستمتاع فقط بكل شيء..

وبعد مرور بضعة أشهر كانت سارة تشعر بالإعياء، تجلس في الفراش تحاول التغلب على الدوار، بينما نيكلاوس يقف عاجزًا أمامها لا يدري ماذا يفعل! فقام ببعث رسالة لنيكلاوس ظنًا منه بأنها قد تكون بحاجة للحصول على الدماء...

وفي منتصف اليوم كانت سارة مستلقية على الفراش تسند رأسها إلى ساق نيكلاوس على أثر الغثيان الذي كانت تعاني منه.. بينما يمسح على رأسها، ولا يجد تفسيرًا لمرضها وحائرًا في كيفية إصابتها بتسمم غذاء أو ما شابه.. وعندها هبط كلاوس على سور الشرفة قائلًا: لِمَ يخيم الحزن عليكما؟

اعتدلت سارة وهي تعاني من الدوار.. بينما نهض نيكلاوس وقام بفتح باب الشرفة لكلاوس قائلًا: إنها مريضة منذ الصباح، لا أدري ماذا حل بها!

فضحك كلاوس وقال: إذا لقد تم الأمر... نيك.. سارة ليست مريضة! إنها فقط تعاني من آثار الحمل.

فنظر نيكولاس غير مصدق لكلام كلاوس نحو سارة، والتي وضعت يدها بطريقة غريزية على معدتها، والذهول يملأ وجهها، فقال كلاوس: هذه كانت هديتي لكِ.. أسرة سعيدة حقيقية خاصة بكِ وحدكِ غير ملطخة بالدماء.

فاقترب نيكلاوس منها ووضع يده فوق يدها منصتًا، ليسمع صوت نبض صغير سريع إلى جانب نبض سارة، فنظر إليها وقال: إنه على حق! إنه.. هناك حقًا طفل داخلكِ.. حقًا.. هل سأكون أبًا؟!

فابتسمت إليه والسعادة تملأ صوتها قائلة: سيكون لنا عائلة كاملة سعيدة.

وعندها رحل كلاوس تاركًا إياهما يحتفلان معًا بسعادتهما القادمة، محتفظًا بصورتهما أمام عينه.. لقد رد دَينه أخيرًا.. الآن فقط يستطيع التحليق حرًا دون القلق حيالها مرة أخرى.. رغبتها الدفينة التي لم تبُح بها لأحد استطاع

تحقيقها لها أخيرًا.. تحول لصورته الحقيقية وحلق مغنيًا بين السحب العالية..

***

كان كل شيء أشبه بالحلم الذي يتحول لحقيقة!

في اليوم التالي قرر نيكلاوس العودة مع سارة لمنزلها في ميامي برفقة الجميع؛ أرادوا الاحتفال مع الجميع وإبهاجهم بخبر ذلك الجنين المعجزة؛ فهما لم يصبحا فقط أول مصاصي دماء لا يتغذيان على الدماء وأقرب للبشر، بل أيضًا أصبحا أول الآباء من هذا الجنس..

كان القلق يسيطر على سارة طوال الطريق.. ترى كيف سيكون هذا الرضيع؟ وهل سيكون بخير للنهاية؟ بدأت تشعر بغريزتها في الحماية، وأحبت الشعور بجهل المستقبل.. لم تعد تتوقع ما سيأتي في طريقها.. شعرت أنها أصبحت أكثر بشرية، وأنها لم تعد ملعونة كالسابق..

وعندما لاحظ نيكلاوس شرودها قال: هل أنتِ بخير؟ هل تشعرين بأي خطب؟!

فابتسمت له قائلة: أنا سعيدة للغاية، ولكن أشعر حقًا بالقلق.. لا أدري كيف يمكنني الاعتناء به حقًا؟ أنت تعلم أننا نأكل فقط للروتِينية، ليس لأننا نشعر بالجوع.. كيف سأعلم بما يحتاجه ذلك الجنين للنمو الصحيح! أنا حقًا لا أريد المغامرة وفقدانه في النهاية!

-من الجيد أننا نملك سيدة جميلة تعيش بالجوار، وتشعرين دائمًا أنها مثل والدتك..

فضحكت قائلة: هل تقصد والدة آدم؟ أنتَ تعلم جيدًا أنها لا تعلم حقيقتنا،

كيف سيكون ذلك مساعدًا؟

-عزيزتي أنتِ الآن لستِ مصاصة دماء حقًا.. بل أقرب للبشر! لذا إذا ساعدتنا في الاعتناء بكِ سيكون ذلك ملائمًا نوعًا ما، كما أننا نستطيع إذهان أي طبيب للاعتناء بكِ، وإجراء جميع الفحوصات اللازمة.. لن يتأخر أدهم في القيام بالأمر.

فضحكت قائلة: أنا حقًا لا أستطيع التنبؤ بأي ردة فعل لهم..

فابتسم لها قائلًا: كدنا نصل، ويمكنكِ رؤية ذلك بنفسك.. سيليست وريبيكا في انتظارنا في منزلك.. سيليست تعد لك حفلًا.. أعلم أنكِ لا تحبين المفاجآت؛ لذا أخبرتك.

فقالت مندهشة: هل أخبرتها؟

-ليس حقًا.. فقط أننا نحمل بعض الأخبار السارة للجميع.. أردتُ أن تنضم إلينا؛ لذا أخبرتها بذلك.

-هذا جيد.. أريد رؤية ردة فعلها بنفسي.

وعندما وصلا أنزل سارة أمام المنزل قائلًا: سأضعها في المرأب وأحضر الأمتعة الخاصة بنا فيما بعد.

فابتسمت له واتجهت نحو الباب.. كانت قلقة من مفاجأة سيليست لها..

وعندما فتحت الباب وجدت ريبيكا تتجادل مع فتاة لا تعرفها، بينما سيليست تجلس غاضبة؛ فحاولت الابتسام قائلة: مرحبًا.. ماذا يحدث؟

نهضت سيليست سريعًا نحوها قائلة: كيف حالكِ؟ لقد اشتقت إليكِ كثيرًا.

فقالت بريبة: بخير.. من هذه؟

فاتجهت نحوها الفتاة وقالت: يا لوقاحتي.. مرحبًا.. أنا حبيبة نيك، أُدعي إليكس.

فنظرت لها سارة قليلًا، ثم قالت: هل هذا مزاح من نوع ثقيل أو ما شابه؟

وعندها دخل نيكلاوس قائلًا: هل أحرقت سيليست المنزل؟

وعندما وجد إليكس بجوار سارة قال غاضبًا: ماذا تفعل هذه هنا؟!

فاقتربت منه قائلة: هل تريد إخباري أنكَ أصبحت قادرًا على نسياني؟

فأمسك يدها معنفًا وقال: ماذا تريدين؟

فنظرت إليه بشغف وقالت: لا تكن قاسيًا، تعلم أنني دائمًا أعود لأجلك.

فقالت سارة بغضب: أريد البقاء وحدي.. سيسي.. اصطحبي أخاكِ للخارج!

فاقترب نيكلاوس منها قائلًا: سارة.. ألا ترين أنكِ تضخمين الأمر قليلًا!

فقالت وهي تحاول عدم النظر إليه، ووضعت يدها على معدتها بطريقة غريزية: نظف فوضاك أولًا، وحاول إيجاد تفسير لائق فيما بعد.. أنا متعبة سأذهب للنوم..

فقالت ريبيكا: نيك.. تخلص منها أولًا!

وعندها أمسك نيكلاوس بذراع إليكس وسحبها للخارج غاضبًا، ثم قال: ماذا هناك؟ لِمَ عدتِ مجددًا؟

فسحبت يدها منه قائلة: ألا تعرف حقًا! لقد أخبرتكَ، أنا هنا من أجلك!

فضحك بسخرية قائلًا: ألا تخجلين من نفسك.. إنها زوجتي، ليست فتاة

عابرة مثلكِ، لستِ ندًا لها؛ لذا غادري، وأيًا كان ما ترغبين به سأجعل سيليست تتولى أمره.. وإلا سأكون آخر ما تراه عيناكِ!

-لا أرغب بأي شيء آخر.. تعلم جيدًا أنني لن أرحل، أو على الأقل ليس الآن!

-لن أشارك في ألاعيبكِ مرة أخرى، لذا..

-لم أكن لأصدق أن نيك الجبار أصبح أليفًا إذا أخبرني أحد آخر!

-لم يعد لدي رغبة في الحديث... لا تحاولي دخول حياتي مرة أخرى!

وعندها تركها بالخارج ودخل مهرولًا نحو غرفة سارة؛ ليجدها جالسة قرب النافذة تراقب إليكس التي ما تزال تقف أمام المنزل، فاقترب نحوها قائلًا: عزيزتي..

- من تكون تلك الفتاة؟

-هل تذكرين عندما أخبرتكِ أنني أحببت مرة من قبل؟

-لا تخبرني أن حبك الأول يطاردك الآن!

فاقترب أكثر وجلس إلى جانبها قائلًا: انظري إليّ.. هيا.. لا أحتمل أنكِ غاضبة وتأبين النظر إليّ!

فنظرت إليه ليرى تلك الدموع المحبوسة بين رموشها لا ترغب بالتحرر؛ فمسحها لها وقال: ليست كذلك.. لقد كانت السبب في قتلها منذ زمن بعيد.. كنتُ بشريًا ضعيفًا أحمقًا في ذلك الوقت يسعى ليكون صاحب النفوذ والجاه، لذا ضحيت بكل شيء.. حتى تلك الفتاة التي أحببتها.. تلك الأشياء التي رأيتها في غرفتي من قبل كانت فُتاتًا بالنسبة لي.. لم أكن أملك حينها إلا إليكس، وما هي سوى أحد أخطاء الماضي.. أنتِ تعلمين جيدًا أنني لا أحب

غيركِ!

-ماذا ستفعل الآن؟

-لقد تعاهدتُ معكِ ألا مزيد من القتل أو ما يكون المعتاد مني، لذا.. هل تأذنين لي؟

فنظرت من النافذة فلم ترَها، فقالت: يمكنكَ جعل أدهم يُذهنها بالبقاء بعيدًا عنك.. لا تلوث يدك بها.. تعلم.. لا نريد مزيدًا من الأعداء!

فأمسك يدها مقبلًا إياها وسحبها برفق إليه ليَغمرها بذراعيه قائلًا: لا تحاولي تركي بعيدًا مرة أخرى!

فأغمضت عينيها وتركت نفسها تغرق داخله، وقالت: سأحاول عدم فعل ذلك..

كان نيكلاوس يعلم أن إليكس لن تتركه ينعم بسعادته إذا ظلت على قيد الحياة، وكان يفكر في جعل سيليست تتولى أمرها، ولكن كان قلقًا من أن تلحق الأذى بشقيقته، أو بعد ذلك بسارة كعادتها.. فعادة قتل كل من تحب كانت ملكًا لها في الأساس..

شعر بأن سارة ترهق سريعًا من نومها السريع كلما بقيت ساكنة، فحملها نحو الفراش وأنامها عليه مقبلًا جبينها.. ونزل الدرج، وقبل أن يغادر المنزل قالت سيليست: ماذا حدث؟ لم تكن سارة بخير تمامًا عندما أتيتم!

فالتفت إليها قائلًا: ليس الآن.. عليّ التخلص منها سريعًا.. اعتني بسارة من أجلي..

فقالت ريبيكا: لِمَ أشعر أنكَ ستفعل شيئًا غبيًا.. حقًا ماذا يجري؟

فنظر نيكلاوس إليهما وابتسم كأن الضوء يزين وجهه قائلًا: سأكون أبًا!

فنظرت سيليست إليه بعدم تصديق، بينما قالت ريبيكا مندهشة: كيف حدث ذلك؟

فقالت سيليست وهي تراقب تلك البهجة التي تملأ وجهه: عليكَ التخلص من تلك النفاية سريعًا، سنعتني بها ريثما تأتي.

فابتسم لها وغادر سريعًا نحو المنزل المجاور لهم منزل أدهم ضاحكًا لتلك المزحة التي قالتها سارة، حول أن الحي يجب أن يسمى كناية عن الجميع، بما أن لا بشري يعيش حقًا هنا غير عائلة رحيق وآدم ووالدته..

طرق الباب.. فوجد أدهم يضحك بينما ملابسه ملطخة بالطحين والشكولاتة، فضحك قائلًا: ماذا يحدث؟

فقال لاهثًا: رحيق تحاول إعداد كعكة كبيرة لحفل اليوم.. تميم أقام معها حربًا بالطحين، وأصبحتُ أحد الضحايا.

فضحك بشدة وقال: لم تتغير تلك الأحداث الطفولية خاصتك.

فقال وهو يدخله للداخل: لقد أتيتَ مبكرًا.. أين سارة؟ لِمَ ليست معك؟

فقال بجد: في الحقيقة أنا أحتاج مساعدتك.. هل تتذكر إليكس؟

-هل تمزح معي؟ ألم تقتلها آخر مرة؟!

-لا... تعلم أنها دائمًا ما تؤثر عليّ، كنت أظنها لن تظهر مجددًا!

-هل أنت أحمق؟ كيف لم تدرك أنها تحب التلاعب بكَ دائمًا؟ هل سارة تعلم؟

-ليس كل شيء، ولكن أجل!

-نيك.. أنت حقًا تحاول القضاء على كل شيء.. أين تلك الإليكس الآن؟

-في الحقيقة لا أعلم.. تركتها أمام المنزل ورحلت بعدها.

-هل يمكنني صفعك الآن؟ كيف تتركها بعيدًا عن ناظريك! كيف سنعلم الآن ما تخطط إليه؟

-لهذا أتيت إليك..

وعندها سمع الاثنان سارة تصيح ثائرة؛ فسارع نيكلاوس وتبعه أدهم..

وعندما وصلا للغرفة وجدا إليكس تمسك ذراع سارة، بينما الاثنان ثيابَهما ملطخة بالدماء؛ فسارع نيكلاوس نحو سارة وسحبها بين ذراعيه، بينما وقف أدهم أمامها قائلًا: مرحبا إليكس.. ماذا تريدين منها؟

-لديها شيء ثمين أود الحصول عليه!

-ترى ما هو؟ ألا تستطيع مدللتنا الحصول عليه من مكان آخر؟!

-سيكون ذلك صعب للغاية، للأسف سيكون عليّ الانتظار!

فقالت سارة بغضب: ليس لديكِ أي حق للمطالبة بمولودي!! سيكون عليكِ قتلي أولًا!

فقالت ببرود: أوه! عزيزتي لا تقلقي.. سأفعل!

وعندها ظهر كلاوس وسط الغرفة متجسدًا وقال: أظن أنني من سيقوم بالتعامل معكِ!

وما أن قال ذلك ظهرت كرة من النيران وأحاطت بها، لتتحول لرماد داخلها دون أن تجد وقتًا للصراخ!

ثم التفت نحو سارة ليجدها تتعرق بشدة بينما هي بين ذراعي نيكلاوس، فاقترب منها قائلًا: كان عليكِ استدعائي مبكرًا.. ألم تعديني بذلك؟

فابتسمت له وأغمضت عينيها بعد أن شعرت أنها بأمان أخيرًا.. فحملها نيكلاوس نحو الفراش قائلًا: كيف علمت بالأمر!؟ أنا لم أخبر أي أحد بعد!

فقال أدهم حائرًا: أين سيليست وريبيكا! ألم يكونا برفقة سارة عندما غادرت؟

وعندها سمعوا صوت ضحكهما وهما يدخلان للمنزل سار نيكلاوس غاضبًا نحو الأسفل، وصاح قائلًا: كيف يمكن أن تكوني في مثل هذا التهور سيسي! ألا تعقلين أن إليكس كانت بانتظاركِ لتغادري.. لقد وعدتِني بالاعتناء بها، كيف لكِ أن تتركينها بمفردها؟!

فقالت ريبيكا: لم نكن نظن أن بضع دقائق قد تسبب أي شيء.. كما أن سارة تستطيع التكفل بنفسها بضع دقائق، أليس كذلك؟!

فقالت سيليست: ماذا حدث لتكون غاضبًا بهذا الشكل؟

فقال كلاوس محاولًا تهدئة الموقف وهو يضع يده على كتف نيكلاوس: لقد أتت تلك الفتاة، وسعت لخطف سارة للحصول في النهاية على مولودها.. يبدو أنها كانت تراقب نيك لفترة.. سارة ليست بحالتها الطبيعية الآن، جسدها ببساطة يضعف لتقوية جنينها؛ لذا تأذت بينما تحاول الدفاع عن نفسها.. ليست في أشهرها الأولى، لقد تخطت أول ثلاثة أشهر؛ لذا ستشعر بالإرهاق سريعًا..

قالت ريبيكا وقد تداركت أنها السبب في ذلك: أنا آسفة، كنت فقط أرغب بإسعادها اليوم؛ لذا ذهبنا سريعًا لإحضار بعض الأزهار والزينة للاحتفال.. هل هي بخير الآن؟

فأومأ نيكلاوس وسار نحو الدرج صاعدًا نحو غرفة سارة، ليجدها تجلس على الفراش ويبدو عليها الحزن؛ فاقترب منها ومسح على رأسها قائلًا: ماذا هناك؟

فابتسمت ابتسامة كاذبة وقالت: لا شيء.. لا تقسو على ريبيكا أو سيليست؛ لا أحد يعلم أنني ضعيفة الآن ولا يمكنني تدبر أي قتال بمفردي.. تعلم أنني لم أكن كذلك من قبل!

فقبَّل جبينها قائلًا: أعلم.. أنا كنت غاضبًا فقط لأنكِ كنتِ بمفردك.. لذا..

فوضعت يدها على خده قائلة: لا بأس.. أنا بخير الآن.. كما أننا سنحتفل الليلة.. لذا اجعل ذلك الوجه المتجهم يغادر..

فوضع يده على يدها وقال: يقول كلاوس أنكِ في شهرك الرابع.

فضحكت قائلة: لم أصدق ذلك أنا أيضًا، معدتي لم تكبر ولو قليلًا.. يبدو أنني لن أكتسب الكثير من الوزن.

فقال مازحًا: لماذا؟ كنت أريد رؤيتك وأنتِ ممتلئة.. ضاعت فرصتي.. كنت أريد إغاظتك!

فضحكت قائلة: سأظل الأجمل دائمًا، لا تقلق!

فقبلها ثم قال: بالطبع أنتِ كذلك.

فابتسمت له قائلة: دعنا ننضم لهم..

فأمسك يدها وسحبها مساعدًا إياها على الوقوف وقال: هل سيكون كلاوس الطبيب الخاص بكِ؟

فضحكت قائلة: جسدي لا يسير عليه قواعد الطب البشري، وبما أنه يستطيع الشعور بكل شيء سيكون حلًا مناسبًا.

وعندما نزلا السلم وجدا الجميع قد حضر للترحيب بهما، فاقتربت والدة آدم واحتضنتها قائلة: صغيرتي.. مبارك لكِ.. أنا سعيدة حقًا من أجلكِ.

فربّتت سارة على ظهرها قائلة: لقد اشتقت إليكِ كثيرًا.

وبعد أن حياها الجميع جلسوا في الحديقة التي زينتها سيليست وريبيكا لها، والتف الجميع في أجواء دافئة ناسين ما حدث في بداية اليوم..

كانت سارة في قمة سعادتها.. عائلة كبيرة سعيدة بها.. كل ما تريد! شعرت أن أيام وحدتها وشعورها بالخواء انتهت في لحظة، ولن تأتِ مجددًا..

بينما كان كلاوس يعلم أن إليكس ليست آخر شخص سَيسعى خلف مولود سارة، وسيكون مثل الجائزة التي سيتلهف عليها الجميع.. جشع البشر لا ينتهي، ناهيك عن عن أشباه البشر! نظر نحوها وهو يرى تلك السعادة التي أهداها لها، ويشعر بأن مسرح الحياة لن يجعل لها دورًا طويلًا...وفي المساء كانت تشعر بالإرهاق ولا تستطيع المتابعة؛ فتركت الجميع يمرح وصعدت لغرفتها، فتبعها جيمس قائلًا: طفل خارق للطبيعة.. من كان يتوقع!

فابتسمت له قائلة: كان كلاوس كريمًا بهديته لنا.

-أخبريني عن تلك المجنونة في الصباح!

-أحد شياطين نيك من الماضي، لقد تكفل بها..

-لا تبتعدي كثيرًا.. من الآن فصاعدًا حياتكِ في خطر، وحياة جنينكِ أيضًا، الجميع يرغب في حمايتكِ..

-لا تقلق، لن أبتعد!

-سنتبادل بحراسة ليلية.. تمني لي الحظ!

-هل ما زلت تعمل مع كلارك؟

-لم يكن في اليد حيلة.. ظل يبكي كالأطفال عندما رحلتي كل تلك المدة.

فضحكت قائلة: لن يكون بخير إذا استمع لك.

فضحك بضعف قائلًا: أجل.. ستكون مشكلة!

فقالت سارة حائرة: جيمس.. ماذا هناك؟

فقال بضحكة كاذبة: لا شيء.. فقط أنا.. أمم..

كان يشعر بذلك الذي يترصد لها في الغرفة، وكان خائفًا من أن تقوم بأي خطوة خاطئة؛ فأمسك يدها وسحبها بعيدًا وهمس في أذنها: هناك صحبة، سأذهب وألقي التحية!

فتحرك بسرعة خاطفة ودخل غرفتها.. لتسمع صوت طلقتين سريعتين وصوت ارتطام، فسارعت نحو الغرفة.. لتجد شابًا ملقيًا على الأرض! بينما جيمس يقف ينظر إليه بسخرية، فقالت: كيف لم أشعر به؟

فقال جيمس: حواسكِ أقرب للبشر قليلًا الآن.. كلاوس أخبر نيك بذلك ليتنبه أكثر!

فقالت بعصبية: كيف لا يخبرني؟ ومن ذلك الأحمق؟

وعندها دخل نيكلاوس وأضاء ضوء الغرفة قائلًا: لا بد أنه كان برفقة إليكس.. هل أنتِ بخير؟

فنظرت إليه قليلًا معاتبة وقالت: أجل.

فحمل جيمس الجسد قائلًا: سأفتش المكان أنا وإيان تحسبًا..

ثم قفز من الشرفة سريعًا لكيلا يلاحظ أحد، فقال نيكلاوس: لِمَ أنتِ غاضبة عليّ الآن؟

-كيف لم تخبرني أنني أصبحت أقرب للبشر ولن تكُن حواسي في صورتها الطبيعية؟ لولا أن جيمس كان يتبعني لأنني متعبة لم أكن لأدري بذلك الأحمق.. لِمَ تخفِ عني الأمر؟

-لم أشأ جعلكِ تشعرين بالضيق، كما أنني أعلم أنكِ لن تكوني بمفردك وسأكون دائمًا برفقتكِ.. كنت سأخبركِ، فقط ليس اليوم!

-لا تخفي أي أمر مهما كان.. أرجوك!

فاقترب منها واحتضنها قائلًا: أعلم أنكِ خائفة.. أحبكِ.. تعلمين أنني دائمًا أفعل..

فشدت ذراعيها عليه قائلة: وأنا كذلك..

أمضت سارة معظم وقتها تحلم باللحظة التي ستحمل طفلها بها بين ذراعيها.. وكان نيكلاوس يعتني بها دائمًا مدللًا لها، وظلّا حائرين بين الأسماء الكثيرة غير مدركين لجنس طفلهما.. كانا دائمًا في حالة تأهب لمحاولة أي شخص الوصول إليها، وكان كلاوس دائمًا يراقب الأنحاء ترقبًا...

وبعد مرور تسعة أشهر كانت سارة قلقة من عملية الولادة، وغير راغبة بأن

تتم في المشفى خوفًا على طفلها، وكان القلق مسيطرًا عليها؛ فقام نيكلاوس بإذهَان أحد الأطباء؛ ليقوم بالعملية في منزلهما بينما الجميع حاضر...

وفي منتصف اليوم كانت ولادة أول طفل يحمل جين مصاص الدماء بين جيناته قد تمت بصورة ناجحة؛ ليتحقق حلم سارة التي طالما حلمت به دون البوح به، ولكنها ما كانت تدري أنها أحضرت للحياة نوعًا فريدًا قد يسعى الكثيرون إلى محاولة الحصول عليه وعلى قوته النادرة..

كانت تنظر إلى عينه الملونة مثل أبيه، وإلى خصلات الشعر القصيرة الكستنائية مثل شعرها.. وهمست باسمه الذي اختارته مع نيكلاوس مرددة إياه داخلها بسعادة... أريوس.. بمعني الحب الأبدي.. أريوس نيكلاوس..

***

لم تكن طفولة أريوس طبيعية كباقي الأطفال.. عاش بداية طفولته في منزل نيكلاوس المنعزل، بعد أن أضاف إليه الكثير من الحواجز لمنع سهولة الوصول.. تعلم كل شيء في المنزل، وكان محاطًا من الجميع، ولكن لم يكن يتعامل مع البشر كثيرًا..

كان يرى أن الجمال في كل ما هو غير طبيعي، وكان متعلقًا بكلاوس كصديق قريب منه ويحب أن يأخذه دائمًا في رحلات طائرة.. شعر بعدم الرغبة في التعامل مع البشر، ويكفيه فقط مراقبتهم عن بعد..

إلى أن وصل إلى عامه السادس عشر.. أصر على أن يتلقى تعليمه في مدرسة خارج المنزل.. لم يكن نيكلاوس محبًا للفكرة أو مشجعًا لها، بينما سارة كانت ترى أن هذا اليوم سيأتي لا محالة، وأن جميع المحاولات لن تجدِ في إبعاده عن الجميع للأبد.. كانت ترغب لو يكن هناك أحد برفقته، ولكن كان هذا شبه مستحيل قليلًا.. إلى أن أقنعها كلاوس بأنه قادر على التجسد بأي

صورة يريدها، ويمكن أن يكون بهيئة تناسب سن أريوس؛ وبهذا لن يصبح بمفرده..

ذهبت لغرفة أريوس طارقة الباب.. لتجده يصيح قائلًا: أمي.. لن أتناول الطعام!

فضحكت بضعف قائلة: حسنًا، لا بأس.

ففتح لها الباب بعد ثوان قائلًا: حقًا لن تدلليني بعد الآن! ليس من عادتكِ تركي بلا طعام!

فربتت على رأسه قائلًا: صغيري.. لدي أخبار جيدة لك!

فنظر لها قليلًا بريبة، ثم قال: حقًا؟

فقالت مشاكسة إياه قائلة: هل بدأت في الشك بي؟ هذا مخيب للأمل نوعًا ما!

فابتسم لها قائلًا: وهل أستطيع؟

- سأبدأ في البحث عن مدرسة جيدة للالتحاق بها في أي مكان تريد، ولكن هناك شرطًا صغيرًا!

-أمي لِمَ دائمًا يكون هناك شرط.. أعدكِ بعدم افتعال المشاكل!

-ليس شرطًا مكروهًا لهذه الدرجة!

-حسنًا.. ما هو؟

-سيكون كلاوس برفقتك.. تعلم أنه يستطيع التجسد في سن أصغر، لذا ما هو رأيك؟

-في أي مكان أرغب به؟!

-في أي مكان..

فمص شفتيه للداخل وابتسم قائلًا: أريد الالتحاق بمدرسة في المدينة التي ولدتِ بها.. أريد الذهاب إلى مصر!

فنظرت له متعجبة قليلًا: لماذا؟

فأمسك يدها قائلًا: أريد أن أكون في نفس المكان، وأرى جميع الأماكن التي تهربين إليها دائمًا..

فمَسحت على خده قائلة: أنت تعلم أنني أزور البحر فقط في أيام ذكرى وفاة جدّيك.. سأفكر في الأمر مع والدك أولًا..

فاحتضنها قائلًا: أنا أحبكِ أمي.

فأحَاطته بذراعيها قائلة: وأنا أيضًا.. أحبكَ كثيرًا.

فقال مشاكسًا: ليس أكثر من أبيَّ

فضحكت وانحت مقبلة جبينه قائلة: هناك قلب لك بمفردك داخلي، وآخر لوالدك، أنت لا تتشارك معه!

فغَمغم قائلًا: لم أعد صغيرًا لأصدق ذلك!

فضحكت قائلة: تعال لتناول الفطور.. لا تجلس في غرفتك وحيدًا!

-ولكن أبي ما زال غاضبًا.. لقد عاقبني بالأمس ولم يجعلكِ تتحدثين معي منذ الأمس!

-هذا لأنك لم تستمع له وظللت تصيح فقط.. أنت تعلم أنه يحبك، لن تظل معاقبًا إذا قلتَ كلمة صغيرة له..

-هل سيكون غاضبًا اليوم أيضًا؟

-أنت تعلم أنه ليس غاضبًا بالكامل منك، هو يرغب في حمايتك فقط، وأنت تعي ذلك تمامًا الآن.

-أعلم أن هناك الكثير يسعون خلفي، ولكن أنا أريد تجربة جديدة؛ لقد مللت البقاء بالمنزل، أو الذهاب فقط لمنزل آخر لمقابلة الجميع.. أحب ذلك ولكن مللت منه!

-لهذا وافقت لك أن تدرس بالخارج ما دام كلاوس سيظل معك.. هيا لا تكن عنيدًا، وتحدث بهدوء مع والدك.

-أمي.. لِمَ ليس الجميع مثلكِ؟ أتمنى أن يكون أبي مثلكِ؟

-ولِمَ ذلك؟!

-فقط.. أنتِ حنونة للغاية، وتحاولين إسعادي دائمًا، وتتحدثين معي دائمًا طويلًا مهما كنتُ عنيدًا أو غير مطيع لكِ..

-لم لا تتذكر إذن محاسن والدك معك! أم هل نسيت أن أول الأسبوع تسللتما معًا للخارج دون أن أدري؟! هل أخبرك بالمزيد؟

فقال مندهشًا: واو.. أمي.. ألا يحدث شيء من دون معرفتك إياه.. هل اعترف لكِ أبي؟

فضحكت قائلة: دائمًا أترك الأمر وأنا أدري به.

-كيف تفعلين ذلك؟

فقال نيكلاوس وهو يضع يده على كتفها: ألم تسأم من سماع ردها بأنها والدتك؟!

فنظر له أريوس قليلًا متسائلًا، فقال: هيا تعال لتناول الفطور.. لم تتناول عشاءك البارحة!

-ألستَ غاضبًا مني؟

فضحك قائلًا: منذ متى أغضب منك طوال الوقت؟ عندما تخطئ فقط، وبعدها لا يكون هناك داعٍ للغضب.

فقال أريوس بخجل: أنا آسف.. لم أقصد الصياح بك بالأمس، فقط لم أكن أريد الرفض التام منك..

-كنت سأظل رافضًا لولا اقتراح كلاوس ... تعلم أنني أقلق عليك!

فاحتضنه أريوس قائلًا: سأتراجع عن أمنيتي.. أنا أحبك كثيرًا أبي..

فحمله قائلًا: أجل، أعلم ذلك.. هيا بنا.. أنا أتضور جوعًا!

وأثناء جلوسهم بعد الإفطار ناولت سارة كوب القهوة لنيكلاوس قائلة: علينا التحدث في أمر ما..

فنظر لها قليلًا، ثم نحو أريوس الذي يبدو قلقًا وهو يشرب من كوب عصيره، فقال: ماذا هناك؟

فتنهدت قائلة: أظن أن علينا عمل جواز سفر لكل واحد منا..

-ولِمَ ذلك؟ هل اختار مكانًا بعيدًا؟

-فقط.. امم.. يريد الذهاب إلى مصر..

فسارع أريوس قائلًا: سأذهب أولًا لمكان ولادة أمي، وبعدها أريد الدراسة في مكان ولادتك في فينيسيا.. أعلم أن المكان سيكون متغيرًا، لكن أنا حقًا أرغب بذلك!

فنظر إليه قليلًا، ثم قال: لا بأس، لقد وعدتك بأي مكان ترغب به.

فقفز أريوس قائلًا: هل أبدأ بتجهيز حقيبتي؟

فضحك نيكلاوس قائلًا: حسنًا.. سأذهب للحصول على جوازات السفر، وأجهز منزلا هناك، وسأدع والدتك تهتم بأمر المدرسة المناسبة..

فقبّل أريوس سارة قبلة خاطفة، وركض نحو غرفته قائلًا: أحبكما!

فقال نيكلاوس صائحًا: ألن أحصل على أي قبلة! أنا من سيقوم بالعمل الشاق!

فضحكت سارة وقبّلته قائلة: ها هي.. لا تتأخر، دعنا نتناول الغداء معًا.

فقبّل جبينها قائلًا: سأشتاق لكِ..

ثم سار نحو سيارته قائلًا: أحبكِ.. لن أتأخر..

فضحكت قائلة: وأنا أيضًا.

كانت تحب ذلك التشابه بينه وبين أريوس.. سارت نحو غرفة أريوس لتجده يقف وسط غرفته حائرًا، بينما يجلس كلاوس على سور الشرفة يراقبه، فقالت: مرحبًا كلاوس.. أريوس.. ماذا هناك؟

فنظر لها عابسًا: أريد اسمًا آخرًا؛ لن أستطيع الاندماج بهذه الطريقة..

فنظرت نحو كلاوس قليلًا؛ فابتسم لها رافعًا كتفيه قائلًا: لستُ صاحب

الفكرة!

فابتسمت ونظرت نحو أريوس قائلة: إذا ما نوع الاسم الذي ترغب به؟

فجلس مكانه أرضًا قائلًا: أريد اسمًا عربيًا، وأريد التحدث بالعربية أيضًا.

فاتجهت نحوه وجلست أمامه قائلة: ليس عليكَ فعل كل هذا مبدئيا، عليكَ الدراسة بلغتك الأساسية التي تتحدث بها، والعربية أو المصرية سهلة للغاية، عندما تسمعها كثيرًا ستجد نفسك تتحدث بها تدريجيًا.. صغيري ذكي للغاية ويتعلم سريعًا، لذا لا توجد مشكلة..

أنا أتفق معكَ بأن أريوس اسمًا غريبًا بعض الشيء في مصر، ولكن سأخبرك أمرًا.. عندما يأتي أحد ما من مصر على سبيل المثال يُدعى عثمان.. هل سيغير اسمه لأنه يرغب بالاندماج؟

فقال متعجبًا: هل هذا اسم عربي؟ يبدو غريبًا للغاية!

فضحكت قائلة: أجل، إنه كذلك بالنسبة لك؛ لأنك لم تعتاد على سماع تلك الأسماء، لكن إذا سمعته كثيرًا ستعتاد عليه، وسيَسهل عليك نطقه.

فقال مفكرًا: سيكون الأمر طبيعيًا مع التكرار والوقت.. حسنًا.. أظن أنني سأظل كما أنا، سيكون صعبًا أن أتذكر أي اسم آخر وأصدق أنه اسمي!

فضحكت سارة قائلة: ستحب مدينة الإسكندرية كثيرًا.. سأقوم باصطحابك إلى جميع المخابئ الخاصة بي.. سيكون الأمر ممتعًا.. ولكن عليكَ دائمًا توخي الحذر، لا يمكن لأي أحد مهما أصبح قريبًا منك أن يعلم أي شيء حولك، أو عن حقيقتي وحقيقة والدك أو عن كلاوس، هل فهمت؟ ليس هذا سرًا عاديًا يمكن لأحد معرفته، هل تعدني بذلك؟

-هل هذا سيَجعلكم في خطر؟

-بالطبع، وسيَضعكَ في خطر أنتَ أيضًا.. لا يقبل البشر أي شيء غريب عنهم.. في آخر مرة كادوا يقتلون الجميع، وليس أصدقائنا فقط، بل جميع الجنس بأكمله!

-لقد قصّ أبي عليّ ذلك.. قال بأنكِ أنقذت الجميع وكنتِ تقفين دائمًا أمام أي قاتل من مصاصي الدماء وتقضين عليه.

فضحكت قائلة: لقد كان ذلك قبل أن أعرف بقدومك، والآن أنا أبقى فقط إلى جانبك، وسأظل كذلك دائمًا..

-هل هذا العم جيمس يبدو دائمًا متجهمًا عندما تتحدثين معه عن العمل؟

فابتسمت قائلة: أمم.. أنا والعم جيمس دائمًا ما كنا نعمل معًا مع الشرطة، ونتابع الأعمال الأخرى أيضًا، أما الآن لم أعد أعمل مع الشرطة، وأتابع العمل الآخر من المنزل فقط.. وأنا سعيدة لذلك؛ لدي الكثير من الوقت لأمضِيه معك.

فمال أريوس على ساقي سارة متمددًا وقال: هل سيكون سعيدًا إذا عدتِ للعمل برفقته؟

فضحكت قائلة: لم أفكر في العودة، وهذا هو سبب تهجمه الحقيقي.. يقول بأنني لم أعد أتحدث معه كالسابق!

فقال كلاوس: كفاكَ أسئلة.. هل قررت ماذا ستأخذ من الملابس معك؟

فقال أريوس مغمغًا: دائمًا يكون العجوز قليل الصبر!

فاقترب كلاوس سريعًا في ثوان، وقبل أن يلحظ أريوس دغدغه قائلًا: هل هذا جزاء ما قمت به من أجلك!

فنهض أريوس سريعًا وركض قائلًا: لا ذنب لي إذا كنتَ عجوزًا!

فتبعه مازحًا: انتظر حتى أمسك بك..

فنهضت سارة ضاحكة وسارت نحو غرفتها، وأخرجت حاسبها الآلي وجلست في الشرفة لمتابعة أعمالها، بينما تراقب أريوس يلهو برفقة كلاوس...

وفي منتصف اليوم أعدت سارة الطاولة للغداء في الموعد المعتاد، ووقفت مفكرة في أنها ستعود مرة أخرى.. لم يخطر على بالها أن يختار أريوس مكان ولادتها، كانت سعيدة ولكن قلقة عليه.. بيئة مختلفة تمامًا، البشر دائمًا يخذلون توقعاها.. مخلوقات أنانية متعجرفة ترى نفسها أفضل الفصائل، ولكنهم يقضون على كل شيء جيد حولهم بغبائهم المعتاد.. ابتسمت في سخرية؛ فهي كانت دائمًا تنقذهم بشتى الطرق ولا تجد مقابلًا لذلك!

وأثناء شرودها احتضنها نيكلاوس من الخلف وقال: لم تظني أنني سأتأخر، أليس كذلك؟

فاستدارت إليه قائلة: دائمًا ما تفعل.

ثم قبلته.. وعندها دخل أريوس هو وكلاوس، وعندما رآهما قال متذمرًا: أمي..

فابتعدت سارة عن نيكلاوس ضاحكة، فقال: هل ما زلت تغار على والدتك مني! كان الأمر لا يحتمل عندما كنتَ رضيعًا!

فضحك كلاوس قائلًا: كنتَ تبكي كلما اقترب نيك من سارة، ولا تصمت إلا إذا تركها مبتعدًا!

فاحمر وجه أريوس قائلًا: هل كنتُ أفعل؟

فانفجر نيكلاوس ضاحكًا، ثم باغت أريوس حاملًا إياه قائلًا: أظن أن كلانا يحتاج حمامًا.

فصرخ أريوس قائلًا: لا.. لم أعد صغيرًا.. أبي أنزلني!

بينما ظل حاملًا إياه وسار نحو الحمام ضاحكًا، فقال كلاوس: هل سترحل اليوم؟

فقالت سارة حائرة: لا بد أن نيك جهز كل شيء، تعلم أنه يملك الكثير من الممتلكات في كل مكان.. ما زلت حائرة في نوع المدرسة، أريوس يسبق من في عمره في التحصيل، أنا قلقة نوعًا ما.

-لا تعقدي الأمور، أنتِ قلقة لأنه سيمضي الوقت بعيدًا عنكِ، لذا اتركيه يحظى بالقليل من المرح، لا ضرر من ذلك!

-أعلم.. فقط اعتني به جيدًا عندما يكون بينهم، أريوس لم يعد طفلًا، ولكنه ليس بمثل خبث من قد يكون في مثل سنه!

-لا تقلقي، ستمر هذه الأوقات وتضحكين على تهويلكِ للأمور.

فضحكت قائلة: أتمنى..

وبعد لحظات التف الجميع حول الطاولة لتناول الغداء.. وأثناء ذلك قال أريوس: إذا كلاوس.. أليس عليكَ جعلي أعتاد على هيئتك وأنت في حجم يناسب عمري؟

فضحك نيكلاوس قائلًا: أجل.. أليس كذلك؟

فابتسمت سارة لهم قائلة: لا تكن قاسيًا، اتركه يتناول غداءه أولًا.

فقال كلاوس: أظن أنني لن أضيع الفرصة!

وما أن قال ذلك تغيرت هيئته بهيئة صبي في عمر أريوس، وقال بصوت أقل حدة وخشونة: إذا..

فضحك أريوس قائلًا: رائع.. يبدو صوتك منطقيًا.. أمي.. ألا يبدو لطيفًا أكثر بعض الشيء؟

فضحكت سارة قائلة: أجل، إنه كذلك.

فاحمر وجه كلاوس قائلًا: قد أغير رأيي، ولا أجعلكَ تسافر مطلقًا!

فضحك أريوس قائلًا: لا تكن عجوزًا متذمرًا!

فضحك الجميع للحظات ثم عاودوا لتناول غدائهم..

كان كلاوس يحب البقاء بالقرب من سارة ومن الأسرة السعيدة التي كونتها، كان دائمًا يشعر بالدفء بينهم، وتعلق كثيرًا بأريوس؛ فهو دائمًا ما كان مسؤولًا عن رعايته الطبية عندما يصاب بالزكام أو يمرض مثل باقي البشر.. لم يكن بشريًا، ولكن ليس شيئًا آخرًا محددًا أيضًا، كان عاجزًا عن تصنيف الصبي الذي تسبب في ظهوره للجميع، ولكن دائمًا يشعر بأن هناك هالة صغيرة بدأت في النمو منذ أن كان في العاشرة، وتستمر إلى الآن.. لا تبدو ظاهرة، ولكنه كان يشعر بها..

كانت سارة تؤمن بأن أريوس مثله مثل باقي البشر، دمائه فقط هي المختلفة؛ لذا كانت تخشى كل شيء قد يعرضه للأذى.. كانت تعلم أنه سيظل يكبر أمام عينيها، بينما هي ستظل كما هي لن تنمو أو تشيخ معه.. ستظل متحجرة! رغم أن جسدها أصبح مثل البشر يتجدد دائمًا، ولكنها لا تكبر أو تشيخ قيد أنملة.. لذا كانت تقدر كل دقيقة تمضيها بالقرب منه، ولم تفضل الحصول على المزيد من الأطفال.. كان نيكلاوس دائمًا ما يخبرها أنه سيجد قدره أو حقيقته عندما يكمل عامه الثامن عشر، فكل الأساطير تقول إن أي قدرة

خفية في الجسد لا تظهر قبل أن ينضج حاملها ويتمم سن نضوجه.. كان مؤمنًا بمصير ورحلة درب مختلفة...

في اليوم التالي كان أريوس متحمسًا للغاية لركوب الطائرة لأول مرة، رغم أنه جرب الطيران عاليًا على ظهر كلاوس في كثير من الأحيان.. كان كل شيء غريبًا عليه وكان سعيدًا لذلك.. لم يلاحظ تحفظ سارة أو نيكلاوس في كل شيء، وأنهما يُراقبان كل شيء حوله لضمان سلامته.. وعندما وصلوا أخذوا طريقهم نحو المنزل الذي وفره نيكلاوس، بينما كان كلاوس قد سبقهم إلى هناك بالفعل.. كان المنزل لطيفًا لكن غير متوقع بالنسبة لسارة.. لقد كانت فيلا مطلة على البحر، قريبةً من كل الأماكن التي تهرب لها وتفضلها.. فاقتربت من نيكلاوس قائلة: حسنًا.. يبدو ذلك غير متوقعًا.. هل تحدثتَ مع جيمس قبل أن تقوم بشراء المكان؟

فضحك قائلًا: في الحقيقة لقد كان معي، كان سعيدًا نوعًا ما على غير المتوقع لأنك ستسمحين لأريوس بالدراسة والابتعاد عنكِ.

فابتسمت قائلة: تعلم أنه كان يريد ذلك، منذ فترة وهو يتحدث حول الاعتماد على النفس وما إلى ذلك.. أريوس كان صغيرًا، ولكن أظن أن الوقت مناسب الآن!

-لقد نام سريعًا.. يبدو أنه أحب غرفته الجديدة.

-لنحاول النوم نحن أيضًا؛ سيكون يومًا حافلًا غدًا.. أريوس يود الذهاب إلى كل الأماكن التي يراها في الصور.

فحملها قائلًا: سيكون لي الشرف في حملكِ إلى الفراش.. هل سأحصل على مكافأة أو ما شابه؟

فضحكت قائلة: لا.. لا أظن كذلك.

فرفع حاجبيه قائلًا: سنرى ذلك.

***

مرت الأيام سريعًا.. وكان أريوس مستمتعا بالمغامرات التي يخوضها يوميًا، والتعرف على الكثير من الشخصيات الجديدة.. كانت الأضواء مسلطة عليه نوعًا ما بسبب تفوقه الدراسي ووسامته التي تزداد مع الوقت.. وكانت طبيعته تزداد وضوحًا..

كان كلاوس هو الوحيد القادر على رؤية تلك الهالة التي تحيط به، وكان يزداد قلقًا، مصدقًا نظرية نيكلاوس حول أن كل شيء سيظهر عند نضوج أريوس...

وفي عامه الأخير كان منجذبًا إلى إحدى الفتيات في نفس فصله، وكان دائم المراقبة لها.. وفي إحدى المرات بينما كان يجلس نصف منصت للمعلم ويراقبها بينما هي تجلس منتبهة.. نكزه كلاوس قائلًا: إذا.. هل ستظل تحملق كثيرًا؟

فقال متضايقًا: أنا لا أحملق!

فقال كلاوس بخبث: إذا ماذا تفعل؟

فقال مستسلمًا قائلًا: حسنًا.. أنا أفعل.. ماذا يمكنني أن أفعل غير ذلك؟

-اذهب للتحدث إليها في فترة الاستراحة.

-ماذا؟ لا.. أمي دائمًا تتحدث حول الرحيل قريبًا.. ماذا سأقول لها؟ لقد بقي القليل قبل نهاية العام!

-لهذا عليكَ محادثتها.. ستندم على ذلك فيما بعد!

-هلا صمتّ الآن.. المعلم ينظر إلينا!

-حقًا؟! كنت أظنها من ينظر إلينا.

فالتفت سريعًا نحوها قائلًا: حقًا؟

فضحك كلاوس واضعًا يده على فمه ليخفي الصوت، بينما قال أريوس: سأقوم بقتلك حقًا.. أحمق!

فاستمر كلاوس بالضحك الصامت، بينما كان أريوس يشعر بالضيق منه..

كان متعلقًا بالفتاة لكنه يعلم أنه لا يملك فرصة للبقاء.. لن تعترض أمي على البقاء إذا أخبرتها ولكن.. كان يشعر بالخجل من أن يخبرها أنه يملك مشاعر نحوها..

دائمًا ما كان أبي يخبرني أنه وقع في الكثير من الحماقات قبل أن يقابل أمي، ولكنه امتلك حبه الأول في مثل هذا السن، وكان يشعر بأنها الكنز الخاص به.. دائمًا ما يخبره أن أمه هي دواؤه، ولكن حبه الأول كانت أول من تعلم معها أن يحب..

لم تكن أمي تتحدث كثيرًا حول حبها الأول الحقيقي غير ذلك الأحمق الذي دمر كل شيء، ولكن كلاوس أخبره أنه مات بعد وقت قصير من بعد أن أصبح برفقتها، ولم تحب أي شخص آخر بعده إلى أن دخل والده حياتها..

شرد في نظر والدته عندما جلست أول مرة برفقته على البحر، حين أخبرته أنها تعارفت وتحدثت لأول مرة لحبها الأول هنا بعد أن تركها تركض كالأطفال نحو الشاطئ، جالسة على الأحجار القريبة من المياه وهو يثق بأنها لن تؤذي نفسها، لأنها رغبت بذلك فقط..

كان يريد أن يشعر بمثل تلك المشاعر بمفرده، ويختبر كيف ستكون تأثيرها

عليه.. فقرر الاستماع إلى كلاوس والتحدث إليها..

وعندما أتت الاستراحة سار نحوها ثم وقف قليلًا قبل أن ينادي اسمها بصعوبة قليلًا قائلًا: حورية..

فالتفتت إليه متعجبة، ثم اقتربت قائلة: ماذا هناك؟

فرفع ذراعه وحك رأسه من الخلف قائلًا: في الحقيقة أرغب بالتحدث إليكِ قليلًا..

فقالت باسمة: لا بأس، يمكنكَ مناداتي كما يفعل الجميع.

-في الواقع أحب اسمك الحقيقي أكثر من إيفا.. أمي تقول دائمًا أن الاسم الحقيقي لأي شخص يكون جزء مما نكون، وهو دائمًا يبقى للنهاية.. لذا شكرًا لك، ولكن سأظل أناديكِ بحورية دائمًا.

-تبدو متعلقًا بوالدتك..

-أمي صديقة جيدة في كثير من الأوقات.. كَوني الابن الوحيد لها فليس لديها ما يشغلها كثيرًا.

فابتسمت قائلة: يبدو ذلك شيقًا.. سأحب مقابلتها في بعض الأحيان..

-هذا جيد.. ما رأيكِ في المجيء لمنزلنا؟ يمكننا إنهاء الفروض معًا.. ستكون أمي سعيدة لرؤيتك.

فشعرت بالخجل وقالت: سيكون ذلك صعبًا نوعًا ما.. نحن لسنا في أميركا.. سيكون من غير اللائق أن أذهب معك للمنزل.. الأمور لا تسير هنا بنفس الطريقة!

-وماذا عن أن نصبح صديقين؟ هل سيكون ذلك صعبًا أيضًا؟

-سيكون ذلك غريبًا.. أنت لم تصادق غير كلاوس صديقك من الخارج، ولم تكن فعليًا مع أصدقاء آخرين.. إذا لماذا ترغب في أن نصبح أصدقاء؟!

فقال متوترًا: في الحقيقة أنا معجب بكِ نوعًا ما، لذا كنت أتمنى لو أن نكون أصدقاء أو ما شابه..

فاحمر وجهها وظلت صامتة لبعض الوقت، ثم ضحكت بخجل قائلة: ولكنك لا تعلم أي شيء حولي!

فرد سريعًا: أنا أراقبكِ منذ مدة، لذا قد أكون أعرف.

فازداد وجهها حمرة وقالت: لِمَ لا تترك الأمر لبعض الوقت؟ أنا حقًا لا أحمل إجابة مناسبة!

فمص شفتيه للداخل كعادته عندما لا يريد أن يظهر رد فعله، ثم قال: حسنًا لا بأس.. سأنتظر إجابتكِ..

ثم سار مبتعدًا.. فسار كلاوس إلى جانبه وقال متسائلًا: إذا؟

فأجابه متذمرًا: وماذا تظن؟ يبدو أنها سترفض! تقول إننا لسنا بأميركا!

-هذا لأنك تريد منها مرافقتك للمنزل!

-هل كنت تتسمع إليّ؟ حقًا؟

-كنت قلقًا من أن تفسد الأمر فقط!

-لا تقلق، أنا أشاهدك دائمًا وأنت تمثل دور الفتى اللعوب مع الفتيات الأخريات..

-إذا هناك من كان يراقب عن كثب؟

ثم ضحك قائلًا: ابتهج.. لن تقُم برفضك، هي متفاجئة من تقربك منها، كما أنها معجبة بك منذ بداية الدراسة عندما رأتكَ في مباراة السلة السنة الفائتة..

-كيف علمت ذلك؟

فأخرج كلاوس هاتفه قائلًا: حسنًا.. هناك منافع من كوني فتًا لعوبًا.

فضحك أريوس قائلًا: كيف لم تخبرني من البداية؟

-أردتُ رؤية ما ستقوم به.. لقد قمت بعمل جيد لا تقلق، ستجيبك سريعًا.

-من الأفضل أن يحدث ذلك.. أخبرني مجددًا.. لِمَ عجوز مثلك يلهو مع الفتيات؟

ثم ركض سريعًا فتبعه كلاوس قائلًا: من الأفضل لك أن تعتذر عندما أمسك بك.

وبعد انتهاء اليوم الدراسي كان أريوس يمزح مع كلاوس كالعادة في طريقهما للسيارة، التي جلبتها سارة إلى أريوس في عيد ميلاده السابع عشر، ولكن كان كلاوس يقودها حتى يستطيع أريوس الحصول على رخصة قيادة..

سمع صوت حورية تناديه بشيء من الخجل؛ فالتفت نحوها؛ ليجدها ترفع يدها مودعة إياه، فابتسم لها ورفع يده لها فبادلته الابتسام، وسارعت نحو حافلة المدرسة.. فقال كلاوس: لن أقُل إني قد أخبرتك!

فضحك قائلًا: كان ذلك سريعًا.. هل تظن أن أمي ستعترض الطريق؟

فقال مفكرًا: آه.. بالطبع.. ولكن يمكنك المحاولة والتحدث معها أيضًا.

فقال منفعلًا: هل تمزح معي؟ لِمَ شجعتني للتحدث إليها إذا؟!

فابتسم كلاوس وولج إلى السيارة قائلًا: كنت ستندم على ذلك لاحقًا!

فتبعه أريوس قائلًا وهو يلقي بأغراضه بالمقعد الخلفي: وهل لن أندم الآن؟

-قد لا تدري بالأمر، لكن والدتك في مثل سنك تعلقت بأدين وكان معلمًا لها آن ذاك.. لقد كانت مصرة أنها وجدت الشخص المناسب، وظلت نادمة على أنها لم تبح بمشاعرها له في البداية، ظنًا منها أنها لن تكن قادرة على رؤيته.. وكان أول عمل لها عندما عادت بعد إجازة الصيف هو الاعتراف له وجعله يدرك مشاعرها نحوه.. لا تنس بالطبع أنها ندمت على ذلك أيضًا عندما علمت حقيقته، وأنه كان أحمقًا وأفسد حياتها...

المغزى وراء كل ذلك أنه لا مجال للعودة، ودائمًا يكون الطريق الصحيح يقع في الاتجاه الذي يتبعه قلبك، وما يحدث بعد ذلك لا يعد خطأك، بل ما يترتب على خيارات الشخص الآخر.. عليك دائمًا الإيمان بأن قلبك سيكون الضوء الوحيد داخل أي ظلمة قد تتعرض لها.

ظل أريوس صامتًا ولم يجِب، فشَّغل كلاوس المحرك وقال: هل نذهب للمنزل؟

فأدار وجهه نحو النافذة وقال حائرًا: أريد الهرب قليلًا... ما رأيك بالذهاب للشاطئ؟ ذلك المكان الذي أذهب مع أمي إليه دائمًا.

-لك ذلك.. سأبعث رسالة لسارة إذا، تعلم أنها تفزع عندما تتركها وهي لا تعلم مكانك.

- افعل كما يحلو لك.. لم أعد أصدق حقًا أن هناك من يسعى خلفي!

-احذر مما تتمنى أريوس.. قد تندم على ذلك!

وعندها وقبل أن يبعث كلاوس الرسالة اتصل نيكلاوس على هاتف أريوس،

فأجابه متعجبًا: ماذا هناك أبي؟

فقال بقلق: هل تحدثت معك والدتك اليوم؟

-لا، لقد رحلتُ في الصباح للمدرسة مع كلاوس.. كانت نائمة على الأريكة بعد أن أعدت الفطور، لذا رحلت دون إيقاظها.. ماذا حدث معها؟

-لقد رحلت مبكرًا قبل ساعات الفجر لزيارة عمك أدهم، تعلم أن الخالة رحيق لم تكن قادرة على الإنجاب، ولكنها حملت أخيرًا.. ذهبت لمساعدته في تدبر الأمر.. لم تأتِ والدتك لتظل بصحبتك، ولكني عدت ولم أجدها ولا تجيب على هاتفها!

-سأبحث عنها أنا وكلاوس في الأماكن التي تحب الذهاب لها، لا أظن أن أحدًا قادر على إلحاق الأذى بها!

-حسنًا، ابق على تواصل.. اعتنِ بنفسك، ولا تبتعد عن كلاوس!

وعندما أغلق الهاتف انتبه للطريق؛ ليجد كلاوس يقود سريعًا متفاديً السيارات بمهارة سائقي السباق، فقال: هل تعلم أين ستكون؟

-ليس حقًا، أنا فقط أتبع مصدر موجات هالتها.. شيء خاص لكونها سيدة لي نوعًا ما..

-جيد، ولكن إلى أين نتجه؟

-خارج المدينة.. لا أستطيع التحديد!

ومع مرور دقائق أخرى كان كلاوس قد خرج بالسيارة نحو الطريق السريع، ومن ثم سار في طريق وسط الرمال قائلًا: أيًا كان من أخذها فقد ابتعد بها كثيرًا.. لا أظن أنها ستدخل الصحراء وحدها!

-ولِمَ سيسع خلفها أحد؟ ألست أنا من يسعون خلفه؟!

-أريوس.. لم تعد طفلًا بعد الآن، عليكَ معرفة أنها دائمًا ما كانت في خطر للحفاظ عليك، في كل مرة تحاول الخروج وحدها سواء في أوقات حملها لك أو بعد ذلك..

وبعد ساعات من القيادة داخل الصحراء وصلا لمنزل آمن منعزل، وعندما سمعا صراخ سارة ترجل كلاوس سريعًا متحولًا لهيئته البالغة قائلًا: لا تترك السيارة!

واقتحم المنزل سريعًا.. وسرعان ما سمع أريوس صوت صراخ وسقوط ترجل سريعًا وسارع بالدخول للمنزل.. كان خائفًا، وكلمات كلاوس لا تغادر أذنيه.. دائمًا ما كانت تعاني دون إعلامي، دائمًا تقوم بالحماية.. لقد حان الآن وقت أن تتقبل حمايتي..

وجد نفسه قادرًا على شم رائحة عطرها بوضوح، ذلك الذي جلبه لها عندما أتوا أول مرة إلى تلك المدينة.. ركض سريعًا تاركًا القتال لكلاوس،

لم يصدق أنه قادر على سماع نبض قلبها المتوتر! أنصت قليلًا؛ ليسمع صوت أنفاسها الثقيلة.. تحرك ليجد نفسه واقف أمامها في ثوان! أخذ ينظر نحو المكان الذي كان يقف به في تعجب، لقد كان يظن أنه ولد بشري كما تخبره والدته دائمًا! التفت نحوها ليجدها تنظر نحوه بعيون مرهقة قلقة؛ فاقترب منها سريعًا وأزال الشريط اللاصق عن فمها قائلًا: سَأقوم أنا وكلاوس بإخراجكِ من هنا!

فقالت وهي تلتقط أنفاسها: هل أنتَ بخير؟ كيف أتيت إلى هنا؟

فابتسم لها وهو يساعدها في فك قيد يدها، وقال: لم يجدكِ أبي في المنزل، كلاوس استطاع الوصول إليكِ.

وعندما فك قيدها احتضنته سريعًا قائلة: أنا سعيدة لأنكَ بخير.

فضمها قائلًا: أنا أيضًا سعيد لأنكِ بخير.

شعر بجسدها يصبح ثقيلًا بين ذراعيه، فمسح على ظهرها قائلًا: أمي.. ماذا هناك؟

وعندما وجدها لا تجيب.. أنصت ليجد قلبها ينبض بضعف؛ فأسندها لظهر الكرسي وفك قيد قدميها سريعًا وهو يحاول الإنصات بحذر ليتأكد بأنها لن تفارقه؛ ليجد نفسه يسمع صوت نبض سريع آخر قادمًا منها، فنظر باندهاش لها وحاول حملها ليجد نفسه قادرًا على حملها بسهولة، وسار بها خارج الغرفة سريعًا متسللًا..

وجد كلاوس يقف في انتظاره قائلًا: لقد فاتكَ كل المرح هنا!

فابتسم له قائلًا: أمي فقدت الوعي حالما دخلت لها!

-والدتك ليست من النوع الذي يفقد الوعي.. لا بد أنه تأثير المخدر، رائحته تفوح منها.

-هل سيكون ذلك سيئًا إذا كانت تحمل جنينًا؟

فنظر له كلاوس متفاجئًا وقال: كيف لم ألاحظ؟ بل كيف علمت أنت؟!

-لا أظن أن الوقت مناسب لذلك

فأخذ سارة منه وقال: قد تفوتك الألعاب النارية، لذا.. تمسك جيدًا

وعندها تحول كلاوس إلى هيئته الحقيقية حاملًا سارة وأريوس داخل كرة من طاقته، بينما اشتعل المنزل من لهيب أجنحته، فقال أريوس: ألن ينقذ أحدهم السيارة!

-دعها تحترق، أحضرت لك سارة واحدة أخرى لتكون جديدة عند قيادتها لعيد ميلادك غدًا.

-هل أفسدت للتو مفاجأة أمي لعيد ميلادي؟

فقال وهو يهبط متخفيًا في باحة المنزل: أظن أن عليك القلق حول أشياء أخرى!

ثم تحول لهيئته المتجسدة سريعًا، وحمل سارة للداخل وأنامها على الأريكة قائلًا: ألن تتصل بأبيك؟

-كيف سأفسر له أنني لم أتصل به قبل الذهاب؟ ولا سيما أنه يترجل من سيارته الآن!

-دع الأمر لي..

وعندها دخل نيكلاوس متجهمًا قلقًا حائرًا، وعندما لاحظ أن أريوس يقف إلى جانب الأريكة، وسارة نائمة عليها..

اتجه سريعًا نحوه قائلًا: ماذا حدث؟ هل هي بخير؟

فقال كلاوس سريعًا: لقد تم اختطافها.. لقد ذهبتُ لنجدتها واصطحبت أريوس معي.. في الحقيقة لقد ساعدني هناك قليلًا أيضًا.

فقال متفاجئًا: ماذا؟ كيف تغلب عليها أحد في الأساس؟!

فقال أريوس: أعتقد أن أمي كانت ضعيفة كما حدث معها عندما كنتُ جنينًا.

شعر نيكلاوس بالارتباك قليلًا، ونظر نحو أريوس.. ثم لاحظ هالة شبيهة بهالة سارة حوله ثائرة وقلقة، فابتسم قائلًا: هل أنت من اكتشف ذلك؟

-في الحقيقة لست أدري، هناك الكثير من الأشياء حدثت في ذلك المنزل!

فاقترب نيكلاوس من أريوس وربت على رأسه قائلًا: ستكون فخورة بكَ، لا داع للخوف.. أنا فخور بكَ أيضًا.

ثم داعبه محركًا يده سريعًا مفسدًا تسريحته قائلًا: ستكون أخًا أكبرًا إذا!

فقال أريوس متذمرًا: أبي.. لمرة واحدة لا تفسد شعري!

فضحك واقترب نحو سارة مقبلًا جبينها، واستخدم طاقته لإزالة تأثير المخدر عنها.. ليجدها تفتح عينيها مرهقة فابتسم قائلًا: كيف حال جميلتي الآن؟

فابتسمت له ونظرت نحو أريوس قائلة: يبدو أن فارسنا الصغير قام بعمل جيد اليوم!

فقال كلاوس: ألا أحصل على المديح أولًا أبدًا! فاقترب أريوس منه وقال: هل أفسد لك تسريحة شعرك؟ أبي يمدحني دائمًا بهذه الطريقة!

فضحك كلاوس قائلًا: يبدو أن نظرية نيك هي الصحيحة في النهاية.

فاعتَدلت سارة جالسة: هل تصرف أريوس بأي طريقة خارجة عن الطبيعة؟

فقال أريوس: في الحقيقة كنت قلقًا وخائفًا؛ لذا دخلت المنزل لأبحث عنكِ.. لأجد نفسي أستطيع شم عطرك، وبعدها استطعت سماع نبضك ونبض ذلك الصغير أيضًا.. وحملتكِ خارجًا.. لم أكن أتوقع أنني أستطيع فعل كل ذلك!

فقالت سارة متسائلة: عطري.. هل تقصد رائحة الدماء؟ ونبض أي صغير؟

فقال أريوس: لا.. رائحة العطر الذي تضعينه دومًا بعد أن أحضرته لكِ...

وأمي.. أعتقد أنني سأكون أخًا أكبرًا!

فنظرت سارة إليهم قليلًا مندهشة، ثم وضعت يدها على معدتها قائلة: حقًا؟!

فاقترب نيكلاوس منها وجلس محيطًا إياها بذراعه قائلًا: سيكون عليكِ الحذر أكثر من الآن وصاعدًا..

فضحكت قائلة: أظن ذلك..

فقال أريوس: سأذهب للحصول على حمام ساخن.. سأنام قليلًا.. لذا تناولا الغداء دوني.

ثم سارع بالذهاب إلى غرفته..

كانت سارة تشعر بأن هناك شيئًا ما يجري معه؛ فتركته يذهب، وقالت: أظن أن عليّ الاستحمام أنا أيضًا.

فحملها نيكلاوس قائلًا: هل أنضم إليكِ؟

فضحكت قائلة: كفاكَ لهوًا.. هل رحيق وأدهم بخير؟

فسار بها نحو الدرج وقال: سيكون عليها ملازمة الفراش قليلًا كيلا تفقده كالسابق، وستكون بخير.. أخوها تميم ووالدها ذهبا للبقاء معها، وليديا تعتني بها.. تعلمين أنها مفتونة بتميم.

فضحكت قائلة: أجل، دائمًا ما تتحدث عنه، أرجو ألا يظل صعب المراس معها!

-تعلمين أنها تحب التحدي.. لن يطُل الوقت الآن..

-لن أتأخر.. أطلب لنا الغداء؛ لم أجد وقتًا اليوم!

-سأقوم بذلك بعد قليل.. أنا أشتاق إليكِ.. لا تكوني كذلك!

-لا تكن أنتَ مدللًا.. أرغب بالتحدث قليلًا مع أريوس؛ لا يبدو أنه سينام كما قال، هناك خطب ما!

فأنزلها لتقف قائلًا: سأحاول أن أكون صبورًا.

فضحكت وهي تدخل للحمام وأغلقته قائلة: سيكون ذلك أفضل..

فسار نحو غرفة كلاوس؛ ليجده ترك بابها مفتوحًا، ويجلس على حافة الشرفة، فقال مازحًا: لا تختبر قوة تحملي، دائمًا أجد دفعك شيئًا مغريًا!

فالتفت كلاوس إليه قائلًا: تعلم أنني لن أمُت في كافة الحالات.. ماذا هناك؟

فقز جالسًا إلى جواره قائلًا: شكرًا لك.. دائمًا ما تعتني بها وبأريوس.

-تعلم أنني أفعل ذلك لأنني أريد.

-أعلم.. ماذا يجرى مع أريوس؟ سارة تشعر بأنه ليس بخير!

-لا تضخم الأمور، إنه بخير.. يفرط في التفكير مثلك فقط، ويحلل كل شيء مثلها..

-هل شعرت مثلي؟ أم أنني الوحيد الذي يرى سارة غير سعيدة بحملها؟

-أنتَ تعلم أنها قلقة طوال الوقت.. كانت دائمًا تخبرني أنها حذرة عندما أتحدث معها حول الأمر، لا بد أنها تشعر بالصدمة!

-هل كانت غير راغبة في الإنجاب مجددًا؟ كيف لم تخبرني بالأمر؟

-كانت ترى أنها لا يحق لها ذلك؛ لذا أخفت الأمر.. كانت ترى أنكَ لن تمانع في الحصول على المزيد، ولكنها كانت خائفة من أن يموت أمامها، بينما هي ستظل خالدة.. الأمر معقد بالنسبة لها قليلًا..

-كيف تقوم بإخبارك ولا تخبرني أنا؟ ألا تجد أنني أستطيع تفهمها؟!

-لا، أنا تسللت داخل عقلها، لم تخبرني بأي شيء بمفردها.. تعلم أنها لا تستطيع حماية عقلها مني، ولا أحد منكم يستطيع.. لا تثور لأجل أمر كهذا وحاول أن تبدد لها ما تخاف منه..

كان أريوس يجلس في غرفته، وقد سمع ما قاله كلاوس.. نظر نحو يده قليلًا.. تلك الهالة غير المرئية تجعله يفقد صوابه، شعر بأنها تنتزع كل ما يشعر به وتجعله عاريًا.. أغلق يده.. شد الغطاء ليجبر نفسه على النوم.. ليسمع صوت نبض سارة القلق قبل أن تطرق الباب؛ فنهض ووقف خلف الباب منتظرًا إياها؛ ليجد نيكلاوس يقول: علينا التحدث قليلًا..

شعر بها تزداد قلقًا قبل أن تقول: لا بأس، سأطمئن على أريوس فقط.. لا تكن متعجلًا..

كان يشعر بغضب والده وألمه بكل وضوح، كأنه يراه! مما جعله يفتح الباب قائلًا: هل ستبقيان أمام الباب طوال اليوم؟

فابتسم نيكلاوس ابتسامة كاذبة إليه قائلًا: والدتكَ تريد التحدث إليك قليلًا.. سأذهب لأطلب لنا الغداء، لا تنم قبل تناوله!

ثم ذهب سريعًا..

نظر أريوس نحو سارة ليجدها تنظر إليه بصمت كعادتها عندما تود التحدث إليه.. لم يكن يعي أنها تكون قلقة أو مترددة بهذه الطريقة.. فقطعت

الصمت السائد قائلة: هل يمكنني الدخول؟

فأمسك يدها قائلًا وهو يسحبها برفق للداخل: ماذا هناك أمي؟

فجلست إلى جواره قائلة: تعلم أنني دائمًا إلى جانبك، أليس كذلك؟ ليس لأن حياتك ثمينة للغاية بالنسبة لي، بل أيضًا لأنك الجزء الوحيد الذي يوجد مني في هذا العالم!

-أمي.. سيكون لديكِ مولود آخر.. لذا لا تقولي ذلك!

-أعلم، ولكن لا يساورني شعور جيد بالنسبة للأمر.. قد تتغير بعض الأمور ولكن لا تتخيل أنني قد أهملك أو أن أبتعد عنك!

-لِمَ تقولين هذا؟

-هناك الكثير من المخاوف داخلي، أريد أن أشعر بأن كل شيء سيكون بخير معك... أتذكر أول مرة رأيت بها هالتي كانت ثائرة وغاضبة لأن أدين سرق حياتي، ظللتُ حبيسة الغرفة أبكي كأنني لم أبكِ من قبل.. وكنت أرفض حقيقتي وأرى أنني وحش لا يستحق الحياة.. كانت طبيعتي وطبيعة ما يقبع داخلي عكس ما أنا عليه، وعذبت نفسي كثيرًا لأجل ذلك.. كان في البداية صعبًا للغاية، واضطر جيمس إلى الدخول إلى عقلي ومحاولة تهدئتي مستخدمًا عمرو.. كان مرساتي آن ذاك..

ما أحاول قوله من كل هذا أنني لم أتمكن من النجاة بمفردي، وبعد ذلك تتدبر أمري.. لذا لا تحتفظ بكل شيء داخلك، وتحدث إليّ كلما رغبت في ذلك، تعلم أنني لا أمل منك أبدًا..

كان أريوس يشعر بكل شيء.. كل الآلام التي مرت بها.. كل حزنها وكل قلقها الآن عليه.. كان جديدًا عليه أن يشعر بكل شيء بهذه الطريقة؛ فنظر نحوها

قليلًا، ثم قال: أمي.. إذا كانت هناك مرساة لي في هذا العالم فلا يوجد غيركِ.. كما أنني لن أذهب بعيدًا أو ما شابه، سأقول لكِ كل شيء بالطبع.. وفي الحقيقة لقد قمتُ بالاعتراف اليوم لفتاة أنا معجب بها، كلاوس قام بتشجيعي.. أنا لا أفهم لِمَ أشعر بذلك الثقل داخل قلبي!

فابتسمت له ومسحت على رأسه قائلة: أشعر أن الوقت مر سريعًا.. كيف ستتم الثامنة عشر في الغد... صغيري.. سأخبركَ سرًا صغيرًا.. الحب يجلب في العادة الألم والضيق، ولكنك تكون سعيدًا لذلك؛ لأنك تعلم بأن من تحب سيكون إلى جانبك، إذا كان القدر حليفًا لك..

أنتَ قلق من رفضها لك، وتعلم بأنها قد ترفض فقط بسبب التقاليد والعادات السائدة هنا، ولكن لا تكن عجولًا.. ليس الحب الحقيقي الذي قد تجده أولًا، أو ما قد تظن أنه جيد بما يكفي.. قد يأتي فيما بعد، وقد يكون حقيقيًا أكثر من أي شيء آخر.. لن أخبرك أن تبتعد عنها، اجعلها تشعر بأنك لن تفطر قلبها حالما تقترب منك.. كن صديقها أولًا، وتعلم أن تنظر لتلك التفاصيل التي قد تكون فارقة..

كان أريوس سعيدًا من كلمات سارة له، شعر بأن كل شيء أصبح واضحًا، وشعر بأن تلك الهالة أو ما يقبع داخله يساعده على فهم كل شيء بالشعور بها.. لم يكن يظن أن والدته قد تحوي داخلها كل هذه المشاعر المتناقضة، التي قد تظهر أكثر مما تخفي داخلها.. فقال وهو يبتسم ابتسامة واسعة لا يعرف مصدرها: تُدعى حورية.. ودائمًا تجلس في المقعد الموازي للمقعد الذي أمامي.. كان شعرها طويلًا للغاية، وقامت بقصّه فجأة بعد نصف العام.. هادئة قليلًا غير باقي الفتيات.. أخبرني كلاوس أنها معجبة بي منذ العام الماضي أو ما شابه، ولكنها لم تظهر ذلك كأي فتاة أخرى تحاول التقرب مني.. هناك شيء ما بها.

فأكملت سارة قائلة: شيئًا مميزًا... أليس كذلك؟

فضحك قائلًا: أجل، هذا هو.. أنا أراقبها من بعيد فقط، لم أتحدث معها مسبقًا غير اليوم.. لقد ودعتني اليوم بعد المدرسة بإشارة من يدها، ولكن لا أعلم لِمَ أنا حائر في أمرها!

فقالت سارة ضاحكة: يبدو أن كلاوس على حق، وأنها كانت خجلة من أن تحدثك بنفسها.. لذا تحاول لعب دور صعبة المراس..

وعندها دخل كلاوس الغرفة طارقًا الباب المفتوح: نيك طلب الطعام، وقد وصل بالأسفل.

شعر أريوس بتوتر سارة من أن أباه لم يناديها أو يخبرها هو بالأمر، وبابتسامتها الكاذبة وهي تخبره بأن يأتي..

وعندما نزل بصحبتها وجد أباه منجرفًا في غضبه، بينما أعد الطاولة وجلس مكانه منتظرًا.. نظر نحو أمه؛ ليجدها تنظر بريبة لكل شيء.. لتحول الكذب بمزاحها قائلًا: هل ستبدأ تدليلي من الآن؟

فنظر نيكلاوس لها وقال: على ما يبدو.

كانت الوجبة ثقيلة على أريوس برغم أنها وجبته المفضلة، وهو يشعر بتلك السكاكين تذبح والدته من الداخل، بينما يتجاهلها والده ويتعامل معها بضيق.. كان يرى شبح دموع تحاول جاهدة عدم الوصول إلى جفونها، وهي لا تعلم ما الخطب وراء كل ذلك..

فلكم أريوس الطاولة قائلًا: أبي.. هذا يكفي، ليس عليكَ تعذيبها بهذه الطريقة!

فنظر نيكلاوس بغضب نحو أريوس وقال: لا تتدخل.. أنهي طعامك وحول إنهاء فروضك بعدها!

فنهض أريوس غاضبًا وقال: لا أشعر بالجوع على أية حال!

فقال نيكلاوس آمرًا: عُد إلى الطاولة وحاول إنهاء طعامك أولًا!

فأمسكت سارة يد أريوس ونظرت إليه قائلة: لا تفعل.. أنا بخير لا تقلق، أنهي طعامك..

فسحب يده سريعًا قائلًا: لا، لستِ بخير، أنا أعلم ما يجري جيدًا، أنا أشعر بكل شيء، كل ما تشعرون به أشعر به دفعة واحدة، لن أسمح لكِ بالكذب عليّ!

فتحررت دموع سارة ونهضت قائلة: سأذهب للحمام.. أشعر بالدوار، سأغسل وجهي..

وقبل أن تغادر الغرفة قال نيكلاوس ثائرًا: لن يغادر أحد الطاولة.. وانهوا تلك الوجبة الملعونة!!

نظرت سارة نحوه بصدمة لجفائه ونزلت دموعها سريعًا، لم تتحمل أن تشعر بالألم وتجعل أريوس يعاني معها؛ فسارت سريعًا خارج الغرفة..

فقال أريوس: هل أنتَ سعيد الآن؟ لقد جرحتها كثيرًا دون طائل.. لِمَ تلُم خوفها! كيف لم تتدارك الأمر؟! أنا في الثامنة عشر من عمري.. كيف لم تلحظ طوال هذا الوقت خوفها؟!

ثم ركض سريعًا نحو غرفتها ليجدها تبكي بشدة وهي تكتم كل شيء، وبالكاد يظهر صوت رغم شدته.. حاول فتح الباب ليجده موصدًا؛ فجلس أمام الغرفة قائلًا: أمي.. أعلم أنكِ تبكين بالداخل.. لن أذهب قبل رؤيتكِ أولًا.. سأظل أمام الغرفة..

وفي ذلك الوقت كان نيكلاوس قد غادر المنزل وهو لا يستطيع التغلب على

غضبه...

كان كلاوس يفضل البقاء خارجًا، وكان يرى أن حديثه دائمًا يربك الأمور.. جلس في غرفته نادمًا على حديثه، كان يظن بأنه سيكون ناضجًا ولن يغضب لنفسه فقط...

ظلت سارة كعادتها تبكي إلى أن جافاها النوم، بينما ظل أريوس جالسًا أمام الغرفة.. لم يشأ الذهاب، وظل يستمع إلى أنفاسها الثقيلة المتقطعة وهي نائمة، كان يرى ذلك غير طبيعي! ظل يشعر بالقلق والغضب من والده.. كيف يرحل ويتركها بهذه الطريقة!

وبعد مرور بعض الوقت جفل أريوس على صوت أبيه وهو يدخل المنزل ويحدث جلبة كبيرة؛ فذهب ليجده ثملًا وتفوح رائحة الشراب منه.. نظر إليه قليلًا ثم ساعده على الجلوس على الأريكة قائلًا: كيف أصبحتَ بهذه الفوضى؟ أبي..

فنظر نيكلاوس إليه قائلًا: دائمًا ما أجدُكَ تشبه والدتك، أنا سعيد لذلك..

-أنتَ تحبها.. إذا لِمَ تفعل بها كل ذلك؟

-لا أصدق أنها ما زالت تريد البقاء وحدها داخل أي شيء يزعجها.. دائمًا أخبرها أن تبوح لي بكل شيء ولكنها لا تفعل!

-بل أنا لا أصدق أنك لم تكتشف بعد كيف تجعلها لا تخفي أي شيء.. أبي.. دائمًا ما تقول إنني أشبه أمي في كل شيء، ولكنك لا تعلم أنها تعلم كيف تجعلني أخبرها بكل شيء بطريقتها.. لم أر أمي من قبل تبكي بهذه الطريقة، هل ستتركها هكذا؟

-أنا غاضب منها قليلًا... لقد كانت أنانية في حكمها، ولم تخبرني بأنها لا تريد

الإنجاب مجددًا!

-أنت تعلم أنها ترغب بذلك، ولكنها خائفة.. لم تكن تصدق أنني سأكون بخير وأقف عن النمو يومًا ما.. ماذا كنت ستفعل إذا كنت محلها وتراني بشريًا وأنت لا تستطيع أن تكبر معي، لأشيخ وحدي وتبقى وحيدًا في النهاية؟!

-ولكنكَ لستَ بشريًا.. أنت تعلم ذلك جيدًا!

-أعلم، ولكن أمي لم تصدق ذلك، أليس كذلك؟ لقد رأيتها وهي سعيدة أنك كنت على حق اليوم..

-إذن؟!

فقال أريوس متذمرًا: هيا أبي، لا تكن عنيدًا! تحدث معها!

فربت نيكلاوس على رأس أريوس قائلًا: لقد أصبحتَ رجلًا يعتمد عليه.. أنا فخور بك!

ثم نهض وسار بغير اتزان نحو غرفتهما، وتبعه أريوس مترقبًا..

حاول فتح الباب ليجده موصدًا، فطرق الباب قائلًا: عزيزتي.. هيا... افتحي الباب!

ثم أخذ يطرق مجددًا، ففتحت سارة الباب وتركته يدخل، ثم غادرت الغرفة وسارت نحو غرفة أريوس دون أن تدري أنه يقف يراقبها.. فطرقت الباب المفتوح.. فقال أريوس: ماذا هناك؟

فاستدارت إليه ونظرت إليه قليلًا، ثم جاهدت للابتسام سريعًا قائلة: كنت أطمئن عليكَ فقط..

فاقترب إليها بينما ينظر نحو باب غرفتها؛ ليجد أباه يقف ناظرًا لها.. كانت في

حالة فوضى.. عيونها حمراء من البكاء، وآثار الدموع جافة على وجهها.. ثم احتضنها قائلًا: أنا بخير.. قلق بشأنكِ فقط!

فضمته قائلة: أنا بخير، لا بأس.. هل أخذتَ قسطًا من الراحة وأنهيت فروضك؟

فابتعد قليلًا لينظر لوجهها قائلًا: حسنًا.. لنتفق على شيء ما أولًا.. لقد أصبح ابنك المدلل يملك حاسة سادسة خارقة للطبيعة؛ لذا لا تحاولي خداعي.. ثانيًا.. لن أذهب للمدرسة غدًا، لذا سأهتم بكل شيء فيما بعد.. ثالثًا.. أرجوكِ تحدثي إلى أبي..

فقبلت جبينه قائلة: متي كبرت بهذه السرعة؟ أنا جائعة، هل تتناول العشاء معي؟ أمم.. هل أطلب لنا البيتزا؟ لم تتناول طعامك جيدًا!

فأمسك يدها قائلًا: أمي.. هل تحاولين الهروب؟

فاقترب منها نيكلاوس وحملها سريعًا قبل أن تحاول منعه قائلًا: اترك الأمر لي..

فقالت سارة: أنزلني الآن!

فشد يده عليها ليمنعها من محاولة النزول وسار بها نحو الغرفة هامسًا: لا تغضبي مني.. أنا آسف للغاية.. تعرفين كم أكون أحمقًا وأنا فاقد لأعصابي.. لا تكوني حزينة..

ثم أجلسها على الفراش، وأخذ كوب المياه وبلل يده ومسح خدها قائلًا: لم أكن قادرًا على سماع صوت بكائكِ.. لذا رحلت لكي تفرغي كل ما بداخلكِ..

ثم مسح خدها الآخر: لا تظلي صامتة.. قولي شيئًا..

فظلت صامتة قليلًا، ثم قالت: أرغب في البقاء بمفردي قليلًا، لذا سأذهب للغرفة الأخرى..

فسحب يدها نحوه قائلًا: لماذا؟ هل تكرهين وجودي بهذه الدرجة؟

ثم قبل يدها قائلًا: لن أستطيع البقاء وحدي.. كيف ستتركينني وحيدًا؟

نظرت إليه قليلًا، ثم قالت: أنت غبي للغاية.. لا أكرهك فقط.. أنا...

فابتسم وقبل جنينها قائلًا: أعلم.. لقد ارتكبت خطأً جسيمًا.. هل سأظل معاقبًا للأبد؟ ألن يقُم قلبكِ بمسامحة حماقتي؟

فحاولت منع نفسها من الابتسام وظلت صامتة.. فقبلها قائلًا: لا تكوني مدللة.. هيا أريني ابتسامتك..

فدفعته برفق ونهضت قائلة: أشعر بالجوع!

فضحك قائلًا: هل ستهربين مني حقًا؟

فقالت بدلال: أحدهم لم يجعلني أتناول غدائي.

فسحبها نحوه قائلًا: كيف سأتحمل كل هذا؟ تريدين مني أن أفقد صوابي وأجن لدلالكِ!

فضحكت قائلة: وهل ستفعل؟

فمسح على شعرها قائلًا: لو كان ذلك سيجعلكِ تضحكين كما تفعلين الآن.

-لا تقم بذلك مجددًا.... لا تحوّل غضبك عليّ هكذا!

-هل لا ترغبين حقًا في الإنجاب مرة أخرى وتعد هذه المرة خطأً؟

-وكيف وصلت إلى هذه الاستنتاجات؟

-تحدثت مع كلاوس قليلًا وأخبرني بذلك.. لقد تسلل لعقلكِ من قبل.

-وقبل أن تتحدث إليّ أو حتى تفهم مني أولًا تصب غضبك كالحمم عليّ بكل سهولة!

فأجلسها إلى جواره قائلًا: وماذا كنت سأفعل غير ذلك! ألن تكوني غاضبة لو أخفيت كل شيء عنكِ؟!

فتنهدت قائلة: أنا طوال الوقت أتحدث معك حول أريوس.. أخبرك كيف يستبد بي القلق والخوف طوال الوقت، وتخبرني ألا أضخم الأمر.. كيف ستتفهم قراري إذا.. لن أخبرك أنك تفهم الأمر بطريقة خاطئة، ولكن كيف يسعني الخوف والاستمرار في نفس الوقت!

أنا سعيدة بكلامك حول أريوس، ولكن هل تجزم بأنه لن يكون مثل رحيق وسيموت أمامي! أدهم في حالة فوضي دائمًا لأنه لا يعلم إلى متي ستظل معه، وهي كالمجنونة تريد أن تلد طفلًا ليكون معه جزءاً منها إذا فارقته..

يمكنه أن يكون استثنائيًا فريدًا، ولكن هل أنت متأكد من أن يكون خالدًا؟ أجبني.. هل أنت متأكد مما قد يحدث؟ لا بأس، لننجب الكثير من الأبناء، وهيا بنا نشاهدهم أمامنا يموتون واحدًا تلو الآخر.. كلاوس أخبرني أن متوسط العمر الذي قد يقف عنده أريوس إذا كان خالدًا هو الخامسة والعشرون، أو أكثر مثله على أقل تقدير، أو أي كائن خالد مثله..

سأظل خائفة، سأظل أتساءل، وسأبقى حائرة إلى أن يحين ذلك الوقت.. ذلك الوقت الذي يتقدم فيه بالعمر، الذي يكون فيه جامدًا مثلي ومثلك ويظل إلى جانبي إلى الأبد.. لقد أخذتُ قراري كأم، وليس كزوجة لك؛ لذا حاولت جاهدة التماسك إلى ذلك الحين، وبعدها لدي الأبدية لإنجاب

المزيد..

-إذن.. لِمَ لم تخبريني صراحةً كما فعلتي الآن؟ لِمَ لم تهربي إليّ كما أخبرك دائمًا؟ احتفظت بكل ذلك داخلك، ولم تخبريني بكل هذا بعد أن اكتشفه بمفردي!

-لأنكَ لم تترك لي فرصة لذلك.. طوال الوقت تحاول إخباري أن كل شيء سيكون بخير فقط بكل بساطة.. أردتَ مني طرد كل شيء دون محاولة التفكير فيما أحاول أن أقوله لك.. أول شيء قمت به غضبت وأخذتَ تُسيء معاملتي!

-هذا لأني لم أفكر في كل ذلك، لم أكن أتوقع كل هذا.. لا تكوني حزينة.. أنا أحبكِ كثيرًا..

فمالت على كتفه قائلة: وأنا أيضًا.. وأعتذر لأنني أخفيت كل ذلك.

فأحاطها بذراعه قائلًا: إذن.. هل نذهب لتناول العشاء بالخارج؟

فضحكت بضعف قائلة: هل ما زلت تتذكر؟ سأذهب لأرى أريوس..

وقبل أن تخرج من الغرفة التفتت إليه قائلة: افعل أي شيء لإزالة رائحة الشراب عنك، وتذكر بأنك وعدتني بالبقاء بعيدًا عنه للأبد.. لن أتسامح في المرة القادمة!

فقال مازحًا: كما ترغب سيدي الرئيس.

كان أريوس ينصت لهما طوال الوقت.. أحب أنهما قد تفاهما في النهاية، ولكنه شعر بمعاناة والدته التي تخفيها عنه.. لديها الحق في كل كلمة تقولها.. أحب أنه شيء ثمين لها، وأن أبيه يمثل كل ما تحتاجه للتماسك.. تمنى أن يكون قادرًا على البقاء معها للنهاية..

وظل متوترًا من الرغبة التي شعر بها داخلها من رغبة الموت إذا لم يظل معها.. هل حقًا هي رغبة حقيقية؟ أم رغبة فقط ولن تكون واقعًا يومًا!

انتظرها لتطرق الباب.. ليجد هاتفه يرن على غير العادة! نظر للساعة ليجدها قاربت منتصف الليل.. كان يعلم أن أمه تنتظر أن ينهي مكالمته أولًا.. فأجاب مستفهمًا: من معي؟

جعله الصوت الذي صدر يتجمد مكانه من المفاجأة؛ فقالت حورية متعجبة: مرحبًا.. هل ما زلتَ معي؟

فحرر أنفاسه وقال: أجل.. بالطبع.. كيف حالكِ؟

تعجب من أنه قادر على سماع قلبها ينبض سريعًا، وبأنفاسها ترسم ابتسامة.. شعر أنه ممتن لتلك الطاقة أيًا كانت ما تفعل.. فأجابته: بخير.. هل ستأتي بالغد؟

فلم يجب على الفور، فضحكت ساخرة من نفسها قائلة: بالطبع ستفعل.. كم أنا حمقاء!

فقال سريعًا: في الحقيقة لن أفعل.. سأمضي الغد في المنزل.

-هذه سابقة من نوعها.. لم تتغيب من قبل!

ابتسم لذلك وشعر بسعادة غريبة، ثم قال: سأكون أخًا أكبر قريبًا؛ أردت الاحتفال مع أمي بالغد.. في الحقيقة سأعد لها حفلًا مفاجئًا.. يمكنكِ المجيء بالغد.. سأبعث لكِ دعوة في الصباح.. سيكون هناك الكثير من الأصدقاء هنا.

-أصدقاء من المدرسة؟!

-لا، أصدقائنا من الخارج، وبالطبع عماتي المجنونات، لذا لن يكون هناك مانع من حضوركِ.

-سأحدث والدتي بالأمر... أين تسكن؟

-سأبعث لكِ العنوان في الدعوة... ستكون بعد المدرسة، لذا قد لا تمانع والدتك.

-حسنًا.. مبارك لك.

فضحك قائلًا: هل لديكِ أشقاء؟

-شقيق أكبر يمثل العذاب الأبدي لي.. يضيق الخناق عليّ دائمًا!

-لا بد أنه يسعى لحمايتك، وخاصة من فتى مثلي!

فضحكت قائلة: قد يضحك إذا سمعك تتحدث بهذه الطريقة.. فهو يقولها بطريقة شبيهة.

-لن ألُمه إذا امتلكت شقيقة بجمالكِ، قد أعين نفسي لها حارسًا بدوام كامل!

شعر بها تبتسم سعيدة فأحب ذلك، وقال: يبدو أن أمي ترغب بمحادثتي؛ لذا سأغلق الآن.. سأقوم بالاتصال بكِ مجددًا.

وعندها فتحت سارة الباب يرتسم على وجهها ابتسامة كبيرة، وقالت: ألن تخبرها أن الغد عيد ميلادك؟

فرفع كتفيه باسمًا وقال: ولكنني سأحتفل بكِ في الغد.. الغد سيكون محوره أمي العزيزة التي ستجعل رضيعًا ينافسني.. أنا أغار من الآن.. ولكن أمي.. أنا حقًا أرغب بأن تكون فتاة مثلكِ تمامًا، لا أحب الفتيان الرضع!

فضحكت قائلة: حتى آخر لحظة لم أكن أعلم هل ستكونَ فتى أم فتاة؟ أشعر بذلك الرضيع من الآن، لذا سأظل أتمنى أن تكون فتاة.

هيا ارتدِ سترتك؛ سنخرج لتناول العشاء بالخارج.. كما أن لدي مفاجأة صغيرة لك.

فحاول أن يظهر حماسه ويلعن كلاوس لأنه أفسد تلك اللحظة، ثم قال: كلاوس ليس في المنزل، ذهب لرحيق بعد أن سمع كلامك عنها وأنتِ تتحدثين.. كان يقول إنه أعطاها واحدة من حواته، لذا عمليًا هي خالدة مثل أدهم.

-ولكنها تقول إنها تتقدم بالعمر طوال ذلك الوقت!

-أمي.. قد يكون الخوف يعميها عن الحقيقة.. لم ألحظ أنها تتغير في أي مرة أقوم برؤيتها فيها.. قد تكون مخطئة!

-هل كنت تستمع أنت أيضًا؟

-في الحقيقة.. ليس حقًا.. كان الأمر أشبه بالمكوث داخل جسديكما وليس فقط سماع ما يجري!

فاقتربت منه قائلة: إذا أنت تستطيع الشعور بما يحمله أي شخص!

فابتسم قائلًا: أجد الأمر مرعبًا قليلًا.. أنا حقًا لا أرغب بالشعور بكل ذلك، ولكنه مفيد أيضًا.

فقبلت جبينه قائلة: ستجد صعوبة في البداية، وبعدها ستجد كل شيء سلسًا مع الوقت.. سيكون لديك القدرة على تحديد طاقتك، ولن تكُن مرهقًا منها طوال الوقت، عندما تحتاجها فقط.. لقد كان الأمر مماثلًا لي، ولكن الاختلاف أنني لا أشعر بالمشاعر الجيدة بوضوح، ولكن أشعر بكل الظلام مهما كان حجمه، وتدفعني طبيعة طاقتي لإضاءته.. كان ذلك سر

نجاحي في مهنة الصيد..

في الحقيقة والدك هو الوحيد الذي لم تؤثر طاقتي عليه، وكانت خاملة تمامًا أمامه... ستجد أنك تكتشف كامل طاقتك الكامنة أولًا قبل أن تتمكن من إتقان التعامل معها.

-ما هي طاقة أبي الكامنة؟

-يمكنه التحكم في الكهرباء الساكنة.. يمكنه تخدير وشل حركة أي أحد سريعًا قبل أن يدرك.

-لِمَ لدي شعور بأنه لا يستخدمها ضدكِ؟

فضحك نيكلاوس وهو يقترب من باب الغرفة المفتوح قائلًا: في البداية قمت باختطاف والدتك، وكانت تسعى لقتلي!

فقال أريوس متعجبًا: لا أصدق.. هل كنتم أعداء في بادئ الأمر؟!

فضحكا بشدة، ثم قالت سارة: في الحقيقة لم يكن الأمر لمدة طويلة، ولكن والدك لم يقوَ على جعلي عدوة له، وحاول جذبي إليه بعدها.

فابتسم أريوس وقال: حسنًا عصافير الحب.. عصافير معدتي تصرخ جائعة!

فضحك نيكلاوس قائلًا: سأحاول التغافل الآن.. هلا ذهبت لغرفتي؟ ستجد مفاتيح السيارة هناك..

فضحك أريوس وشعر بالتحمس لمعرفة نوع السيارة التي اختارتها له والدته، وعندما دخل الغرفة وجد سلسلة مفاتيح بها مفتاحين.. نظر إليهما قليلًا ثم صاح فرحًا: لا أصدق أبي.. هل ستتنازل عن الفراري الخاصة بك لي؟ أمي.. أتمزحين معي؟ هل حقًا سيارة البي أم دابليو تلك لي؟!

ثم اتجه إليهما قائلًا: لا تحاولا الإيقاع بي، أليس كذلك؟

فضحك كلاوس قائلًا: سيارتي لك لأنك استطعت حماية والدتك اليوم جيدًا من المجهولين الذين أبادهم كلاوس، ومني أيضًا.. والسيارة الأخرى لعيد مولدك بالغد.... وفي النهاية عندما تملك والدين يمضيان أوقاتهما اللا نهائية في الاستثمار الجيد، قد لا تحتاج العمل طوال حياتك... ارتد سترتك سريعًا.. لنرى مهارتك بالقيادة الليلة!

كان أريوس يشعر بأضعاف سعادته لشعوره بسعادة والديه لسعادته الخاصة، وكان الأمر معقدًا حتى لنفسه ليفصل كل تلك المشاعر عن بعضها..

تمنى أن يتوقف الوقت عند تلك اللحظة.. ليجد المكان حوله ساكنًا وهادئًا أكثر مما قد يكون عليه.. ليجد والديه متجمدين! وحتى عقارب الساعة لم تكن تتحرك! فشعر بلحظات من الخوف ليبدأ كل شيء بالعودة لما كان عليه مجددًا..

وعندما شعرت سارة بأنه فجأة أصبح مرعوبًا قالت بريبة: ماذا هناك؟

فقال لاهثًا: لقد أوقفتُ الوقت لتوي! ذلك أمر رائع!

وعندما أنهي جملته بصوت ساخر قال نيكلاوس: لا بد أن تلك التجربة كانت مزرية!

-ما رأيكما بالعودة لتلك الهدية التي تبدو مذهلة في تلك اللحظة؟

-أجل، بالطبع..

فقالت سارة ضاحكة: ليس لدي أي مانع.. لا تكون متهورًا في قيادتك فقط..

فقال نيكلاوس مازحًا: من الجيد أن الفراري الخاصة بي في مرأب منزلنا بميامي.

فتمتم أريوس قائلًا: لم تعد لك، عليكَ نسيان أمرها!

وسارع في الركوض نحو المرأب... كان يومًا حافلًا بالنسبة للجميع، وخاصةً لأريوس الذي كان يجد أن كل شيء يتغير في ليلة وضحاها..

بينما كانت سارة تجد أن أريوس لم يكن فريدًا فقط كأول طفل يولد من اثنين من مصاصي الدماء، بل فريد أيضًا في قدراته الفردية..

شعرت أن أبديتها والطبيعة في رغبة الإنجاب التي لن تبارحها أو تبارح نيكلاوس قد تجعلها مسؤولة عن أجيال من الأبناء الفريدين من نوعهم في كل شيء.. مسؤولية شعرت لوهلة بالخوف منها... ولكنها لن تكف عن العيش بسعادة لفترات ستجعلها تنسى أنها قد عانت ولو لثانية، لن تكون لها فقط عائلة سعيدة بها كما تتمنى، بل جيش كامل يحصن قلبها وتحتمي به..

أبدية من التساؤل بسبب عدم معرفة ما قد يحدث لاحقًا. كأن المغزى من الحياة والقلق مما سيأتي وجهل المستقبل هو ما يجعل لها رونقها، ما يجعلها ممتعة مليئة بالأدرينالين لا تسأم منها...

***

ملحق بالمعلومات العلمية الحقيقية في الرو اية

(I)

رو اية كأنني لم أعرف طعم الحياة قبلا

١. مصطلح الطاقة الكامنة: وهي نشاط أو طاقة ذهنية يتحكم بها العقل، تتمركز بشكل جزئي في العمود الفقري، وتتوزع بشكل كلي داخل الجسد. يقول البعض أنها تمثل الروح لأنها إذا خمدت مات صاحبها..

٢. طبيعة الطاقة الكامنة: هي كالبطارية التي تحرك الجسم وتتحكم في العضلات اللا إرادية، مثل: نبضات القلب، فهي قوية جدًا، وهي غذاء الروح. وإذا مات الجسد فهذا يعني أنها فنت من الوجود.. ولا يمكن الحصول على طاقة إنسان والاستلاء عليها..

٣. حقيقة شخصية مصاصي الدماء: فمصاصي الدماء هي شخصيات ميثولوجيه أسطورية تم ذكرها في التراث الشعبي الفلكلوري، لم يستطع أحد إثبات وجودهم في الحقيقة..

٤. كيف بدأت القصص حول مصاصي الدماء.. فيرجع وجود مصاصي الدماء إلى أوائل القرن ١٩، وعلى الرغم من أنه تم تسجيلها في عدة ثقافات وحضارات في أنحاء مختلفة من العالم، التي تتواجد بشكل ما مشابهة لهم قديمًا.. ربما تعود إلى عصور ما قبل التاريخ. لم يشع مصطلح مصاص الدماء إلا في أوائل القرن ١٨ بعد تدفق خرافات مصاصي الدماء. أوروبا الغربية من المناطق التي تكررت فيها أساطير في أماكن مثل البلقان وأوروبا الشرقية. على الرغم من المتغيرات المحلية والمعرفة أيضًا بأسماء مختلفة

مثل vrykolakas في اليونان، وstrigoi في رومانيا. وقد أدت هذه الزيادة في مستوى الخرافات عن مصاصي الدماء في أوروبا إلى ما يطلق عليه الهيستيريا الجماعية، وأدت إلى موت الكثيرين الذين خاطروا بالواقع، وتم اتهام بعض الناس زورًا بأنهم مصاصو دماء وتم إعدامهم..

٥. وأخيرًا.. تم ذكر العديد من الظواهر في علم ما وراء النفس (البارا سيكولوجي) كمهارات فردية، مثل التنقل الآني وغيرها دون استخدام تعريفاتها العلمية أو التنويه لها بشكل مباشر...

***

(II)

رو اية سول-مايت.. رابط لن ينقطع

١. حقيقة العلاقة العكسية في الذكاء العاطفي والذكاء العقلي، فكلما زاد الذكاء العقلي قلّ أمامه الذكاء العاطفي..

٢. حقيقة الهلوسة في الطب النفسي.. وضعت العديد من النظريات العلمية لتفسير ظاهرة الهلوسة، فعندما كانت النظريات النفسية الحركية (نظريات فرويد) شائعة في الطب العقلي، كان التفسير الشائع على أساسها هو أن الهلوسة ما هي إلا بروز الأماني والأفكار والرغبات من العقل اللا واعي على صفحة الوعي، ولاحقًا تصدرت النظريات البيولوجية وأخذ العلماء (الأخصائيون النفسيون على الأقل) بتفسير الهلوسة على أساس أنها خلل وظيفي في الدماغ. ويمكن القول أيضًا بأن فعالية ووظيفية الناقل العصبي المعروف بالدوبامين تعتبر مهمة بالخصوص، وقد حققت بعض بحوث علم النفس حديثًا في القول بأن السبب المسؤول عن الهلوسة هو حدوث تحيزات في القدرات الميتا-إدراكية metacognitive abilities، وهذه القدرات تسمح لنا بمراقبة وسحب الاستدلالات من حالاتنا النفسية الداخلية (مثل النوايا، والذكريات، والعقائد، والأفكار). وتعد القدرة على التمييز ما بين مصادر المعلومات الداخلية ذاتية-التولد ومصادر المعلومات الخارجية (المحفزات)، تعد هذه القدرة مهارة ميتا-إدراكية مهمة، ولكنها قد تتحلل مسببة الهلوسة. كما قد يتشكل بروز الحالة الداخلية أو تفاعل الشخص تجاه شخص آخر على شكل هلوسات، وبخاصة

هلوسات سمعية، وهنالك فرضية حديثة أخذت تكسب قبولًا بين المختصّين.. تسلط الضوء على دور التوقعات الحسية الشديدة التي قد تولد خرجات حسية عفوية...

٣. تم ذكر طائر الفينيق وتوضيح حقيقته من خلال ذكر أبيات شعر دانتي، وجزء من مشاهد مسرحية هنري الثامن.. وذكر علاقته بالميثولوجي الفرعونية، وتحديدًا الإله رع إله الشمس.. والإشارة لتجدد حياتها بتحولها لرماد عند الموت، لتنبعث منه مجددًا، لتبدأ بحياة شبه أبدية لمدة قد تزيد عن ١٤٠٠عام قبل ولادة جديدة أخرى.. وعلاقته بالحضارة اليونانية، حيث ارتبط الطائر بمدينة فينيسيا، وهي حضارة مشهورة بإنتاجها الصبغ الأرجواني من قذائف المحار. وبناء على ذلك فإن الأصل للكلمة قدمها رئيس الأساقفة إيزيدور إشبيلية في القرن السادس عشر والسابع عشر، تستمد من اسم الطائر من هويته الأرجواني والأحمر، لأن صبغ الأرجواني مكلفة في فينسيا. كان مرتبطًا بالطبقات العليا في العصور القديمة، وفي وقت مع الملوك في فترة القرون الوسطى. وكان طائر الفينيق يعد الطائر الملكي...

٤. جزيرة ألكتراز Alcatraz.. أو ما تعرف بجزيرة الصخرة.. جزيرة السجن الأسطوري المسمى باسمها، وهو سجن فيدرالي أمريكي مشيد في جزيرة بخليج سان فرانسيسكو.. كانت جزيرة ألكتراز جزيرة مهجورة حتى اشتراها الحاكم العسكري بكاليفورنيا من الحكومة المكسيكية عام ١٨٤٧م، وفي عام ١٨٥٤م أقيمت بها منارة تعد أول منارات ساحل الباسيفيك. وفي نفس الفترة تقريبًا بدأ الجيش في استخدام الجزيرة كحصن وثكنات، ثم كسجن حربي. وفي عام ١٩٣٤م انتقلت الإدارة من وزارة الدفاع إلى وزارة العدل، وصارت الجزيرة بمبانيها لمدة تتعدى التسعة والعشرين

عامًا تقريبًا مركزًا لسِجن فيدرالي منذ ١٩٦٣م حتى ١٩٧٧م تقريبًا، وتم تحويله لاحقًا لمزار سياحي..

٥. إحدى القصص حول قصر وينشستر.. حول عملية البناء.. حيث كانت سارة وينشستر الأرملة التي سيطر عليها اعتقاد أن لعنة ما سقطت عليها وعلى عائلتها.. فأحضرت وسيطًا روحيًا من بوسطن نصحها ببناء منزل لها ولجميع الأرواح الذين قتلوا بسبب بندقية وينشستر، كما أضاف أنها ستظل على قيد الحياة ما دامت أعمال البناء قائمة.. وفي عام ١٨٨٤م اشترت بالقرب من سانتا كلارا مزرعة للتوسيع تقريبًا.. وقد استمر العمل على مدار الساعة مدة ٣٦٥ يومًا في السنة، لمدة ٣٨ عامًا... وكانت جميع تصاميم القصر مصممة من قِبلها، التي كانت في كل ليلة تنزوي في غرفة خاصة، هي غرفة واحدة شاغرة بالقصر مخصصة لها فحسب. تدعو فيها الأرواح ليشيروا إليها بخطط العمل في التصميم الذي ينبغي القيام به كل يوم، ثم تودع مخطط التنفيذ في صباح اليوم التالي. لكن أعمال البناء توقفت يوم وفاة سارة وينشستر في عام ١٩٢٢م.

٦. وأخيرًا.. تم ذكر العديد من الظواهر في علم ما وراء النفس (البارا سيكولوجي) كمهارات فردية، مثل: التخاطر، والإسقاط النجمي، وغيرها دون استخدام تعريفاتها العلمية أو التنويه لها بشكل مباشر...

***

للتواصل مع الكاتبة:

الحساب الشخصي على الفايسبوك:

souenderson/com.facebook.www//:https

الصفحة الرسمية للكاتبة:

souRaaft٦٦٦/com.facebook.www//:https

لو عاوز تحقق حلمك وتنشر إبداعك وكل الناس
تقراه سواء شعر .. قصة .. رواية .. كتاب
اتواصل معانا وساعدنا نحقق معاك حلمك وحلمنا
إن كل مبدع يوصّل للناس إبداعه..

يوريكـــــــــا

حلّق خارج السرب

01288627690

eureka4publishing@gmail.com